أخلاق الإمام علي عليه السلام

١ - ٢

تأليف

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

دار المرتضى

www.haydarya.com

أخلاق الإمام علي عليه السلام

الجزء الثاني

أخلاق الإمام علي عليه السلام

الجزء الثاني

تأليف

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل رسله وخلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد..

فهذا الجزء الثاني من كتاب (**أخلاق الإمام علي** عليه السلام)، قد احتوى مجموعة أخرى من حِكَمِ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مشروحة بما يؤمل منه ربط القارئ الكريم معها؛ ليتأمل في محتواها، ويستجلي دلالاتها، ثم يهتم بالعمل والتطبيق؛ ليترشد أداؤنا، فنرتبط به عليه السلام في خطواتنا الحياتية العملية، دون أنْ نكتفي بانتماءاتنا المجردة، بل علينا استحضار هذا الانتماء الشريف، ونعمل على تحريكه في أجيالنا، بل وسائر شركائنا في الحياة؛ لما فيه من غناء وثراء، يفخر به العرب والمسلمون وسواهم ممَّنْ يقيّم الفكر ويعرف لحامليه مكانتهم ومنزلتهم.

وقد امتاز هذا الجزء عن سابقه بحشد نصوص مباركة؛ كونه مما يستعان به كمنهج تدريسي، فيحسن رفده بها، مع اقتصارٍ على بيان معاني المفردات

اللغويـة أو الجمـل المركبة، دون الإشـارة للمصـدر -؛ اكتفاءً ببيـان أنه لا يخلو غالبـاً من أنْ يكون كتـاب العين للفراهيدي، أو مقاييـس اللغة لابن فارس، أو مفردات الراغب الأصفهاني، أو أسـاس البلاغة للزمخشري، أو مختار الصحاح للجوهـري، وهي مـن أمهات المعاجم وأهم المصادر اللغويـة-؛ كونه مما ينفتح عليه مختلف المستويات ومنهم مَنْ يتيه في مغلقات العبارات، فلابد من مراعاته والارتقـاء به لينهل من فيض علي عليه السلام، عسـى أنْ يسـهم هـذا الجهد في إضاءة الطريق لسالكيه، فأُسعد بالدلالةً عليه، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

النجف الأشرف ١٢/ رمضان المبارك/ ١٤٢٩هـ

محمد صادق الخرسان

حرف الألف

١ - قال عليه السلام:

آلةُ الرياسةِ سعةُ الصدر.

الدعوة إلى التحلي بالخُلُق الحَسِن والقدرة على استيعاب الآخرين، والتخلي عن سوء الخُلُق والفضاضة؛ لما في الأمرين من دلالات على شخصية المتصدر للأمر، المتصدي للشئون العامة للناس؛ حيث يتوقع منه البشاشة والسماحة والعفو وعدم المجابهة والترفع عن المقابلة بالمثل لو أُسيء إليه، وبعكس ذلك تقلُّ شعبيته، وينفضُّ الناس من حوله، وإن احتمله أحدٌ لحاجته الملجئة، فلا يستر عليه ولا يحفظه في مغيبه، بل يذكر ذلك لَمَنْ لم يشهده، وفي هذا تنقيص من شخصيته، وتدليل على عدم كفاءته للمنصب، وتكثير للشهود عليه فهي وسيلة إعلامية مضادة، كان هو السبب في تهيئة مادتها والترويج لها، فلذا كانت دعوته عليه السلام إلى ضبط النفس، والسيطرة على الانفعال النفسي، وعدم التصرف بتهور في تلك المواقع والمواقف؛ لأنه حال يقلُّ فيه الناصر؛ بعدما تصدر الإساءة من المتصدِّر نفسه، فأيُّ عاقل يزجُّ بنفسه في ذلك الموقف ليدافع عن سيءٍ مسيء،

كما أنه حال يكثر فيه الشامت؛ بعدما تظهر خفايا ما يبطنه الإنسان، ليقتنص الخصم دليلاً على مبتغاه، فيفرح العدو، ويحزن الصديق، مع أنّ بالإمكان أساساً الابتعاد عن ذلك الإحراج بالمرة، من خلال بذل طلاقة المحيا، والرد بالأحسن، واحترام خصوصية الآخر مهما كان، وإلا فإنَّ ضيق الصدر الملازم لسوء الأخلاق، والموجب للذم، مما يوجب انعكاس أثره على الإنسان نفسه، كما يوجب انكماش الناس عنه، وإذا ما تربى عند الإنسان كعادة وصفة ملازمة فيورث ضغطة القبر[1]، وجدير بالعاقل أن يجنّب نفسه ذلك، ويخاف سوء الحساب.

وإنّ هذه الحكمة شاملة في معطياتها للحاكم وغيره؛ فإنها تحذِّر من ضيق الصدر وعدم قبول النقد، أو عدم استيعاب بعض شرائح المجتمع أو تعوّد الانفعال لأدنى الأسباب، فإنَّ اتصاف الإنسان بذلك منقصة له.

وقد كان النهي عن ذلك من خلال بيان عدم انسجامه مع ما يتطلع إليه من منصب وقيادة؛ حتى لو لم يتفاعل عن قناعة، فلا أقل من خوفه على ما يريده لئلا يفوته، وهو كافٍ في أنْ يقلل من الحدة والانفعال لأتفه الأسباب؛ ليتخلص الناس من آثار ذلك وما يسببه من إحراجات ومآزق عديدة، وللطرفين، مضافاً إلى أنه بذلك لا يستطيع انجاز شيءٍ، وهو ما يعتبر فشلاً وإخفاقاً منه، فلا يتأهل لما هو أعلى وأفضل.

وإنَّ إشاعة هذا المفهوم والتحذير من آثار سوء الخُلُق وسلبياته، لما يضمن إلى حدٍ كبير فلترة المجتمع وتصفيته من صفات سيئة عديدة، وكذلك يتيح له أنْ

---

(١) حيث رُوي أنّ أم سعد بن معاذ قالت: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله ص: يا أم سعد: مه، لا تجزمي على ربك؛ فإنّ سعداً قد أصابته ضمة... إنه كان في خُلقه مع أهله سوء، ظ/ أمالي الصدوق ٣٤٤ط النجف.

يتحلى بسعة الصدر وحُسن الإدارة، وتعلّم كيفية معالجة المواقف الصعبة بدون أنْ ينفلت زمام الأمر من اليد؛ لئلا تتحول إلى مواجهات شخصية، تستجر مواقف ومشاحنات أخرى، وهو ما لا يصح التسبيب له إطلاقاً.

وممَّن يلزمهم تطبيق هذه الحكمة، سوى الموظفين وجميع مَنْ تكون لديه مسئولية اجتماعية عامة، هي المرأة في بيتها؛ حتى تضمن إلى حدٍ كبير الاستقرار، وإلا لحدثت أزمات كثيرة، نتيجة عدم استيعابها الحالة، مما يعطينا أنَّ سعة الصدر، وقابلية الامتصاص، علاجٌ لكثير مما تعجز الحلول الأخرى عنه.

٢- قال عليه السلام:

اتقِ اللهَ بعضَ التُقى وإنْ قلَّ، واجعلْ بينكَ وبينَ اللهِ ستراً وإنْ رَقَّ.

الدعوة إلى اعتماد الطاعة والابتعاد عن المعصية، كوسيلة دفاعية يحترز بهما الإنسان مما يُتوقع عند الحساب مع ما يسبقه وما يتعقبه، من أهوال ومفاجآت وحالات جديدة لم يتحسبها من قبل، لذلك كله كان من أولويات ما يلزمه اتخاذه، هو التدرع بهذا الدرع الحصين، وعدم الاستخفاف بالوعد والوعيد، بل يتحسب لاحتمال المساءلة والمحاسبة، وهو ما يلزمه عقلاً الاستعداد له، والا كان مقصِّراً فلا يلوم يومئذ إلا نفسه، ﴿**وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾[1]، ثم على فرض عدم الاقتناع بهذا؛ لعدم التأثر بما يخيف، فيُتسائل: هل من الضروري كسر الحواجز كلها؟ أليس من العقل ومقتضى القوة أن يُبقي الإنسان لنفسه ما يحتمي به عند حدوث مفاجأة مّا، وبمقتضى حساب الاحتمالات، لا يُستبعد حدوث جميع ما استعرضه القرآن المجيد من آيات الجنة

(١) سورة الكهف من الآية٤٩.

والنار، الثواب والعقاب، بل كما رُويَ عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام: إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول- وهو كما نقول- نجونا وهلكت[1]، مما يعني أنه عليه السلام ينصح المعاند المصرّ على غيّه: بأنه إذا تركت الدين فلا تودع العقل، وأبقِ مجالاً للتصحيح، ولا تُعلن العصيان المطلق، أو تمارس التمرد الكامل؛ لأنه قليلٌ من التقوى الذي يمنع عن ارتكاب المعاصي كافة، خيرٌ من العدم، توصلاً إلى اختيارها كخيار واقٍ من المهالك، والتعامل معها كوسيلة حفظ للإنسان، ليكون لها ما لغيرها من وسائل الحفظ، التي ينشط من أجلها؛ رغبة في أثرها وتحصيلاً لمفعولها.

وإنّها لدعوة رقيقة؛ حيث اعتمد عليه السلام فيها اسلوباً هادئاً يتدرج من تعوّد البعض، وصولاً إلى الالتزام بالكل، وهذا ما ييسر التقوى في حياة الفرد، فلا يستصعبها ولا يعاني منها كمشكلة، بعد أنْ يمارسها مقتنعاً بها؛ لما عرفه من فوائدها وتوفيرها له ما يعجز عن اكتشافه أحدث الأجهزة في الآخر، الذي لا يمكن معرفة نواياه، لكن التقوى باعتبارها عاملاً مشتركاً بين الطرفين؛ لحاجتهما معا اليها، توفر له ذلك، مما يعطينا أنَّها ضمانة حيث ينعدم فيه الضمان.

٣- قال عليه السلام:

اتقوا اللهَ تقيةَ مَنْ شَمَّرَ تجريداً، وجدَّ تشميراً، وكمَّشَ في مَهَل، وبادرَ عن وَجَلٍ، نَظَرَ في كرَّة الموئِل، وعاقبة المصدر، ومغبَّة المرجِع[2].

---

(١) الكافي ١/ ٧٨.

(٢) شمَّرَ تجريداً: رفع أذيال ثيابه؛ لئلا تعيقه ،وهو كناية عن الاهتمام بالشيء ،وكذلك جدَّ تشميراً،كمَّشَ في مهل: مَنْ يهتم بإنجاز الأمر جداً من دون تسرّع،فهو مبادرٌ غير مستعجل،كرّة الموئل: كناية عن يوم القيامة وما يجري فيه؛فالإطلاع عليه يحثّ على العمل الصالح،مغبة المرجع: عاقبة الشيء.

الدعـوة إلى الجـد في الطاعـة، وعـدم التـواني؛ حيـث ينبغي للإنسـان أن يصـارح نفسـه، فإما أنه مقبلٌ على الله تعالى، فعليـه الالتزام التام بلا تجزئة، ومن دون تفلّت، وإما أنه غير مقتنع بذلك، فهو مسؤول عن إعداد الجواب.

فهـي دعوة إلى نبذ الازدواجية العباديـة، من خلال ما يردده البعض من: ساعة لربك وساعة لقلبك؛ لما يعنيه ذلك من خلخلة الموازين، بل انقلاب عليها، وعدم استشـعار لقدسـية الطاعة، بل كان التعامل بنوعٍ من الاستخفاف؛ إذ أي معنى لإشغال القلب - مهما كان سواء العضلة أم مركزَ الاهتمام - بغير موجده وخالقه تعالى، بل يكون ذلك من أوضح حالات التجاوز، وهو مذموم.

كما أنها دعوة إلى الإقبال بنشـاط وحيوية؛ حيث اعتمد عليه السلام على ما تمثله الصـورة المرسـومة أمام المتلقي، المعتمدة على بيان حالة مَـن أقبل بكلّه، متجرداً عـما يعيقـه، مجدّاً في أمـره، مع تمهلٍ في سـيره، لكنـه مثابرٌ على الوصـول لغايته؛ لإدراكه الحاجة، واستشـعاره الضرورة، فاقبل مشتاقاً؛ حيث آمن بنبل مقصده، وعظـم مأمولـه، فهان عليه التجرد عن علائقه؛ لمّا انكشـفت له إعاقتها، فصمم عـلى التخـلي عنها، على أي حال، نابـذاً لها وراءه؛ لما أيقن به مـن عدم جدواها، ومثَلُهُ مَثَلُ مَنْ عايَنَ الخطرَ يحيط به، فهرب منه بدون أن يُسرعَ، لكنه مصمم على النجاة، وطبيعي من مثله أن يتخفف مما لديه، ولا يبالي بمال أو غيره.

٤ - قال عليه السلام:

اتقوا ظُنُونَ المؤمنين؛ فإنّ الله تعالى جَعَلَ الحقَ على ألسنتهم.

الدعـوة إلى التأكد مـن حقيقة الدعم الإلهي للمؤمنـين؛ حيث يحيط بهم، بـما يؤيدهـم، ويسـددهم، فلا يُغلبـون، ويصعب قهرهـم، ولـذا لا تُحمد عاقبة مخالفتهم، فإنهم عندما استقاموا على الطريقة شملتهم العناية، وحفتهم الرعاية،

بما وفّر المناخ النقي لهم، فصارت طريقة تفكيرهم رزينة، ورؤاهم رصينة، وبالتالي فآراءهم في محلها، وأحكامهم سديدة غير مرتجلة، ومَنْ كان هذا مسلكه، فحقيق أن يُحترم، ولا يُنتقص منه.

وهذا مظهر من مظاهر اعتنائه عليه السلام بهذه الشريحة الاجتماعية، التي قد يتخطاها الناس، لمختلف الذرائع، مع أن الواقع يفرض نوعاً مميزاً من التعامل معهم، بعد أن أخلصوا لله تعالى، فاستحقوا الكرامة والرفعة.

وفي بُعدٍ آخر ينبغي لمَنْ اتصف بذلك، أن لا يعتمد عليه كرصيدٍ لا نفاذ له، فيتوهم أنه على غرار المعصوم، ليقع في مطبات الغرور، ومهاوي الأخطاء، التي قد لا يجد معه مَنْ يدلّه عليها، بل يتعامل بتواضع، مع اعتزاز بإيمانه؛ ليستدرّ المزيد من ذلك الدعم الالهي المبارك.

٥- قال عليه السلام - لابنه الإمام الحسن عليه السلام - يا بُني:

احفظ عنّي أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملتَ معهن:

إنّ أغنى الغنى العقلُ، وأكبرَ الفقرِ الحُمقُ، وأوحشَ الوحشةِ العُجْبُ، وأكرمَ الحَسَبِ حُسْنُ الخُلُق.

يا بُنيَّ، إياك ومصادقةَ الأحمقِ؛ فإنه يريدُ أنْ ينفعكَ فيضرُّك.

وإياك ومصادقةَ البخيلِ؛ فإنه يقعُدُ عنكَ أحوجَ ما تكونُ إليه.

وإياك ومصادقةَ الفاجرِ؛ فإنه يبيعُكَ بالتافه.

وإياك ومصادقةَ الكذّابِ؛ فإنه كالسرابِ: يقرِّبُ عليك البعيدَ، ويبعِّدُ عليك القريب.

الدعوة إلى الالتزام ببنود هذه الوصية، التي قد أُكدَ فيها بعدة مؤكدات:

أولها: يا بُنيَّ، مع ما تعنيه من الشفقة والمحبة، الدالّين على الحرص التام على أهمية التقيّد.

ثانيها: احفظ عنّي، مع ما تدلّ عليه من ضرورة الاستيعاب الذهني، المستتبع للتطبيق.

ثالثها: أربعاً وأربعاً، مع ما لهذا الحصر العددي من إرادة جدّية للأخذ المستلزم للعمل؛ إذ قد يكون عدم التنصيص على العدد، مؤدياً إلى التضييع أو الإهمال؛ بسبب عدم الحصر من جانب، وعدم المتابعة من الجانب الآخر، لكن العدد حاصرٌ ومذكِّر.

رابعها: لا يضرك ما عملتَ معهن، مع دلالتها على الضمان المؤكد؛ لصدوره من الوالد الشفيق، ومن الإمام المعصوم عليه السلام.

خامسها: إياك، مع ما تعنيه من ضمير منفصل أُلحقت به كاف الخطاب، الموجب لاستمالة القلب، واستجلاب النفس، فضلاً عن إصغاء الأُذن، المتحصل من تكرارها في كل مقطع.

وإنّ التدبر في هذه المقاطع يعطينا تصوراً عن عمق الحالة الأبوية - نسبياً وسببياً - التي يحملها، وما يترشح منها من حرص على التحلي بصفات ايجابية، والتخلي عن صفات سلبية ومفاداة الوقوع في ورطات التعامل مع كلٍ من: الأحمق والبخيل والفاجر والكذّاب، وما يسببوه من مشكلات غير محدودة الآثار، ولذا كان التنبيه المبكر.

وقد انتظمت الوصية في فصلين:

الأول: الحث على تفعيل دور العقل في حياة الإنسان، والتعامل في أطار الأخلاق الحسنة؛ لما فيهما من أثرٍ اجتماعي، ومردودٍ عام، وهو ما يقع على كاهل أفراد المجتمع عامة.

الثاني: الحث على مقاطعة المتصفين بصفات: الحُمق والبُخل والفُجور والكذب؛ لما فيها من تقاطع تامٍ مع ما ينبغي الاتصاف به، سواء للفرد أم للنوع.

أما الفصل الأول فقد جاء ضمن بيان:

١- أنّ العقل بما يعنيه من اتزان الإنسان وانضباطه ضمن الحدود الصحيحة، يمثِّل أقصى ما يُؤمل من الغنى والرفاه المالي، لذا فيلزم التحلي به من خلال المقاربة مع أحكامه العلمية والعملية.

٢- أنّ الحُمق بما يعنيه من (نقصان العقل)[1]، مؤشر على افتقار الإنسان للأسلوب الحضاري الصحيح، والذي يقتضي المعاشرة بالحُسنى مع الآخرين، وعدم المصادمة - مهما أمكن -، وبعكسه فلا يغني مال ولا سواه، وهذا هو الفقر بعينه؛ إذ ما جدوى مالٍ لا يحمي مقتنيه.

٣- أنّ العُجب باعتباره (أن يتكبر الإنسان في نفسه، تقول: هو مُعجَبٌ بنفسه)[2] وبما يعنيه من دلالة على تعالي الفرد عمَنْ حواليه، ليوجب نُفرة الناس عن المتصف به، فتمرُّ عليه أوقات يستوحش بها، ويشعر بوحدته وعُزلته الاجتماعية، حتى لو كان محاطاً بالناس؛ لكونهم لا يتواءمون معه، كما لا ينسجم هو معهم، وهذا ما تهون معه سائر حالات الانفراد؛ لإمكان معالجتها باستقدام مَنْ يسليه ويؤنسه، لكن المُعجَب بنفسه لا يرى أساساً نظيراً له ليجالسه ويعايشه، مع نظرة ازدراءٍ اجتماعية، حتى لتصل إلى المقاطعة - ولو النسبية أحياناً - ، وهو ما يطوِّقه بالعُزلة، فيستوحش.

٤- أنّ حُسْنَ الخُلُق، مما يشكِّل للإنسان قاعدة اجتماعية، يسعى لتكوينها

---

(١) مقاييس اللغة ٢/ ١٠٦.

(٢) م/ن٤/ ٢٤٣.

مـن خلال عـدة مفردات حياتيـة، ولكنه قـد يغفل عن إمكان ذلـك بأن يطيب تعاملـه مع الآخرين، ليحظى بدعمهم، ومحبتهـم، ويكونوا أعوانه ومعاضديه، ولا يعنـي هذا التقليل من شـأن الأقارب، بقدر ما يؤكد على الإنسـان لو شـعرَ بضعفـه لأي سـببٍ كان، فيمكنـه التعويض بالأخلاق الحسـنة؛ كونهـا جالبة، حتى عندما تكون الأحسـاب والأنسـاب منفرة، ولاسيما وأنّ البعض لا يمتزج روحياً باسـتعراض الآباء الأشراف، خاصةً لو شَـعرَ بدناءة حسَبِهِ، لكنه يمتزج بالأخلاق الحسنة.

وأما الفصل الآخر - الثاني - فقد جاء ضمن بيان آثار مصادقة كلٍ من:

أ- الأحمق الذي يريد أمراً، ولكن لنقصان عقله، وضعف تمييزه، يتسبب في عكسـه، والأمثلـة على ذلك عديدة، فيتكلم رغبـة في النصرة والدفاع، الا أنه لحُمقه يختار ما يوجب تحسـس الآخـر فينفعل، ويتطور الموقـف، فدفاعه تهييج واسـتثارة، وكذلك يشـير برأيٍ مّا، وبسـبب حُمقه تحدث تورمات ومضاعفات جانبية غير محسوبة العاقبة، وهكذا.

ب- البخيل، فإنه بما اعتاده من الشُح والمنع، فلا ينفع صاحبه في الأوقات الحرجة، عندما يحتاج عونه، وإسـناده؛ وذلـك بتأثير صفة البُخل الضاغطة على تصرفاته، والمؤثرة على أسـلوب معالجته للمواقف الصعبـة، لتكون متلونة بهذا اللون الباهت من العلاقة والصحبة.

ت- الفاجـر، فإنـه لميله عـن الحق، وانفتاحـه على مواقـع الباطل - مهما كانـت -، فـلا رادع له عن أن يخذل مصادقَهُ، مقدِّمـاً عليه أتفه الأمور وأهونها؛ ولا يسـتغرب منه الموقـف، بعد ابتعاده عن الحق في مختلـف مواقعه، ومَنْ تهون عليه نفسه، فغيرها عليه أهون.

ث- الكذّاب، فإنه لمّا فضّل أن لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق، بل يلتوي

وينثني، بحسب رغباته ومشتهياته، فلا يؤمل منه الوفاء، وإنما يُنتظر منه عكسه، فيفوِّت الفرصة، ويتسبب في التضييع.

وإنّ العاقل ليُدرك بوضوح مدى حراجة الموقف وقضاء الوقت مع هؤلاء، مع إفرازاتهم السيئة تلك، ليحدد موقفه منهم بنفسه، بعد إدراكه لانتقاض غرضه من مصادقتهم؛ حيث يُتوقع النفع، والعون، والإسناد، والنُصح من الصديق، ليُبرهِنَ بذلك على صدقه، فيكون وفيّاً للعلاقة، أميناً عليها، وبخلافه فلا شيء يُرجى من ديمومتها.

ولمّا كان اختيار الصديق أمراً دقيقاً، قد لا يُوفق فيه الإنسان دائماً، كان التحذير بدءاً من اختياره كذلك، ثم التحذير من إدامة العلاقة واستمراريتها بعد اكتشافه؛ لما تعنيه من فقدان الرصيد، وانعكاس ذلك أحياناً على شخصية الفرد، نفسياً، واجتماعياً، أو غير ذلك، وهذا ما يضرُّ كثيراً.

٦- **قال** عليه السلام:

اخْبُرْ تَقْلِهِ.

الدعوة إلى استكشاف بعض الطبايع لدى الأشخاص، والتأكد من عدم انطواء البعض على مساوي الصفات، ثم تكوين العلاقة، وتعميق الصلة؛ لأن الصفات المنطوية لا تُعرف إلا بعد الاختبار والتجربة، ولذا جاءت هذه النصيحة إلى استعلام الحالة تجريبياً؛ ليثبت بوضوح ما يتصف به الشخص المتنازَع عليه، ولا ينبغي الإصرار على إدامة العلاقة إلا بعد التأكد، ليظهر ما خفي، وأنّ الاستمرار مع التحذير لما يؤدي إلى التورط بما لا تحمد عقباه، ولأجل حسم الأمر دعا عليه السلام إلى البحث الميداني، ليُشخص الإنسان بنفسه الحالة، ويقتنع، فيكون إقلاعه عن قناعة، ووليد اختبار، وليس مجرد محاكاة ومتابعة.

إذن: لا يحسُن عدم الانتصاح، والتمسك من دون تفتيش وبحث، بل لا موجب لتضييع الوقت، وإنما التجربة تثبت الأمر.

وإنها لحكمة رائعة؛ حيث تختصر على الإنسان السير مع مَنْ لا يليق أو لا يستحق.

٧- قال عليه السلام:

إذا استولى الصلاحُ على الزمانِ وأهلِهِ ثم أساء رجلٌ الظنَّ برجلٍ لم تظهر منه خزية فقد ظلَمَ، وإذا استولى الفسادُ على الزمانِ وأهلِهِ فأحسن رجلٌ الظنَّ برجلٍ فقد غرَّرَ.

الدعوة إلى أن يلحظ الإنسان الوضع العام؛ لتتشكل عنده آلية واضحة المعالم، فينطلق في علاقاته ضمن ذلك الإطار، وإلا فقد يتصرف تصرفاً ولا يكون في محله، فقد يندم عليه، مع أنه بإمكانه تفادي الإحراج واستخبار الأمور من مجرياتها العامة؛ كونها تصلح مؤشراً على الصلاح والفساد؛ فإنه إذا كانت الحالة العامة صالحة، فلا ضير في أن يُحسِن الإنسان الظنَّ، ولكن لو كانت بالعكس فعليه أن يحذر.

فهي دعوة إلى توقي الانزلاق من خلال الإسراف بمنح الثقة بدون أُسس ومقومات معتدلة في عملية الإقبال والإدبار، والقبول والرفض، بل لابد من توخي السلامة والدلالة على المواقف بالطريقة المقنعة؛ لئلا يكون تطرف أو تحيّز، وإنما يكون الظن الحسن أو السيئ، نتيجة التمحيص، أو الاستناد للقرائن الأحوالية النوعية، والتي تتميز بكونها مؤشرات ذات دلالات قوية قويمة؛ حيث عادةً لا ينشأ انطباع عام حول أحدٍ بلا سبب وجيه، ومن خلال مؤثرات معينة؛ إذ أنها محدودة التأثير بنطاق معين، دون أن يكون لها هذا القدر الوسيع

من انتشار المعلومة، وشيوعها.

وإنّ هذه الحكمة مما تدعم الرأي الذاهب إلى أنّ نوع الناس لا ينطلقون في أحكامهم نتيجة مؤثر خاص، بل لهم رأيهم الخاص الذي يصعب احتواؤه من قِبل مجموعة أو فردٍ، وبالتالي فلا ينبغي إلغاء هذا المجس الأكثر ضماناً، أو إهماله، بل يلزم مراعاته؛ لما يستلزمه من لوازم أثبتت التجارب صحتها وصوابها.

٨- **قال** عليه السلام:

إذا أقبلت الدنيا على أحدٍ أعارته محاسنَ غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسنَ نفسه.

الدعوة إلى عدم الائتمان للدنيا، وعدم الانخداع بها؛ لأنها تُضفي على الإنسان ما ليس فيه، فقد يغترّ البعض بذلك ويحسبه مما فيه، وهذا ما يورط أحياناً في مزالق حياتية عديدة، سواء على صعيد العلاقة مع الله تعالى أم مع العباد؛ وقد كان من وراء ذلك الدنيا وما زيّنته للغافل عنها، بينما أن الواقع كما قال أبو العتاهية:

إنما الدنيا هباتٍ وعوارٍ مستردّة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة[1]

فهي - كما خَبَرَها المجربون - تُظهر صوراً مزيفة لا تعويل عليها؛ إذ لا واقع لها، ولكونها مما نسجته الأهواء فصدقته الأوهام، فلابد للعاقل أن لا ينسى - مهما تناسى - حجمه واعتباره، ولا يصدق المديح والثناء، ولا ينزعج من الذم والهجاء؛ لكونهما غير واقعيين، فهو أدرى بنفسه من غيره، وغيرُهُ مهما

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٥٢٤.

اقترب منه فلا يعرف واقعه كما يتيقن به هو.

وفي هـذه الحكمـة عبرة لَمَنْ يريد معرفة تقلبـات الدنيا وسرعة انتقالاتها، فهـي ما إن صافحت أحـداً حتى صفعته، وما إن أضحكتـه حتى أبكته، وما إن بحـث عـن شيءٍ من خلالها فحصـل على بعضه حتى سـلبته ما لديـه، فكم من متطلـعٍ للغنـى بوسـيلةٍ غير مشروعة حتى تحول إلى مظهرٍ للفقر لشـدة قسـوتها عليه، فلا يستطيع أن يبقي ما كان لديه، وهكذا مَنْ يتطلع للشهرة فإذا به بحاجة إلى تعريفه بين معارفه.

٩- قال عليه السلام:

إذا كان في رجلٍ خَلَّةٌ[1] رائعةٌ فانتظر أخواتِها.

الدعـوة إلى توقع الخير من الآخرين، والعمل معهم على أسـاس الموجود مـن نقاط القوة لديهم، ثم البحث عن مثيلاتهـا؛ كونه الواجد لهذا البعض، فهو مؤهل للمزيد، بعدما تكون لديه القدرة على التحرك بايجابية في مجتمعه، فيجب تنمية هذا التطلع من خلال انتظار الأشـباه والنظائر، التي تنتج منه فرداً صالحاً يؤثر في المجتمع، بعدما أُشـبع بالمعنويات التي تدفعه للمزيد من الخدمة العامة، أو التفـوق في حقله الحياتي، الذي تأهل فيه، وبَرَعَ من خلاله، وعموماً فالحكمة تمثِّـل زخمـاً معنويـاً، يدفع بمَنَ لديه أيـسر حالة تفوقٍ، أن يخطو بثقـة إلى الأمام، ويتطلع إلى المشـاركة الفاعلة في الفعالية الحياتية، بحسب مقدوره، ولعله يُفلح، ليُضاف رقمٌ جديد إلى الرصيد الاجتماعي، وبناءاً عليه فالحكمة ذات بُعدٍ نفسي تصلح كمفردة من مفردات المقرر النفسي للإسلام.

---

(١) الخلة: الخصلة، الصحاح ٤/ ١٤٠.

كما يمكننا من خلال الانفتاح عليها أنْ نستصلح نفوس بعض المتورطين بممارسة بعض الجرائم، فنبحث عن عنصر التوازن، ونتفاعل معه باعتباره حالة مرجوة عساها تثمر صلاحاً، لتتقلص مساحة الإجرام في نفسه وتتعدد دوائر الخير لديه فيستشعر المسئولية، ويهتم بالعطاء تعويضاً لما فات، وبهذه الطريقة نضمن عدم الحاجة للإكثار من السجون والإصلاحيات؛ عندما يجد أنّ خصال الخير قد نفعته وخلصته مما هو فيه من الذل والهوان، وليساعدنا في إقناع آخرين فيكفّوا عما هم فيه من تمردٍ وعصيان.

١٠ - **قال** عليه السلام:

إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجةٌ فابدأ بمسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم**، ثم سَلْ حاجتَكَ، فإنَّ اللهَ أكرمُ من أنْ يُسألَ حاجتين فيقضي إحدَاهما ويمنع الأُخرى.**

الدعوة للتوصل إلى قضاء الحاجة المرجو منه تعالى تيسيرها، بأفضل ما يمكن، ألا وهي أن يدعوه تعالى بأن يرفع شأن نبيه وأفضل خلقه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو دعاءٌ مستجاب لا مُحالة، ولمّا اقترن به دعاءٌ وطلبٌ آخر، فسيأمر تعالى ملائكته بتيسيرهما معاً؛ إذ ليس من صنع الكريم الجواد الفصلُ بينهما.

وهذا أمرٌ مهمٌ للغاية، وقد لا يستشعر أهميته إلا متعسرُ الحاجة، ممَنْ أضناه طولُ الانتظار وآيسه، فهو متلهفٌ إلى ما ينفعه في نُجح مطلبه.

كما أنه مؤثر في انفتاح النفس على الدعاء، وتوقع الإجابة، بل تيقنها، وهو ما يوجب انشراح الصدر، المستلزم لعدم الانقباض والتشاؤم وتغيّر الوضع النفسي، المؤدي إلى العديد من المضاعفات السيئة، مما ينعكس على الفرد، بل مَنْ حواليه، فهو موجبٌ لتوتر الوضع العام؛ كون هذا الفرد من مكونات

المجتمع، ويؤثر فيه سلباً أو إيجاباً؛ ولو بطريقة غير مباشرة، إلا أنها تُلقي بظلالها وتُخيّم عليه، فيتشنج في تفاعله وتعامله؛ كونه قد امتزج نفسياً بحاجته المتعسرة، وعندها فتذكيره بفاعلية الصلاة عليه صلى الله عليه وآله مما يخفف عنه العناء وعن المجتمع سلبيات التوترات التي لا تؤمن عند حدود معينة.

١١ - قال عليه السلام:

إذا كثُرتِ المقدرةُ قلّتِ الشهوة.

الدعوة إلى أن يتفهم الإنسان حقيقةً مهمةً، وهي أنّ الطلب المتزايد الملازم -أحياناً- للتورط في الحرام، إنما يأتي نتيجة عدّة أسباب، منها الحرص وما يستتبعه من جشعٍ وتلهفٍ وراء المفقود، بينما أن الشيء ذاته لو توافر وأُبتذل، فلا تكون تلك الرغبة الملحة، والطلب المتزايد الذي كان يدفعه للتحصيل مهما كان الثمن؛ لذا فالحكمة توضح بتحليلٍ نفسي لهذه الظاهرة العامة، أنّ امتلاءً نفسياً يحصل بعدما يطمئن الإنسان على تأمين مطلوبه، لتحدث لديه حالة إشباع نفسي، فلا يعود ليفكر في ذلك الشيء، وهذا ما يجعلنا نستشف الدعوة إلى ضرورة استشعار الورع، والامتناع من الشبهات، فضلاً عن الحرام؛ إذ أنّ الضغط النفسي الذي يعانيه الإنسان مؤقت، لا يدوم وبالتالي فلا يستحق التضحية بالثوابت الأخلاقية، أو الدينية، من أجل المتحولات؛ لما تسببه من طول الوقوف للمساءلة الإلهية، وما قد يتطور إليه الحال آنذاك من العقوبة، وسوء المصير.

١٢ - قال عليه السلام:

إذا كنت في إدبارٍ، والموت في إقبالٍ، فما أسرع المُلتقى.

الدعوة إلى إدراك حقيقة ثنائية الأطراف، وهي واضحة الصحة، بعد النظر فيها؛ حيث أنّ حالتَي الإدبار والإقبال متعاكستان، فمن الواضح أنّ عملية العدّ التنازلي في استمرار وانسيابية تلقائية، مما يؤدي إلى الوصول للغاية المرتقبة، فيلزمنا التأهب والاستعداد لذلك؛ كون الأمر وشيك ومتوقع، فلا ينبغي التغافل عنه، أو محاولة نسيانه، بل العمل على أساس وجوده المستقبلي، والاستفادة من فرصة الحياة الدنيا لتهيئة المستلزمات الأخروية.

وإننا نكون أكثر تصوراً لأهميتها عندما نتذكر ما يستبيحه البعض من التصرفات، مما يعطينا انطباعاً عن تناسيه لهذه الحقيقة المؤكدة، وهو أمر مؤسف لا يصدر عن عاقل؛ لأنه كيف يتغافل عن الموت وما بعده؟!، وبالتالي فالجدير بنا أن نتوازن في إقبالنا على الدنيا بعد كونها مدبرة، وإدبارنا عن الأخرى مع كونها مقبلة علينا حتماً؛ حيث كتب الله تعالى على عباده الفناء، فمن العقل والدين الاهتمام بما سيئول إليه أمرنا، مع توقع مباغتة الأجل في أي لحظة، وعدم توقع أنّا إذا نسيناه فسيتخطانا، بل هو آتٍ كما شاء الله تعالى، فلا يحسن تضييع الفرصة الدنيوية لمضاعفة الرصيد الأخروي؛ لأنها ممنوحة لئلا تكون لأحدٍ على الله حجة، بل بوسع العباد أن يعيشوا دنياهم مع تحسين أوضاعهم في الآخرة بالعمل الصالح، فنكون متوازنين في تفعيل المعادلة الكونية.

١٣ - قال عليه السلام:

إذا لم يكنْ ما تريدُ فلا تُبَلْ[١] كيف كنتَ.

الدعـوة إلى أن يتعود الإنسـان قبول الحالة المتيسرة، مـع كونها غير مراده ومبتغـاه، بل لمجرد أنه يريد شـيئاً وهـو غير متهيئ الحصـول في الحاضر، فإذا لم يكيّف نفسـه مع الحالة مهما أمكن فسـينعكس ذلك عليه بما قد لا يسـيطر عليه؛ إذ أنّ الإصرار يولِّـد تصاعـد الأحداث وتطورها، وهو ما يؤدي إلى سـلبية غير محسـوبة التأثير، سـواء على المسـتوى الشـخصي أم النوعي، كما يؤدي إلى توتير الأجواء، بما يُنفِّر المحيطين به؛ لأنه قد يتقاطع بسـبب الإصرار على تحقيق مراده معهم، وهو خلاف الآداب الإسلامية والإنسانية؛ حيث كان التأكيد على مراعاة المُعاشر، والاهتمام به، كثيراً، حتى أنه لا يصح التفريط به؛ لعدم نشوء ذلك عن فراغ، بل من أجل اسـتقامة الحالة، وضمان ديمومتها دون تكدّرٍ، كان التوجيه: بأنـه لماذا الإصرار؟ بعد ضـمان الرزق، وتقدير الأجل، فـلا يقع شيءٌ، إلا بإذن الله تعـالى، فـما دور القلق في صنع الأمور؟، فلـذا لنجعل من ذلك التلكؤ فرصةً لمراجعـة الذات، ونقد المتبنى من الآراء والمواقف؛ لما في ذلك من تحسـينٍ للأداء مستقبلياً، وهو ما يلزمنا السعي إلى تحقيقه، وعدم التشنج، أو الانفعال من أحدٍ بسبب ذلك، ﴿...**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾[٢] ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[٣]، فالأمثل التوجه لترتيب الأوضاع بنسقها الجديد.

---

(١) أصلها فلا تبالِ،وقد حذف الألف للتخفيف: أي لاتهتم.

(٢) سورة النساء: من الآية١٩.

(٣) سورة الإنسان الآية: ٣٠.

ولا يتوقع أحدٌ بأنّ هذا من الاستسلام، وعدم النضال دون إثبات الحق، وقد تتطور الحالة لدى البعض، فيظنّ أنه من العجز الذي يأباه لنفسه؛ لأنّ المقياس مختلفٌ جداً، فالحكمة تمثّل نصيحة ذات بُعدين، نفسي، واجتماعي، بحيث يظهر منها أنه عليه السلام مهتمٌ بحال الفرد والمجتمع؛ لترابطهما الوشيج، وانعكاس ردة الفعل الفردي على المحيط به، وهو أمر سيء لا ينبغي الوصول إليه، وأما المعاكس لهذه النصيحة، فسيصل بالنتيجة إلى الاقتناع بصوابها، عندما يصطدم بالواقع، فيتبين له أنه ليس الوحيد، وعليه التأقلم مع محيطه.

نعم هناك ثوابت، لا يمكن التنازل عنها، كما لو أدى التأقلم إلى المعصية الشرعية، أو المخالفة القانونية، فلا تجوز عندئذ؛ لتعنونها بعنوانٍ آخر.

١٤ - قال عليه السلام:

استعمل العدل، واحذر العَسْفَ والحَيْفَ؛ فإنّ العَسْفَ يعودُ بالجَلاءِ، والحَيْفَ يدعو إلى السيف[١].

الدعوة إلى إعتدال الحاكم، وعدم جنوحه في أحكامه إلى أهوائه، وأن لا يتشدد بلا حقٍ؛ حيث يؤدي ذلك إلى فرار الرعية، أو انقباض الناس عنه، فيتركونه لوحده، وهو ما لا يعتبر نجاحاً للحاكم ليُحمَدَ عليه، بل يكشف عن ضيق أُفقه الذي ينطلق من خلاله في سياسته العامة، فلابد من التصحيح، وأن يكون منصفاً وعادلاً.

كما أنّ الظلم يؤدي إلى نتيجة مشابهة، فيُحفِّز إلى استعمال السيف، وهو كناية عن القتل والمناهضة المسلحة، التي لا تُبقِ ولا تذر، وبالتالي لا ينبغي لَمَنْ

(١) العسف: ركوب الأمر من غير تدبير،والحيف: الميل عن الصواب.

يتولى الحكم أن يصل بمحكوميه إلى هذا الحد، وأن لا ينسى إنسانيته، فيتحول نفسياً إلى مفترسٍ، لا يرى إلا فرائسه، مع أنّ فيهم الأشباه والنظائر؛ حيث لا يخلو المجتمع من طاقاتٍ وقابلياتٍ يُؤمل منها الصلاح والإصلاح، فلماذا التعسف في الحكم، والجور في القضاء، وهل يقتضي اصلاحُ الآخرين أن يُفسَد الإنسان نفسَهُ؟!، وهل من لوازم الحاكمية تحوله إلى أداة ضاربة؟حتى كأنه لا يرى إلا سيئاتهم، مع أنّ في الناس مَنْ يُحسن ومَنْ يُسيء، وما أروع قوله عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم)[1]، وإنّ من المؤكد أنّ الحكام لو التزموا هذه الحكمة، وطبّقوها لما كثُرت عليهم الانقلابات، أو رُفعت الشكاوى، ولما ضاق الناسُ بهم ذرعاً، وتمنوا بُعدهم، وأعلنوا عصيانهم، فاحتاج بعضهم إلى اتخاذ تدابير أمنية مكثفة؛ لعلها تدفع عنه السوء، وتدرّع البعض الآخر بالقوى المساندة، وقد تباروا في ذلك حتى أُستعين بالقوات الدولية، ولم تنفعهم؛ إذ لم تخلِّصهم من نقمة الناس، فحصل الجلاء؛ عندما اختار المتعسف الظلم مما أحوجه إلى تحصيل لجوءٍ سياسي، كما أُستعمل السيف؛ عندما كان الحيف والتسلط على الناس؛ فكانت محاولات الاغتيال، كما التهديدات التي تقضُّ مضجعه، ولا تتركه يتهنأ بشيء.

وهذا شامل لجميع مَنْ يتزعم مجموعة، فعليه الاستفادة من هذه النصيحة، وإلا حصل المحذور.

---

(١) نهج البلاغة ٣/ ٨٤.

١٥ - قال عليه السلام:

أصدقاؤك ثلاثةٌ، وأعداؤك ثلاثةٌ:

فأصدقاؤك: صديقُكَ، وصديقُ صديقِكَ، وعدوُّ عدوِّك.

وأعداؤك: عدوُّكَ، وعدوُّ صديقِكَ، وصديق عدوِّك.

إنّ العلاقات الاجتماعية تتأطر بأُطرٍ مختلفة، ولذا كان لزاماً التعريف بمَنْ ينبغي إدامة الصلة به، أو قطعها عنه، ومن هنا كانت الدعوة إلى أن يتبين الإنسان هذه التشكيلة التي تُحيط به في دنياه، ليتعامل معها على هذا الأساس من التشخيص الدقيق، والذي قد لوحظت فيه مقومات حالتَي الصداقة والعداوة؛ بحيث قد توافرت في الثلاثة الأولى ميزة الصدق في العلاقة أو العواطف، وبعكسها في الثلاثة الأُخرى.

وإنّ مما يُبين دقة هذا الإحصاء، هو الالتفات إلى أنّ القرب والبُعد المعنويين، مما يتحكم فيهما بشكلٍ مباشر، أما التمحض التام في العلاقة، أو القواسم الجامعة، أو المصالح المشتركة، بحيث يكون المعيار مما يتعنون بهذا العنوان أو ذاك، وبالتالي فلابد من معرفة الإنسان لصديقه ولعدوّه؛ فيأمن للأول، ويحذر الآخر، ثم يرتب حياته على هذا الميزان، وأما لو لم يميِّزهما، فسيتورط من خلال تصرفٍ مّا فيندم على ما صدر منه، بل قد يُحاسب عليه، لذلك فمن الضروري الأخذ بهذا التعريف السديد، لتتضح معالم العلاقات، والأُسس التي تقوم عليها، لنجد:

أ- أنّ ما اختاره الإنسان صديقاً له، بعدما أقتنع بكفاءته للالتزام بما تفرضه هذه العلاقة من التزامات وارتباطات، فيُعدّ عندئذ صديقه، وهذا هو التمحض التام في الصداقة والعلاقة.

ب- أنّ الشخص الذي اختاره الصديق، فهو ثاني الأصدقاء؛ حيث يتأمن جانبه باختيار الصديق إياه، فتصح مصادقته؛ لوجود القاسم الجامع.

ت- أنّ الشخص الذي عادى العدو، فهو ثالث الأصدقاء؛ حيث يشتركان في السلبية اتجاه العدو المباشر، فتصح مصادقته؛ لوجود المصلحة المشتركة، وهي المقاطعة والجفاء للعدو، والذي تتعدد أسبابها.

ث- أنّ مَنْ عاداه الإنسان، بعدما لم يمكن الاحتفاظ معه بأدنى الود، بل العلاقة العابرة، والا فلا ينبغي التسرع بمعاداته - مهما أمكن -؛ لأنّ الدرجة الأدنى من العلاقة خيرٌ من القطع التام، وهذا أمرٌ لا يقوى عليه إلا من أدرك خلفيات المواقف، وعرف آثار التشنجات وما تخلّفه من انشطارٍ في العلاقة، أو تورّم في ضدها؛ حتى ليتصرف البعض في ذلك الحال بعيداً عن إنسانيته؛ لأنه ألهَتْهُ عداوته عن مراعاة قواعد التعامل الإنساني، فيتحول إلى متلبِّسٍ بمظهرٍ إنساني، غير أنه بمعزلٍ عن مقاييسها؛ بعدما لم تعدْ الحالة الإنسانية محترمة في النفوس، ومصانة في التصرفات، مما تعدّت إفرازاته موقعها فغيّرت موجة المقاييس، فلم يرَ المتأثرُ بذلك المعروفَ معروفاً، ولا عكسَهُ كذلك، وهذا تمحض سلبي في العلاقة.

ج- أنّ مَنْ عاداه الصديق، فهو ثاني الأعداء؛ بعدما كانت موادّته تعني بوجهٍ مّا مغاضبةً للصديق، فلا تصح مصادقته؛ لئلا تتأثر العلاقة بالصديق، لكن ينبغي التوازن في ذلك، لأنّ ذلك المبرر لا يسلب عنه حقوق المواطنة، بل لابد من مراعاتها؛ لما تدلّل عليه عندئذ من قدرةٍ على الموازنة، وقابلية فائقة على إرضاء النفس والصديق، مع عدم تصفير لائحة الالتزامات الإنسانية؛ بعد وجود القاسم الجامع.

ح- عكس سابقه، فهو ثالث الأعداء؛ فإنه بعلاقته بالعدو، يؤثر في النفس

أثراً سيئاً، فلا تصح مصادقته؛ حيث لم يرعَ مقتضيات إدامة العلاقة به، كما لم تعد مصلحة مشتركة، بل هي في عدمها، فلو أراد أحدٌ التخفف من العلاقة فذاك إليه؛ بعد إقدام صديق العدو على إحداث هزة في أساس العلاقة العامة، فلا يُستغرب للمقاطعة غير المُلغية لحقوق المواطنة.

١٦ - قال عليه السلام:

اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خَرم.

الدعوة إلى أن يتفهم الإنسان هذه الحقائق الخَلقية التي يحيا في الدنيا من خلالها؛ لينعكس ذلك عليه في محورين:

الأول: تصرفاته وما يصدر منه اتجاه الآخرين، فلا يشمخ، ولا يبطر، ولا يتبختر، كما لا ينسى أن أصله من مني يُمنى، وأنه سيؤول إلى حفرةٍ مهما وسّعَها حافرُها، فسيضيّقُها الترابُ المتهايل المتراكم، وأنه رهين ذلك المضيق حتى تقوم قيامته، ليخرج للمثول بين يدَيّ الخالق العظيم الذي لا يخفى عليه شيء.

الثاني: نشاطاته العامة وما يمكن أن ينجزه مما ينفع به الآخرين، فلا يحسب أنه شيء عادي بل يمكنه بهذه المقومات - التي تبدو متواضعة بحجمها وكمّها - التغلب على العديد من الصعاب، وتحقيق الكثير من الآمال، والوصول إلى بعض الغايات والطموحات، وهذا مما يدعو للإعجاب بقدراته، والعجب منه؛ حيث كانت أدوات التنفيذ الأولية والأساس هي هذه.

وإن مجموعة هذه الاستذكارات لما تساعده على السير المعتدل في ركب الحياة، بحيث ينشط للعمل، ويتفاعل على أساسٍ من أن الدنيا حلبة سباق فعليه أن يثبت جدارته وكفاءته، من دون أن يخدش أحداً، أو يسيء لأحدٍ، في قولٍ أو

فعل، بل أن المجال فسيح يتسع له ولغيره، ولا تستطيع قوة أن تغلبه على ما قُدِّر له مهما كانت، إلا بإذن الله تعالى وحده، كما تساعده على المزيد من الثقة بالنفس، والاعتزاز بالقابلية التي منحها إياه الخالق المبدع تعالى، وبهذه الطريقة يكون قد حقق أكثر من إنجاز:

أ- ترسيخ التوحيد الإلهي في نفسه.

ب- المحافظة على ذلك من خلال انعكاسه المسلكي.

ت- العيش بايجابية مع الآخرين.

ث- التطلع إلى المستقبل بتفاؤل وثقة بالنفس.

ج- الموازنة بين مرحلتَي المبدأ والمنتهى؛ وهذا مهم في تواصله الداخلي مع ما أكد عليه عليه السلام في هذه الحكمة؛ حيث نجده عليه السلام قد اختار المواد الأولية التي من خلالها يتحقق للإنسان ما يريده في الحياة، مع كونها ذات طبيعة ساذجة، لا يتوقع البعض منها ذلك العمل كله، لكنها ذات منافع كبرى ومهمة للغاية.

ح- اليقين بالإعجاز الإلهي، عندما صيّر الإنسان يمتلك المقومات الجبارة؛ فكان نبياً، مصلحاً، مفكراً، منتجاً بشتى الحقول ومختلف التخصصات، وغير ذلك، مع أن أدواته الأولية -التي لا يستغني عنها- هي هذه المنافذ: العين، الفم- للتنفس والتكلم -، الأُذن، مما يؤدي به إلى المزيد من التأمل في عظمة الخالق، وقدرة المخلوق على الإبداع، ليدرك أن المنجزات لا تقاس بمصدر الطاقة المحرك بقدر ما تقاس بحجم تأثيرها الخارجي، وما غيّرته على صعيد الحياة العامة أو الخاصة.

وأحسب أنه عليه السلام يهدف إلى تذكير الإنسان بأهمية تفكره في نفسه، مما يقوده إلى التفكير في عظمة موجده وخالقه، كما يحركه لشكر النعمة عملياً من خلال المزيد من العمل المثمر.

١٧ - قال عليه السلام:

اعلموا علماً يقيناً أنَّ الله لم يجعل للعبد - وإن عظُمتْ حِيلته، واشتدتْ طِلبتُهُ، وقويتْ مكيدتُهُ -أكثرَ مما سُمِّيَ له في الذكرِ الحكيم، ولم يَحُلْ بين العبد في ضعفه وقلةِ حِيلتِهِ وبين أن يبلغ ما سُمِّي له في الذكرِ الحكيم، والعارفُ لهذا، العاملُ بهِ، أعظمُ الناسِ راحةً في منفعةٍ، والتاركُ له، الشاكُّ فيه، أعظمُ الناسِ شُغلاً في مضرَّةٍ، ورُبَّ منعَم عليه مستدرَجٌ بالنُعمى، ورُبَّ مبتلىً مصنوعٌ له بالبلوى، فزِدْ أيها المُستمعُ في شكركَ، وقصِّرْ من عجلتك، وقفْ عند منتهى رزقكَ.

تتضمن الحكمة بيان أمرين:

الأول: أنّ العبد لا يستطيع أن يصل لأكثر مما سمّى الله تعالى له في اللوح المحفوظ، بما يمثله من حالة تقدير وتقسيم، فعليه أن لا يستعمل الحيلة، ولا يجهد نفسه، ولا يركن إلى مكيدةٍ لأحد.

الثاني: أنّ العبد الذي لا يستطيع تأمين مورده - لضعف جسدٍ أو قلة تدبير -، غير محروم من الرزق - عطاءً أو توسعة -.

فالدعوة إلى أن يتأكد الإنسان من ذلك، ويعمل على أساسه، فيقتنع بضمان الله سبحانه للرزق، في قوله تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾(٢).

---

(١) سورة هود الآية: ٦.

(٢) سورة الاسراء الآية: ٣٠.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢)، لينعكس ذلك على قناعاته، وتوجهاته، وما يفعل أو يقول، وعندئذ فيأمن المجتمع من سلبيته التي قد تطغى به إلى حدّ تأثيره العملي في مجتمعه، فتسوء الحالة، ويتفشى الحرص أو البخل أو الجشع أو اللؤم أو سوء الظن بالله تعالى أو غير ذلك مما يُحدث تغييرات غير حميدة، فضلاً عن النزوع الإجرامي الذي يتزايد عندما لا يطمئن الإنسان بعمقٍ أنّ المخصَص له آتٍ لا يناله الغير، كما أنّ المحتوم مقضيٌّ لا يصيب الغير، وليس على العبد سوى العمل والسعي الموجب لديمومة عجلة الحياة، مع التسليم لله تعالى المطلع على المصالح والمفاسد، الذي لم يجعل الإنسان مجبوراً على أفعاله، بل أتاح له مصادر الرزق، وهيئ له أسبابه، وجعله يسعى في تحصيله وجمعه؛ فلذا مَنْ قصّر في ذلك، فعلى نفسه ضيّق، فانحصر التأثير وجوداً وعدماً بالخالق، الرازق، المقدِّر؛ ليطمئن العبد، فتنقطع، أو تقلّ محاولاته في الالتفاف على الآخرين من أجل الزيادة لنفسه، أو المنع لغيره، كما كي تتقلص حالات التعدي والتجاوز التي تشيع لدى بعض الأشخاص، بدوافع متنوعة، ومبررات متعددة - وهي جميعاً غير وجيهة، ولا مقبولة -، فينبغي التخلي عنها؛ لئلا يطول عناء الإنسان، وتعظُم حسرته، عندما يجد أنّ سعيه غير مؤثر، بل أنه محاسَب عليه، ولم ينفعه تغافلُهُ عن حقيقة قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾(٣)، ليجد نفسه أمام قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٦٢.

(٢) سورة يونس الآية: ١٠٧.

(٣) سورة النجم الآية: ٤٠.

١٧ - قال عليه السلام:

اعلموا علماً يقيناً أنَّ الله لم يجعل للعبد - وإن عظُمتْ حِيلته، واشتدتْ طِلبتُهُ، وقويتْ مكيدتُهُ -أكثرَ مما سُمِّيَ له في الذكرِ الحكيم، ولم يَحُلْ بين العبد في ضعفه وقلةِ حِيلتِهِ وبين أن يبلغ ما سُمِّي له في الذكرِ الحكيم، والعارفُ لهذا، العاملُ بهِ، أعظمُ الناسِ راحةً في منفعةٍ، والتاركُ له، الشاكُّ فيه، أعظمُ الناسِ شُغلاً في مضرَّةٍ، ورُبَّ منعَم عليه مستدرَجٌ بالنُعمى، ورُبَّ مبتلىً مصنوعٌ له بالبلوى، فزِدْ أيها المُستمعُ في شكركَ، وقصِّرْ من عجلتك، وقفْ عند منتهى رزقكَ.

تتضمن الحكمة بيان أمرين:

الأول: أنّ العبد لا يستطيع أن يصل لأكثر مما سمّى الله تعالى له في اللوح المحفوظ، بما يمثله من حالة تقدير وتقسيم، فعليه أن لا يستعمل الحيلة، ولا يجهد نفسه، ولا يركن إلى مكيدةٍ لأحد.

الثاني: أنّ العبد الذي لا يستطيع تأمين مورده - لضعف جسدٍ أو قلة تدبير -، غير محروم من الرزق - عطاءً أو توسعة -.

فالدعوة إلى أن يتأكد الإنسان من ذلك، ويعمل على أساسه، فيقتنع بضمان الله سبحانه للرزق، في قوله تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾(٢).

---

(١) سورة هود الآية: ٦.

(٢) سورة الاسراء الآية: ٣٠.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢)، لينعكس ذلك على قناعاته، وتوجهاته، وما يفعل أو يقول، وعندئذ فيأمن المجتمع من سلبيته التي قد تطغى به إلى حدّ تأثيره العملي في مجتمعه، فتسوء الحالة، ويتفشى الحرص أو البخل أو الجشع أو اللؤم أو سوء الظن بالله تعالى أو غير ذلك مما يُحدث تغييرات غير حميدة، فضلاً عن النزوع الإجرامي الذي يتزايد عندما لا يطمئن الإنسان بعمقٍ أنّ المخصَص له آتٍ لا يناله الغير، كما أنّ المحتوم مقضيٌّ لا يصيب الغير، وليس على العبد سوى العمل والسعي الموجب لديمومة عجلة الحياة، مع التسليم لله تعالى المطلع على المصالح والمفاسد، الذي لم يجعل الإنسان مجبوراً على أفعاله، بل أتاح له مصادر الرزق، وهيئ له أسبابه، وجعله يسعى في تحصيله وجمعه؛ فلذا مَنْ قصّر في ذلك، فعلى نفسه ضيّق، فانحصر التأثير وجوداً وعدماً بالخالق، الرازق، المقدِّر؛ ليطمئن العبد، فتنقطع، أو تقلّ محاولاته في الالتفاف على الآخرين من أجل الزيادة لنفسه، أو المنع لغيره، كما كي تتقلص حالات التعدي والتجاوز التي تشيع لدى بعض الأشخاص، بدوافع متنوعة، ومبررات متعددة - وهي جميعاً غير وجيهة، ولا مقبولة -، فينبغي التخلي عنها؛ لئلا يطول عناء الإنسان، وتعظُم حسرته، عندما يجد أنّ سعيه غير مؤثر، بل أنه محاسَب عليه، ولم ينفعه تغافلُهُ عن حقيقة قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾(٣)، ليجد نفسه أمام قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ

(١) سورة العنكبوت الآية: ٦٢.

(٢) سورة يونس الآية: ١٠٧.

(٣) سورة النجم الآية: ٤٠.

الشَّافِعِينَ﴾[١]، وعندها لا يجديه ما جمعه، ولا يدفع عنه ما منعه عن غيره، وكان من المهم - في ظلّ هذه الحالة - العمل على تقليصها، أو التقليل منها فأكد عليه السلام من خلال جمعه بين العِلْم، وهو نقيض الجهل[٢]، واليقين، وهو زوال الشك[٣]، على حتمية أنَّ ما قدَّره سبحانه لعباده كائنٌ، وأنّ محاولات الحصول على المال، أو الجاه، أو التوفق في سائر مناحي الحياة، مما لا يؤدي إلى نتيجة محمودة، بعد أن يكون المقدَّر القائم على أُسس العدالة في التوزيع، المبنية على مراعاة الأصلح، مما أختص بعلمه تعالى دون سواه؛ للفرق بين الواجب الذي علمه بالأشياء عين ذاته، والممكن المفتقر في مراحله الحياتية إلى تعليمٍ، وتسديدٍ، ولطفٍ ورعاية، مما لا يترك مجالاً للمقارنة، بل هي مع الفارق الواضح، فعلى الإنسان أن يتوجه إلى توظيف الطاقات التي يتصف بها والعمل بطاعة الله المنعم تعالى، من خلال أنشطته الحياتية المباحة العديدة؛ ليكون عضواً صالحاً في مجموعته، فيلزمه اقتناص الفرصة واستثمارها، دون الانشغال بما لا يتصل به، وهذا مقتضى الحكمة، وإلا فالإصرار على التشبث بتحصيل ما لم يكتبه تعالى، هدرٌ للوقت والجهد، لا يليق بعاقلٍ الإقدام عليه، فهو عليه السلام يقرر حقيقة واقعية، فمَنْ عمل على تطبيقها استهلك وقته في نفعه، وإلا فهو ساهٍ عما يُصلحه.

وأنّ الاقتناع المؤدي للعمل لما يكسب الإنسان الراحة، وهي ما يبحث عنها في طلبه أسباب الرزق، وإنّ هذه الحقيقة لا تعني التثبيط عن ممارسة الأنشطة والفعاليات، بل تعني الجد في النافع منها، وإلا فيضيع عليه العمر، ولا يمكن تعويضه، أو استرجاع الفائت، فالمهم إدراك أنه أمام فضاء واسع من الإمكانيات التي وهبها الله تعالى له، فعليه الإفادة منها ضمن مساحته؛ لئلا

---

(١) سورة المدثر الآية: ٤٨.

(٢) مقاييس اللغة ٤/ ١١٠.

(٣) م. ن ٦/ ١٥٧.

يستبدّ به الأمل بنفسه، فيتصور أنه قادرٌ على أن يفعل ويفعل، وهو ما يوجب وقوعه في خللٍ كبيرٍ، يؤدي به إلى خسارةٍ معنوية عظيمة؛ حيث لا يُحسن التأدب في مقام عبوديته لله سبحانه، لينزلق في الغرور، ويتيه في لوازمه من مغريات الدنيا، فلا ينتبه حتى يرد مورداً صعباً، ليقع ضحية جهله وسوء تقديره، كما أنه إذا تحقق من هذا الأمر وعمل بموجبه، فقد ارتاح وانتفع في الوقت ذاته؛ فلا يقلق من أفضلية غيره؛ لعلمه بضمان الرزق، وهو مستثمرٌ لعمره، فلا يتحسر على شيءٍ فاته؛ لما يعتقده من أنّ التوسعة في الرزق ليست معياراً للأفضلية، بل الأمر متصل بما يخفى على العباد، من مصالح وحِكم، وأما لو لم يتحقق من ذلك - سواء عرفه وأهمله، أم شكَّ فيه - فيبقى مشغولاً، مهموماً، وهو ما يؤثر عليه نفسياً ثم جسدياً، فيتضرر جراء ذلك، والعاقل لا يختار ذلك حتماً؛ لما يعلمه من أنّ المال لا يمثِّل كل شيءٍ في الحياة، بل هو من الوسائل التي قد ينتفع بوجوده البعض، فعدمه لا يساوي المنقصة، بل سيدَّخر لمَنْ حُجِبَ عنه، لما هو أصلح لحاله، وهذا ما يجعل العبد مستقرّ النفس، فالغنى لا يعني غاية التكامل، والفقر لا يعني العكس إنما هما بحيثيات يجهلها العباد، وبهذا نضمن عدم تعيير الفقير بفقره، بعد أن ضمنّا عدم افتخار الغني بغناه، ليعمر طريق الحياة بسالكيه من دون حصول جفوة، أو فجوة، وإنما العمل بالشكر للمنعم؛ لاستحقاقه ذلك عقلاً وشرعاً، وعدم العجلة؛ لأنها لا تنتج، وفسح المجال للآخرين؛ لأنّ إشغاله مضيعة للوقت.

١٨ - قال عليه السلام:

الأقاويـل محفوظـةٌ، والسـرائرُ مَبْلُـوَّةٌ، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[١]، والنـاسُ منقوصـون، مدخولون إلاَّ مَـنْ عَصَمَ الله، سـائِلُهم متعنـتٌ، ومجيبُهـم متكلِّـف، يـكادُ أفضلُهـم رأيـاً يـرُدُّهُ عـن فضـلِ رأيهِ الرضى والسُّـخط، ويكادُ أصلبُهم عُوداً تنكؤُهُ اللحظةُ، وتستحيلُهُ الكلمةُ الواحدةُ.

معاشر الناس: اتقوا الله، فكم من مؤملٍ ما لايبلُغُهُ، وبانٍ ما لا يسكُنُهُ، وجامعٍ ما سوفَ يتركُهُ، ولعلّه من باطلٍ جَمَعَهُ، ومن حقٍّ مَنَعَهُ، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباءَ بوزرِهِ، وقدمَ على ربّه، آسفاً لاهفاً، قد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ[٢]﴾[٣].

قـرر عليه السلام عـدة حقائق، وأراد من الأمـة الالتفات إلى أهميتهـا؛ كونها مما ترتبط بالملف الأُخروي للإنسان، فعليه أن يعطيها اهتماماً، ويوليها عنايةً تتلاءم مع مستواها المرحلي:

الحقيقة الأولى: أنه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٤]، مما يؤكد أن مجمـوع مـا يتلفظ به الإنسـان في مدّة حياته، موثقٌ عليـه، بحيث لا يقدر على

---

(١) سورة المدثر الآية ٣٨.

(٢) سورة الحج الآية ١١.

(٣) الأقاويـل: جمـع الأقـوال وهي جمع القـول وهو اللفظ، السـرائر: جمع السـريرة: ما يكتـم، مبلوّة: معلومـة، منقوصـون/ مدخولـون: كنايـة عن عـدم التفاتهم الـى حقيقـة زوال الدنيا وتبدّلهـا كالذي يختلط عقله فلا يعرف الحقيقة، المتعنّت: الذي يتكلف الشـيء بمشـقة،وقد تسـتعمل كناية عن كونه آثماً،المتكلـف: المتصنـع وغير المترسـل، تنكـؤُهُ اللحظةُ: كناية عن سـرعة الإصابة والتأثر السـريع بالنظرة السريعة،وتستحيلُهُ الكلمةُ الواحدةُ: كناية عن سرعة التغيّر.

(٤) سورة قٓ الآية: ١٨.

إنكاره، أو تغييره، بما يجعل الإنسان أمام مساءلة قانونية، بعدما أُحصيت عليه ألفاظه.

الحقيقة الثانية: أنه ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1]، مما يؤصل إلى أنَّ ما يُخفيه الإنسان ويكتمه عن الآخرين، معلومٌ لله تعالى، فضلاً عن غير ذلك مما يُطلع عليه البعض دون غيره.

الحقيقة الثالثة: أنَّ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[2]، مما يوضح للجميع عدم قدرة أحدٍ على الإنكار؛ لوجود الرابط الوثيق بين الإنسان وما عملَهُ، حتى كأنه يُمسك به، فلا يدعه يفلت منه، وهذا منتهى العدل والحكمة؛ لأنّ الإنسان قد أَلِفَ الإنكار والتفلّت من المسؤولية بمختلف الطرق والوسائل، بحسب موقعه ومبلغ علمه، فلئلا تتكرر الحالة، فتبطل الحقوق، وتفوت المظالم، كان الارتباط والعلاقة الموثقة بين العمل والعامل.

الحقيقة الرابعة: أنَّه ﴿وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفاً﴾[3]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[4]، مما يجعله معرَّضاً لطرو النقيصة في قواه كافة، إلا مَنْ عَصَمَ الله تعالى، فلا يختلّ عقلياً، كما لا يُصيبه جسدياً ما يقلل من فرص قبول الجماهير لدعوته الإلهية، فيؤثر على درجة تفاعلهم معها؛ كون ذلك من نقض الغرض من جعلِهِ داعياً وإماماً، يأتمُّ به الخلق، ومَنْ عداه فهو ممن يُتصور في حقه حصول ذلك، ولا استحالة فيه؛ حيث تقتضي المصلحة تعريف الإنسان

---

(١) سورة التغابن الآية: ٤.

(٢) سورة الطور من الآية٢١.

(٣) سورة النساء من الآية٢٨.

(٤) سورة الروم الآية: ٥٤.

حجم طاقته وقدرته الاستيعابية على التعاطي مع الأمور والقضايا كافة، فيسفه بعد كونه رشيداً، ويُجنّ بعد كونه عاقلاً صحيحاً؛ عساه يكفّ عن منازعة مَنْ فوقه سلطانَهُ، وملاحاة مَنْ معه، وسائر تصرفاته المنبئة عن اغترار وطيش.

وإنّ هذه الحقائق مع وقوعها الفعلي، لكن البعض قد لا يراها عياناً، لينكرها، أو يتصورها مبالغة، كان عليه السلام بصدد تبيانها بالشواهد الحيّة، باستعراض حالات دالة:

الحالة الأولى: أنّ البعض مجادلٌ، فإذا ما سأل، لا يكون دافعه تحصيل المعلومة الصحيحة بقدر ما يهدف إلى المجابهة الكلامية، بحيث يُدخل على المسئول المشقة، ويُلبِّس عليه؛ ليُوقعه في مزلقة فكرية، ومطبٍّ لفظي، فهو يطلب كبوته، ويترصد عثرته، وهذا من بعض شواهد ضعف الإنسان ونقصه.

الحالة الثانية: أنّ البعض متكلفٌ، فإذا ما أجاب، لا يترسل في جوابه وفقاً لمقتضيات الحالة، بل يحاول أنْ يُجهدَ نفسه، ليجدَ ثغرةً على سائله، فيتقوى بها عليه، وهذا مع كونه شاهداً ثانياً على ضعف الإنسان، لكنه لا يعني رفض التدبر والتفكير العميق قبل الجواب، إنما التحذير من شنِّ الحرب الفكرية؛ لما في ذلك من عواقب وخيمة، تؤدي إلى شلِّ الحراك الفكري، ووأد نموه، بل قطع جذوره، وهو أمرٌ خطير، يلزم التصدي لمكافحته، والتحذير من عاقبته.

الحالة الثالثة: أنّ البعض متكيف المزاج، فتتحكم فيه عوامل الرضا والغضب، فلا يقرر في تعقله، وصوابية رأيه، بل قد يغلبه غضبه، ويستجرّه إلى ما لا يُحمد من مواقف، وهذا شاهد ثالث على المدّعى.

الحالة الرابعة: أنّ البعض متأثر برغباته وملذّاته، بحيث تورطه، وتُظهر مكنونه، فلا يكون رصيناً، سديداً، بل تغلبه شهواته، وبالتالي تُتوقع له الانتكاسة، ولا يُستغرب للزلة منه، وهذا شاهد رابع على مستوى المغريات الفعلية.

الحالة الخامسة: أنّ البعض سريع التأثر، بدرجة أنّ كلمةً واحدةً، تبدِّل موقفه، وتغيِّر اتجاهه، مما يجعله متذبذباً، فلا يُنتظر منه السداد والثبات، وهذا شاهد خامس على مستوى المغريات القولية.

ثم انتقل عليه السلام لبيان أنّ الدنيا غير مأمونة؛ حيث أنها تغدر بمَنْ يركن اليها، ويثق بوعودها مثل:

١ - مَنْ كان يرجو البقاء، ولم يبقَ ليحقق ما تمناه.

٢ - مَنْ بنى مسكناً، ولم يمهله الأجل ليسكنه.

٣- مَنْ جمع مالاً، ولم يتمتع به، بل تركه لغيره، وهو المسئول عنه، ويشتدُّالأمر سوءاً، لو كان من:

أ- باطلٍ جَمَعَهُ، بما يرمز اليه من عدم استحقاقه له، فكانت حيازته بلا مسوِّغٍ شرعي، وجمعه ظلماً وعدوا ناً.

ب- حقٍ مَنَعَهُ، عندما حجبه عن أهله ومستحقيه، سواء أكان حقاً للخالق أم المخلوق.

وهو في الحالين مخالفٌ، غير مستحق له؛ فقد أخذ مالاً مع أنه حرامٌ عليه، فتترتب عليه تَبِعة ذلك من تحمّل الإثم وضمان الإرجاع لأهله ودفعه لموارده، مع ما يلحق به من الندم والتحسر على ما ضيّعه من عمره، وما فاته من نشاطه المصروف في اكتساب المآثم، مع تمنيه لو يُعاد ليُصلح أمره.

١٩ - قال عليه السلام:

أكثرُ مصارعِ العقولِ تحتَ بروقِ المطامع[١].

مَنْ يراقب حال المتورطين، يجد أنهم قد ودّعوا عقولهم عندما لاحت لهم مناصب معينة، أو تلقوا وعوداً بالحصول على ما يتمنونه، فسارعوا إلى الرضوخ، ولم يعوا أنّها زائفة، لا يصح الوثوق بها، بل سيطرت أضواؤها الخاطفة فخدعتهم، عندما حسبوا أنّ البرق - وهو وميض - مما يُستضاء به، فيُمشى به في الطريق الوعر، مع استحالة التواصل في ذلك؛ حيث يتقطع، وتتخلله فجوات ظلامية، تؤدي إلى تعثرات وغيرها.

فالدعوة إلى الحذر وعدم الاطمئنان لكل ما يخطف بصر الإنسان، وأنّ عليه التأكد التام قبل الإقدام والقبول؛ لأنه قد لا يتيسر التراجع وقتئذ، فيقع المحذور، كما يستشف من هذه الحكمة، التنبيه إلى ضرورة عدم التسرّع بالحكم على أحدٍ قبل الاختبار الذي يكشف مدى ثباته، وصلابته، واحترامه لعقله؛ حيث ينهار البعض، ويجمِّد المبادئ، ويتحفظ على وصايا التحذير، لغلبة تأثير المغريات والوعود عليه، مما يُنتج تركه لعقله، وانصياعه للمال، أو المنصب، أو المؤثرات الأخرى، والذي يعني موته؛ عندما تغلبت الماديات على ثوابت العقل، فلا يُعدّ من الأحياء إلا بقدر الحركة الجسدية؛ ولذا نجد أنّ بعض العقلاء يتبرأ من تبعات مَنْ يتورط بالرضوخ لمغريات معينة، بل يُصرح بأنه يعتبره ميتاً؛ كونه قد أمات عقله، عندما استجاب للمطمع.

---

(١) مصارع العقول: كناية عن إصابتها، بروق المطامع: كناية عن التماع الشيء وجذبه الراغب فيه، مع عدم دوامه أصلاً.

٢٠ - قال عليه السلام:

ألا حرٌّ يَدَعُ هذه اللّماظَةَ[1] لأهْلِها؟، إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلاّ الجنةَ، فلا تبيعوها إلا بها.

حثٌّ على ترك الدنيا؛ كونها يسيرة، كبقية الطعام الباقي في الفم، وقد كان أسلوباً رائعاً في التحريض نحو نبذها والإقلاع عنها، وعدم التوغل فيها، بما يكشف عن اهتمام بتوافه الأمور؛ لما في ذلك من دلالة على دناءة النفس، وانحسار الهمة العاليّة لدى الإنسان، وهو مؤشر يُنذر بإقباله على ما تعافه النفس، مما يوجب التعجب، شأنه شأن مَنْ يطلب أمراً مرفوضاً - لأي سبب كان - فإنه دالٌّ على تدنّيه وهوانِهِ النفسي، كما يدلُّ على حالةٍ سلبية يجب معالجتها، والتصدي للكشف عنها؛ لئلا يتورط غيره.

ولمّا كانت الدنيا كذلك؛ كما تُثبته الدلائل والتجارب، فحريٌّ به عليه السلام أن يُحذر منها، وينبه الأُمة إلى ضآلتها، فلا يتصور أحدٌ أنه قادرٌ على إحداث تغيير جذري فيها من خلال اهتمامه بها، بل أنها تجرفه إلى حيث هي من الضعة والخسة، وهذا مالا يليق بالعاقل فعله، بعد أن رأى مصير الأوائل مَمَّنْ سبقوه!، وأنهم تحولوا عنها دون أن يأخذوا مما جمعوه فيها، أو حصّلوه شيئاً، بل تركوه، مع مساءلتهم عنه، فمع كونه قليلاً - بإزاء ما أدّخر له أُخروياً -، ومفارقته اياه، يُحاسب عليه تفصيلياً، ويتأثر وضعُه الأُخروي بذلك.

وقد كان لاستخدامه عليه السلام التحضيض بالأداة (ألا) أثره البيّن في جلب الانتباه، ومراجعة النفس، ومعاودة التفكير، ليرَ الإنسان هل تستحق الدنيا مع ما هي عليه، هذا الاهتمام المتزايد بها كلما ازداد عمره، أم الأليق به أن يتعامل

---

(١) اللماظة: بقية الطعام في الفم.

معها بحسب الاحتياج والضرورة، دون تحمل التبعات، والمآثم، والمغارم، ولزوم الجواب عن صغريات القضايا، فضلاً عن كبرياتها، وعن توافه الامور ومهماتها؟.

٢١- قال عليه السلام:

ألا وإنَّ من البلاءِ الفاقةَ، وأشدُّ من الفاقةِ مرضُ البدنِ، وأشدُّ من مرضِ البدنِ مرضُ القلبِ.

ألا وإنَّ من النعم سعةُ المال، وأفضلُ من سعةِ المال صحةُ البدن، وأفضلُ من صحةِ البدن تقوى القلبِ.

تقريرٌ لواقعٍ يعيشه الناس؛ حيث تتقلب أحوالهم، وتتدرج أوضاعهم، وهذا ما يتضايقُ منه البعض، ويعتبره أمراً يدل على عدم الاعتناء به، وأنه لو كان... لكان...، مع أنه لا يؤشر على إقصاءٍ وإهمال، بل هناك حِكم ومصالح خفية، لا يعلمها إلا الله سبحانه، وقد وظَّفَ ما يبتلي به الإنسان في دنياه، بما يكون خيراً له، فإنّ فقرَ العبد من أنحاء البلاء، والبلاء الذي يُصبَر عليه، معوّضٌ بالأجر والمقامات المعنوية، فلا يذهب عليه، بل قد ينشط في مجالاتٍ أخرى ويتفوق فيها، فيكون قبال ما عاناه مادياً، وهذه المعاناة المادية أهون من المعاناة البدنية؛ فإنّ المرض وما يصاحبه من صعوبات عديدة، وما يلازمه من آلام وأوجاع مختلفة، أشد من قلّة ما في اليد؛ كونه مما يمكن الإنسان التخلص أو التخفف منه بالعمل ونحوه، بينما علة البدن فهو وإن قدِرَ - أحياناً - على التخفف من لوازمها، لكنه لا يقدر لوحده على إزاحتها، وهي أيسر من الانحراف الفكري أو النفسي، مما ينتج عن مرض القلب معنوياً، وإن صحّت عضلته، وكان يضخُّ الدمَ بشكلٍ صحيح؛ حيث أنه يسلب عن صاحبه الاستقرار والأُنس النفسي، ليتحول إلى

جسدٍ مسالم للناس، لكن روحه تشاكسهم، وتنفر عنهم، وعندها تستعصي الأزمة على الحلول، وتشتد فلا يفلح المال، أو القوى الأخرى في إرجاعه إلى رُشده، إلا أنّ يتداركه الله بلطفه، ويستجيب هو لمحاولات التصحيح، لينثني عما هو عليه، وينتقل انتقالة قويمة، ذات معالم واضحة، وإلا فهو ميت الأحياء، فالنتيجة لابد من مقابلة البلاء بالصبر والتسلي بما يرفع وحشة الحال، مع ضرورة البحث المتواصل عما يُنتج حلاً للمشكلة، بدون تباطؤ، بل على مستوى البلاء يكون السعي في الراحة منه، مادية أم معنوية.

وفي المقابل نجد أنّ التوسعة المالية من جملة ما يتفضل به الله تعالى وينعم به، ولابد من مقابلتها بالشكر والعرفان، وإلا تفرُّ، وقد لا يمكن ردّها، كما قال عليه السلام: (احذروا نفار النعم، فما كل شاردٍ بمردود)[1]، وعلى الإنسان إدراك أنّ هذه التوسعة لا تعني منتهى التكريم، بل أفضل منها أن يكون صحيحاً في بدنه؛ وإلا فمع وجود المال واعتلال الصحة، لا يتيسر له تحقيق أمانيه، وإدراك آماله، وأيضاً لن تكون الصحة غاية الفضل، بل الأفضل أن يكون متقياً؛ بحيث يخلص قلبه لله تعالى، ويخشاه ويرهب وجوده كأنه يراه، ويتيقن من أنه إذا لم يقدر على رؤيته سبحانه؛ لاستحالتها؛ كونه ليس جسماً متقوماً بالأبعاد الثلاثة، ليُشار إليه، ويقبل صفات الممكنات ونعوتهم، لكنه يراه ويطّلع على ما يصدر منه كافة، وهذا ما يتطلب المزيد من الانضباط، المنبئ عن درجة وعيٍ عالية، والكاشف عن حياة قلبه معنوياً، فيتحسس عواقب المخالفة والتضييع، وما يؤديان به إلى التأخر والتخلف عن المستوى المطلوب، فلا يختار ذلك، بل يسلك طريقاً يوصله إلى خير عاجله وآجله، ولا يُفرط برصيده من عمره وطاقاته.

---

(١) نهج البلاغة ٤/ ٥٤.

٢٢- قال عليه السلام - وقد سُئلَ عن الإيمان - :

الإيمانُ معرفةٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالأركانِ.

الدعوة إلى تجذير هذه الثلاثية في نفس المؤمن وروحه وعقله وتفكيره، لتنمو لديه حالة الإيمان الصحيح، المرتكز على ركائز متينة، فتُؤتي ثمارها ناضجة يانعة، وقد اختار عليه السلام هذه الثلاثية من واقع معرفته بأنَّ الانقياد كما الطاعة لا يحصلان ما لم يعتقد الإنسان في داخله، ويصرح بلسانه، ويعمل فعلاً بذلك، ليكون مصدِّقاً ومطيعاً، فيُحكم عليه بأنه مؤمن، مما يُعطينا أنَّ:

أ- القلب، بوصفه المركزي الحياتي، إنما هو موقع قيادة الإنسان من الداخل، سواء باعتباره المادي كجهاز ضخ الدم، أم المعنوي كموقع ينطلق منه الإنسان في ما يرتئيه ويقرره، بحيث يمثل المستشار والناصح الذي لا يفارق الإنسان، وإن لم يلتزم بأوامره، فإنه إذا استجاب لأمرٍ فسيكون من نصيبه البقاء والخزن الذاتي، بخلاف غيره؛ ولذا سيبقى في الذاكرة مهما تناساه الإنسان، مما يدل على مدى أهمية القلب كحافظة معلومات، لا يُستغنى عنه بغيره.

ب- اللسان، بوصفه أداة التعبير البيّنة الواضحة، الذي تُفصح عما يريد الإنسان بيانه، وبما هو وسيلة إعلام ذاتي، فمن الضروري توظيفه في هذا الأمر المهم، ليكشف عن القناعات والرؤى التي يختزنها الإنسان في الداخل، بحيث لا يكفي مجرد الاعتقاد القلبي للإدلاء بها، وهو بهذا يُعدُّ مكملاً لدور القلب مع أهميته ودوره الفاعل، فلابد من التفاعل التام لتُعرف متبنيات الإنسان وعقائده وآراؤه.

ت- الأعضاء الأخرى، بما هي أدوات تنفيذية، ذات أدوار مهمة في ترسيخ الاعتقاد والتأكيد عليه؛ لما للممارسة من دلالة فعلية على استحضار

القيم الفكرية التي ينتمي إليها الإنسان، حتى عُدّت كوسيلة فاعلة من وسائل الكشف الجنائي؛ حيث ينزاح بها الستار عن الاتجاهات الفكرية والمتبنيات الثقافية الكامنة في الداخل، مما يخفيه الإنسان ويكتمه.

فتبين تواصل حلقات هذه السلسلة في مجال تسجيل المصداقية والثبات، فينكشف زيف الادّعاءات اللسانية الخالية عن البرهنة والاستدلال المُقنِع، وبذلك يظهر وجه المُرائي الذي طالما حاول ستره، كما يُعرف المنافق ويفتضحان، فيأمن المجتمع من ورطة تصديقهما وما يترتب على ذلك من مفاسد ومآسٍ كثيرة، وبهذا يُعرف أنّ الظروف القاهرة لا تُعيق عن الالتزام الديني، بما يحقق هذا القدَر من مبرزات الدلائل على العقائد، نعم قد لا يلتزم البعض - أحياناً - بقواعد حفظ النفس، فتحدث المفاجآت المزعجة التي لم يتحسب لها الإنسان، وهذا أمرٌ آخر.

٢٣ - قال عليه السلام - عندما كان جالساً في أصحابه، فمرّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القومُ بأبصارهم - :

إنّ أبصارَ هذه الفحولِ طوامح؛ وإنَّ ذلك سببُ هبابها، فإذا نَظَرَ أحدُكم إلى امرأةٍ تعجبُهُ فليُلامسْ أهله، فإنما هي امرأةٌ كامرأة[1].

من الحالات العامة التي تحتاج إلى تهذيب؛ كيما يتركها الناس: أن ينظر الرجال إلى المرأة عندما تمرّ بهم، ولما لم تكن نظرة عابرة، بل فاحصة، ومريبة، كانت الحالة سيئة، ولابد من التثقيف على ضرورة التخلص منها؛ لما تعنيه من:

١ - عدم التقوى؛ حيث يستبيح الناظر النظر المريب إلى مَنْ لا يجوز له أن

(١) فرمقها: كناية عن إدامة النظر واستمراره، طوامح: كناية عن ارتفاعها وأنّ من شأن الرجال التطلّع للمرأة، هبابها: هياجها، فليُلامس: كناية عن العملية الجنسية ومقدماتها.

ينظر إليها بإعجابٍ جنسي.

٢- عدم الامتلاء الداخلي؛ لما في ذلك من دلالة واضحة على الفراغ العاطفي الذي يمرّ به الناظر.

٣- عدم الشعور بالمسؤولية الأخلاقية والاجتماعية، اتجاه نساء مجتمعه؛ بما يُنبئ عن تسامح كبير في هذا الجانب المهم؛ لأنّ التقاليد العامة التي يلتزمها أفراد المجتمعات الإنسانية، تفرض على أفراد الرجال الالتزام بأداء هذا الحق، والدفاع عن النساء ضد أيَّ تطفلٍ أو تعدٍّ، بل يربّى الصغار على مراعاته، وهو ما يكشف عن وجود خُلُقٍ إنساني يستشعره أسوياءُ الناس.

فالدعوة إلى نبذ تلك الحالة قبل أن تستحكم فتكون عادة، ومحاولة الاستفادة من المتاح، ولاسيما وأنّ المشتركات بين النساء، مما تعالج الحالة، فيتحقق الغرض، وتمتلئ نفسه المتطلعة، وهذا خيرٌ له من النظر، الذي لا يحقق له ما يبتغيه من الإشباع والتنفيس عما يعانيه من الفراغ العاطفي.

ويمككنا أن نستشف من هذه الحكمة تنبيه الشباب عامة إلى ضرورة معالجة حاجاتهم الغريزية من خلال الاقتران المشروع، الذي يتيح فرصة الإشباع والتنفيس، كما يهيئ أجواء الاستقرار النفسي والعائلي، بدلاً من الاستبدال بالعلاقات الأخرى مما لا توفر ذلك الأمن، بل تلهب المشاعر ولا تساعد على تهدئتها، أو تزيد من المشاق ولا تعين على تجاوز ما يعانيه الشباب، وهذا شامل لوسائل العرض أو الاتصال بمختلف الأنواع، فصرف الوقت والمال مما لا يمكن تعويضه، بينما البدء بحياة زوجية - لمن لم يتزوج - أو التواصل، يوفر ذلك كله وسواه، نعم المستفيد من ترويج تلك الوسائل هم صانعوها أو بائعوها دون المستهلكين حيث يكون نصيبهم منها صرف المال وهدر الوقت، والتوتر.

٢٤- قال عليه السلام:

إنَّ أخسرَ الناسِ صفقةً، وأخيبَهم سعياً، رجلٌ أخلقَ[١] بدنَهُ في طلبِ آمالِهِ، ولم تُساعدْهُ المقاديرُ على إرادتِهِ، فخرَجَ من الدنيا بحسرتِهِ، وقدِمَ على الآخرةِ بتبعتِهِ.

الدعوة إلى التوازن في الإقبال على الدنيا، وعدم مقاطعة الدين؛ لما يسببه ذلك من مشكلات في الآخرة، وبحسب الموازين العقلائية المتبعة يلزم التوقي من جميع الأمور التي تكون خسارتها أعظم، وسلبيتها أكثر، لذا يلزم التعامل بدقة، وعدم التورط بشيءٍ ينتج ما يندم عليه العاقل؛ لانّ ذلك مؤشر إما على انعدام الوعي، أو التغافل عن نداء التحذير، وكلاهما مما يُسجل ضد صاحبه؛ فإنّ المفروض توقي العاقل من مظنون المخاطر فضلاً عن مؤكدها ومتيقنها، فعدم المبالاة تنبئ عن خللٍ كبير، بحاجة إلى تصحيح، وهذا ما دعاه عليه السلام إلى التوعية المبكرة؛ لئلا يتزايد عدد الخاسرين، في الوقت الذي يمكن تفادي الخسارة، والعمل على تقليص حجم الانتشار، من خلال التثقيف على إمكانية أن يحيا في الدنيا، وهو ملتفت إلى زوالها وانقضاء مدتها، والتحوّل عنها إلى محلٍ آخر، ليُقدم للأشخاص كشوفات بممارساتهم كافة ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[٢]، فيُمارس نشاطه، من خلال إمكانياته المتاحة، في الحدود المباحة، دون ضغطٍ أو توجيه، ليملأ الفراغات كافة؛ حيث يحتاج وجوده الدنيوي إلى عمل، كما الأخروي، فلا يميل لجانب على حساب الآخر.

---

(١) أي أتعبه وكدّه.

(٢) سورة النحل الآية: ١١١.

وهـذا نقـدٌ هادفٌ لمـا يعمله البعـض من تحقيـق طموحاتـه الدنيوية، مع إهمالـه لما بعدهـا، بحيث يتوحد في تفكـيره وعمله للدنيا، ويتناسـى ما ينتظره، من الرحيل العاجل، فلا يسـتمتع طويلاً، ولا يأخذ من مقتنياته شـيئاً، فيجتمع عليه في يوم القيامة أمران: تحسره وأسـفه، وتحمّل مسـؤولية الجواب والكشف الحسابي عن المصدر المموِّل وطريقة الصرف، بينما هو قادر على استثمار ذلك كله بحيث يسـتهلكه في ما ينفعه، دنيويا وأخرويـاً، وهذه هي الحذاقة والفهم؛ إذ لا يُـراد منه أن يتخلى عن مشـتهياته، بـل يُنظمها وفقاً لثوابت الحـق، ويُبرمجها مع معايير الإنسانية، دون أن يتصور التضارب بينهما.

كـما أوصى عليه السلام بأن لا يكدّ الإنسـان بدنـه، لأنـه أول المتضررين؛ إذ من المؤكد عدم القدرة على الإحاطة بما في الدنيا، من مال أو سـواه، فلابد من تقييم الحالـة، ليكتشـف بنفسـه أنه يعيش مـدةً ثم ليغـادر الحياة الدنيـا، ليموت فتبدأ حيـاة أخـرى، يحتاج إلى التكيف مـع أجوائها وأوضاعهـا، ولا يصح منه مطلقا التجاهل والتغافل؛ كونه لا يقدر على رفض الانتقال، سواء آمنَ أم جحد، فعليه الاستعداد.

٢٥- قال عليه السلام - لقائلٍ قال بحضرته: استغفر الله - :

ثكلتك أمك[1] أتدري ما الاستغفار؟:

إنَّ الاستغفارَ درجةُ العليين، وهو اسمٌ واقعٌ على ستةِ معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزمُ على تركِ العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عزّ وجلّ أملسَ ليس عليك تبعةٌ.

والرابع: أن تعمد إلى كلِّ فريضة عليك ضيَّعتَها فتؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحمِ الذي نبتَ على السُحتِ فتذيبه بالأحزان، حتى يلصِقَ الجلدُ بالعظم، وينشأ بينهما لحمٌ جديدٌ.

والسادس: أن تُذيق الجسمَ ألَمَ الطاعةِ كما أذقتَهُ حلاوةَ المعصية.

فعند ذلك تقول: أستغفرُ الله.

إنّ الاستغفار طلب العبد غفران الله تعالى ومغفرته له، من خلال ستره على سيئاته، وتجاوزه عن زلّاته، فهو استفعلال يتمثل بطلب حصول الفعل، كما أنه مشروطٌ بشروط تهيئ العبد لنيل ما يتمناه، وهذا شأن جميع المركبات فإنها ترتبط وثيقاً بغيرها، فلا يحصل المراد إلا مقترناً بتمامية الشروط، فأراد عليه السلام التنبيه على شروط حصول المغفرة، لئلا يتفاجأ العبد لو لم يتم له مطلوبه، فقد يتهم

(١) كناية عن الفقدان، ويحسن التنبيه الى أنّ هذا التعبير كان سائداً ومتعارفاً يومذاك، فاستعمله عليه السلام ولم يكن نشازاً لتداوله؛حيث يُستعان بدلالته التعبيرية عن الامتعاظ ،أو تكون هذه المفردة ونحوها مما تؤثر لدى المقابل حتى لايعوض عنها غيرها دلالياً،فلا يستشنع استعمالها عندئذ،ولو لم تعد متعارفة في ما بعد.

الله تعالى في عدله، بينما التقصير بسببه، وكان لابد من التأكد من انتباه القائل؛ كون الأمر مما يستحق التيقظ التام، فاستعمل هذه الجملة: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟، لما في ذلك من مفاجأة تبعث على الانتباه والاهتمام، ليستوعب الموضوع المُلقى تاماً، مع ما للطريقة البيانية الاستعمالية آنذاك من أثر في استعمال أساليب للتفاهم لم تعد قائمة في يومنا هذا، بل يستغرب منها، لذا فلابد قبل البت بشيءٍ من دراسة الطريقة الدارجة يومذاك ثم الحكم؛ حيث يُعتاد في زمان أو مكان أسلوبٌ مّا ثم يندثر إلى حدّ الاستحالة الاستعمالية، مما يجعلنا أمام طرق عديدة، لا يصح الحكم بالمقياس الحاضر على استعمال في الماضي.

وكانت الشروط بطريقة تراتبية منسقة، بحيث لا يتم المراد ما لم تتقدم مقدماته، فأولاً: التأسف على ما صدر من التقصير أو التجاوز، وثانياً: التصميم على عدم التكرار عند سنوح الفرصة، وتهيأ أسباب المعصية، وثالثاً: الاستعداد لتلافي الآثار، وإصلاح الأخطاء، من خلال إعطاء مستحقات العباد في مظالمهم المالية، ورابعاً: قضاء فوائت العبادات، وما وجب على الإنسان أداؤه، وخامساً: العمل الجاد على تغيير النمط الحياتي، حتى يبين على المظهر العام مدى التبدل الطارئ بعد عملية المراجعة التصحيحية، وسادساً: الصبر على جميع ما يواجهه في سبيل الوصول إلى الخط الصحيح.

فإذا تمت هذه، وكان الإنسان على استعداد لتنفيذ هذه الفقرات، تأكد صدقه في ما أقدم عليه، فاستحق العفو والمغفرة، وإلا كان مجرد ترديد لساني، لا يكشف عن واقعٍ قلبي، فهو في غفلة عما أراده؛ إذ لم يستشعر قدسية الاستغفار، ولم يفطن لما يعنيه من مراتب معنوية رفيعة.

وفي الواقع نتمثله عليه السلام في هذه الحكمة الناصح المشفق الحريص على هدي الإنسان إلى طريق الاستقامة الصحيح، من دون التواء ورياء.

٢٦ - قال عليه السلام:

إنّ الأمورَ إذا اشتبهتْ اعتُبِرَ آخرُها بأولِها.

الدعوة إلى الاستفادة من التجارب، وعدم تكرار الأخطاء التي ظهرت أولاً؛ كونه مما يشير إلى ضعف الرأي؛ حيث تبين للإنسان الحال، عندما فشلت المحاولة الأولى، فكيف يعاودها ثانيةً، فهي تحذير من التورط بعد اتضاح الأمر.

كما يستفاد منها النهي عن إلقاء تبعة الإخفاق على الآخرين؛ كونهم خدعوا أو غشوا، فإن الإنسان نفسه أولى بنفسه من غيره في أن لا يقع في المطب مرةً أخرى، فالاعتذار عن ذلك بهذا غير مقبول؛ لأن المحاولات الفاشلة تُمثل تجارب، و(التجارب علمٌ مستفاد)[1]، وهو مما يُكتسب، كما أنها - التجارب - لا تتهيأ للإنسان دائماً، ولو تهيأت فلها ثمنها، فلابد من استثمارها حتى لو خابت ولم تفلح، وإلا لتضاعفت الحسرة؛ حيث يقطع الإنسان بذلك مرحلة عمرية، فلو لم يوظفها لنفعه لعظُمت غصته عليه، نعم يلزمه تعقب مواقع الإخفاق، وتحديد مناشئ الفشل، لغرض الإصلاح، وليس لاستعادتها الذهنية، والتحسر على حصولها، بل هو بذلك يودع حالة جهلٍ باعتبار فشله، ليتلقى ومظة علم باعتبار معطيات تجربته، وما تخلفه في النفس من توجسٍ وتحسس إزاء ما يواجهه، ليتعامل مع القضايا بمقاساتها المناسبة، فلماذا الأسف؟!.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ ٤٣.

٢٧ - قال عليه السلام:

إنّ أولى الناسِ بالأنبياءِ أعلمُهم بما جاؤوا به، ثم تلا عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ثم قال عليه السلام: إنّ وليَّ محمدٍ مَنْ أطاعَ اللهَ وإنْ بعُدَتْ لُحمتُهُ[2]، وإنَّ عدوَّ محمدٍ مَنْ عصى اللهَ وإنْ قرُبَتْ قرابتُهُ.

الدعوة إلى العمل بموجب قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، وعدم الشموخ بالنسب، أو المفاخرة بالحسب؛ كونها لا تعكس الواقع دائماً، ولا تكشف عن المواهب بالضرورة؛ لإمكان الانتحال والتزوير، ولاسيما إذا ضعُفت الهمم وتدنّت النفوس، بما يحدد دائرة الموضوعية في إطار العمل خاصة، ومن خلال حقل الاختبار الذي لا تقفز عليه الطوارئ، ولا تقوى على اقتحامه، وهذه قاعدةٌ تتساوى فيها العوامل النسبية وسواها، فلا يستثنى منها أحدٌ؛ لذا فمَنْ ينتسب للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله عليه أن يُعرِّف نفسه بتطبيقه لما جاء به جده الأعظم صلى الله عليه وآله؛ كون ذلك بطاقة تعريفٍ يقرأها الجميع؛ لاحتوائها على ما يفهمه الكل من لغةٍ مشتركة بينهم بلا عناء، خلاف شجرة النسب؛ فقد لا يتعاطى معها كثير؛ لجهلٍ أو تجاهلٍ، فمن الجدير بالعاقل السعي في طريق تقدمه، وعدم الاكتفاء بالادعاءات الفارغة، بل يُبرهنَ على مؤهلاته بقدراته الشخصية التي تخصه، ولا يُصادر تاريخ غيره ليحوله إلى مكسبٍ قليل الربح،

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٦٨.

(٢) اللُحمة بالضم: القرابة،وهو من المجاز المستعمل لتأكيد الرابطة القربية وتداخلها وشدة العلاقة بين الطرفين؛ ولذا استعملها عليه السلام هنا لبيان أنّ الاقتراب الولائي بالطاعة والانقياد،أكثر تأثيراً في القرب المعنوي ،ولو كانت الأصول النسبية بعيدة جداً.

(٣) سورة الحجرات من الآية١٣.

في سبيل الوصول السريع، وإلا انقطعت الصلة المؤثرة في ديمومة العلاقة، لتحلَّ محلها العداوة التي أسس لها الاستغلال السيئ للانتساب، مع ما يكتنفه من معصية لله تعالى، التي بحصولها تبهت الصلات، وبالإصرار عليه تكاد تنقطع.

وفي المقابل تتم عملية استقطاب لَمَنْ يحمل الرسالة الإصلاحية التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فيتبناها، ويعمل على إعطائها مساحة واسعة من اهتمامه مع تطبيقه، ويحرص على السير في خطها، والاغتناء مما فيها من مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، ومعالي الأمور، وفواضل الخصال، لتنعقد علاقة مودّة، وتنشأ رابطة معرفة، قد تتجاوز - أحياناً - روابط أخرى، وعندما تتجذر وتنمو قد تثمر ارتباطاً روحياً، فيسمو بذلك حائزُهُ، وما كان له ذلك لولا عمله المُجسِّد المثالي لطاعته لله تعالى، الذي قد يجتمع مع النسب، كما قد ينفرد عنه.

والخلاصة هناك ارتباط وثيق بين الولاية - بما تُمثله من علاقة حميدة - وبين الطاعة، كما هو بين العداوة والمعصية، فعلى الإنسان أنْ يختار ما يريده بدقة، فإن اختار موالاة أفضل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم، فعليه ان يطيع الله تعالى، وإن عصى فهو العدو؛ كون تلك نقطة حاسمة؛ لأنها تحوّل مفصلي غير قابل للتريث والانتظار، بعدما حُددت معالم العلاقة قرآنياً بالمتابعة والانقياد الواعيين، لتتخذ شكلاً خاصاً يتميز فيه الخبيث من الطيب، والحميد من غيره، ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة يونس من الآية٣٢.

٢٨- قال عليه السلام:

إنَّ أولياءَ اللهِ هم الذين نظروا إلى باطنِ الدنيا إذا نظَرَ الناسُ إلى ظاهرِها، واشتغلوا بآجِلِها اذا اشتغلَ الناسُ بعاجِلِها، فأماتوا منها ما خشُوا أنْ يُميتهم، وتركوا منها ما علِموا أنه سيترُكُهم، ورأوا استكثارَ غيرِهم منها استقلالاً، ودركَهم لها فوتاً، أعداءُ ما سالَمَ الناسُ وسِلْمُ ما عادى الناسُ!، بهم عُلِمَ الكتابُ وبهِ عَلِموا، وبهم قامَ الكتابُ وبهِ قاموا، لا يرَونَ مرجواً فوقَ ما يرجون، ولا مخوفاً فوقَ ما يخافون.

الدعوة إلى عدم ادّعاء ما لا تدل عليه تصرفات الإنسان - فعلاً أو قولاً -؛ كونها مما تُكتشف ليظهر زيفها، فيلزم العاقل أن يحدد هدفه، ويعمل على أساس ذلك بدون تلوين، فإن اختار القُربَ من الله تعالى فعليه أن يستعدّ للسير التكاملي في ذلك الطريق، وإلا فلا يدّعي ما ليس فيه، ولهذا السير شروط يلزمه تطبيقها ليكون من القريبين الذين هم أولياؤه تعالى؛ فإنهم لم يحصلوا على هذا الوصف إلا بعد السعي والجهد، فلابد من الإفادة من تجربتهم لتحصيل ما يرغب الإنسان به، كما عليه إدراك حقيقة اقتضاء ذلك، الوعي والنشاط، لما يحف ذلك الطريق من معرقلات، تتطلب منه الحزم في المعالجة، والتصميم على الإكمال؛ كونه يسير - أحياناً - عكس ما يسير عليه عامة الناس، ولا يعالج الموقف إلا بالثبات الناشئ عن الإيمان بصواب النهج، وتتمثل الشروط بأن يكون ممن لا يغترّ بحال الدنيا من خلال:

أ- الاطمئنان بما تُبديه من مسالمةٍ وودٍّ لأبنائها، بل يتذكر غدرها وسرعة انقلابها المفاجئ، في ما يراه يومياً مع غيره، ممن صافتهم الود، ثم انقلبت مدبرة عنهم، كي لا تتكرر الحالة معه، وإنه في حذره يُعدُّ متميزاً عن الناس؛ بفطنته لما

انطلى عليهم، فيسلم مما سقطوا فيه.

ب- الاشتغال بما يهيئ له مستقراً في عالَم ما بعدها؛ حيث من المعلوم عدم اقتصار الحياة على الدنيوية المادية، بل هناك الأخروية الروحية، فلابد من الاستعداد المناسب لها، ولاسيما وأنها ذات متطلبات عديدة، لا يكفي قليلُ الوقت لتهيئته، وانه في استعداده المبكر يكون ممن أخذ احتياطه الكافي لما يطرأ من شواغل، تصرفه عن ذلك-ولو مؤقتاً-، لئلا يلوم نفسه في حالٍ لا ينفعه، فتفوت عليه فرصة الخلاص والنجاة.

ت- السيطرة على منافذ الانفلات لديه، المتمثلة بغرائزه، التي تثيره نحو الغضب والشهوة المفرِطَين، بما يوقعه في مهاوي مختلفة، ربما تؤدي به إلى النار، وأنه إذا سيطر على ذلك، يكون قد فاز بتغلبه على التيار الجارف المؤدي إلى فقدانه الرصيد الصالح مما أنجزه في دنياه، فعليه المبادرة إلى اتخاذ القرار بالمقاطعة قبل أن يفاجئ يوماً مّا بالإدبار والتحوّل، وهذا لا يعني إطلاقاً الزهد التام في الدنيا، ليستصعبه البعض، بقدر ما يعني التوازن في استخدام الغريزة، والاستجابة لها، وإلا فالإنذار بالفشل والمرض والفقر والتشرد وغيرها عديد، ما لم يضع حداً لإملاءاتها وتحكماتها، وإنّ من أوضح الشواهد الحية، ما يعانيه كثير من الإصابة بالايدز، والاغتراب في سجن - مغلق أم مفتوح-، والحرمان من فرص الترقي العلمي أو الوظيفي.

ث- التأكد من حقيقة تفاهة ما في الدنيا، بالكم والكيف، فلا العدد يناسب الطموح، كما أنّ الطريقة عادية جداً، والإنسان عالي الهمة يرفض ذلك قطعاً؛ حيث يجد معتوهاً يحير بالمال، ومخترعاً يحير هو الآخر بالمال لكن بتأمين أيسر المستلزمات الحياتية لا بصرفه، كما يجد ميل الدنيا لصغيرٍ فتعطيه مالا يستحق، بينما هي تميل عن كبير فتنزع عنه ما يستحق، والشواهد المتحركة

يومياً غير قليلة؛ فكم من عزيزٍ أو غنيٍ أو حاكمٍ، انقلب سريعاً إلى ذليلٍ وفقيرٍ ومحكومٍ؟، فعليه استقلال كثير الدنيا، كونها منحت الأدنى منه الأكثر من ذلك، فيعلم بذلك أنّ ما فات أعظم، فلماذا السعي وهو ليس بمثمر؟!، وإنّ هذا كله لما يُشنج العلاقة، فتفتر ثم تنقطع، وهذه مؤشرات العداوة، وإنّ الوصول إلى هذه المرتبة مما يتطلب قوةً نفسيةً عاليةً؛ كونه لا يُساير الناس في ما يتجهون نحوه، فيكثر ناقدوه.

ج- التفقه في الأحكام الشرعية كافة؛ للتعلم والتطبيق، فينعكس فكرياً وسلوكياً على السيرة الذاتية، والمنحنى البياني الواضح لما ينطوي عليه، حتى يكون مرآةً صافيةً لما التزمه من مبادئ وعقائد حقة، وبهذا يكون تحركه حاكياً، و ممارساته عاكسةً، فيصبح سفيراً متنقلاً للفكر الذي ينتمي إليه، وناطقاً عن المنهج الذي تعلق به روحياً قبل أنْ ينتمي إليه جسدياً، وهو ما يستدعي الجدّ والمثابرة؛ إذ يهدف إلى ما لا يهدف له عاديّ الناس، فيكون ممن وثِقَ بما لا يراه سواه.

٢٩- قال عليه السلام:

إنّ الدنيا والآخرةَ عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمَنْ أحبَّ الدنيا وتولاها أبغض الآخرةَ وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماشٍ بينهما، كلّما قرُبَ من واحدٍ بعُدَ من الآخر، وهما بعْدُ ضَرَّتان.

يقرر عليه السلام حقيقة قد يجهلها البعض، كما يتجاهلها آخرون، وهي أنّ علاقةً عكسيةً بين الدنيا والآخرة، فلابد من العمل وفقاً لهذه المعادلة القائمة على أساس: القُربُ من أحدهما بُعدٌ عن الآخر، ليفضي ذلك القانون الثابت إلى الجديّة في الاختيار؛ لئلا يضيع العمر، كما يقتضي الدقة في الحسابات؛ لأنّ الخطأ

غير قابل للتصحيح؛ كونه بعد فوات الأوان، وقد استعان عليه السلام بالمثال الموضِّح الذي يدركه العاقل بأدنى التفات، فلا نقاش فيه لأحدٍ، فضلا عن إنكاره، وبالتالي فيتحفز الإنسان إلى تحديد بوصلته، للسير بمقتضى هدفه الذي يريد الوصول إليه، دون الالتفاف والموالاة للعدوين.

نعم، لا يُنكر أننا أبناء الدنيا، كما أنها الحقل الذي ننتج من خلاله الثمار النافعة أخروياً، لكن ذلك لا يقتضي الانشغال المؤدي إلى تفويت الفرصة، بل لابد من التفكير الجاد بالمستقبل الأخروي، من واقع الحاضر الدنيوي، ليفرز ما يبعث على النشاط في تفعيل الفكرة وتحريكها عملياً، توصلاً إلى تأمين الرصيد الملائم، عند وصول المقر الدائم، وبهذا يكون مَنْ يعيش في الدنيا، كمَنْ حلَّ في محطة قطار أو مطار أو ما شاكل، يتأهب ويستعد لمغادرته، كما يعمل على الإسراع في الحصول على ما يحقق له ذلك الهدف، فهو في إقدامه للمحطة لم يردها للإقامة الدائمة، بل يفكر في الاستقرار والاستراحة، المتمثلَين في استبدالها ومفارقتها، وهو في ذلك كله لم يكن متشائماً، أو ممن نظر بطريقة تشاؤمية إطلاقاً.

٣٠- قال عليه السلام:

إنَّ الطمعَ موردٌ غيرُ مصْدِرٍ، وضامنٌ غيرُ وفيٍّ، وربما شَرِقَ شاربُ الماءِ قبل رِيِّهِ، كلّما عظُمَ قَدْرُ الشيءِ المُتنافسِ فيه عظُمتِ الرزيةُ لفقدِهِ، والأمانيُّ تُعمي أعينَ البصائرِ، والحظُّ يأتي مَنْ لا يأتيه.

قد يرجو الإنسان ما لا يحصل عليه، ويشتد تعلقه به، ويزداد طلبه له؛ غفلةً منه عن أنّ ذلك مما لا يتم له، فهو يهتم بتحصيله، على أمل استمتاعه به، واستفادته منه، بينما أنّ المقدَّر له شيءٌ آخر، فقد سار في طريقٍ لن يرجع فيه، ودخل بنفسِهِ لكن سيخرجه منه غيرُهُ، كما أنه وثِقَ بمَنْ لا يوثق به، وكيف يأمن

الإنسان الدنيا ويؤمل طول الإقامة فيها مع ما يراه من سرعة الانتقال عنها بأتفه الأسباب؛ حيث قد يشرب ماءً فيغصُّ به ولا يرتوي، بل يبقى عطشاناً يعاني آثار شَرَقِهِ، إنْ لم يمت جراء ذلك، وهذا ما يعني - على مستوى النظرية والقاعدة - أنَّ الشيء كلما اهتم به الإنسان، ازدادت حسرته على فراقه؛ لذا عليه - بمقتضى دلالة العقل - أن يقلل من علائقه الدنيوية مهما أمكن؛ لئلا يكثر تألمه إذا فقدَها، كما عليه الحزم في اتخاذ القرار؛ كونه إذا استسلم إلى رغباته فسيُغشي ذلك قلبه، ولا يبصر الوقائع بألوانها، وإنما يراها متلونةً بما احتفَّ بها من آمال وأحلام، وهو ما يؤدي إلى اغتشاش الحواس، وإجهاد البدن، مع أنَّ التجارب دالّة على أنّ المقسوم للإنسان يأتيه، وإنْ لم يسعَ هو إليه.

فالدعوة إلى التأكد من أنّ الطمع لا يزيد في الرزق بأقسامه وأنواعه، بل الدنيا تطلب مَنْ لا يتوجه لها، فلماذا العناء، خاصةً وكثرة الأماني مما تسهل تورط الإنسان في مخالفات كثيرة، فلابد من عدم الانسياق وراء الطموحات؛ لما في بعضها من مشكلات، ولما في بعضها من تضييع العمر دون تحقق، فالعلاج الأمثل السعي المتوازن إلى تحصيل ما يريده دون استهلاك الوقت والجهد، فالعِبرُ كثيرة، لا يصح مرورها دون اتعاظنا بذلك.

٣١- قال عليه السلام:

إنَّ الله سبحانه جَعَلَ الطاعةَ غنيمةَ الأكياسِ عند تفريطِ العَجَزَة[1].

يظنُّ كثيرٌ من الناس أنهم عقلاء، حكماء، مصيبون في اختياراتهم، مع أنّ الواقع الفعلي لا يشهد لهم بذلك؛ حيث شاهدوا ما حلَّ بالغير ولم يتعظوا به، بينما كان الأجدر بهم، والأليق لهم أن يوظفوا ذلك الإخفاق نجاحاً، لو استثمروه،

(١) الأكياس: جمع الكيّس وهو مَنْ له رأي وعقل،العَجَزَة: جمع العاجز.

وجعلوا منه وقوداً للانطلاق نحو تصحيح المسيرة، وتعديل السيرة.

فالدعوة إلى الاستفادة من الآخرين، من خلال توفير الفرص، وعدم تفويتها، فإذا ضيع غيرك الفرصة فأدركها أنت، وإلا لم تكن عاقلاً؛ إذ من خصائص العاقل التوقي والحذر، وهذه الحياة مليئة بالفجائع والمصائب، التي يتعرض لها الناس، فما الموجب للانتظار؟! ولاسيما وأنّ الإنسان سيفارق الدنيا فماذا أعدّ، وكيف استعدّ لذلك؟، مما يعني أنّ العاقل حقاً هو: مَنْ يجعل إهمال غيره تحصيلاً له؛ عندما يعيد حساباته، ويجدد قراءته لتصرفاته، كي لا يصاب بغرور التصويب، فإذا ما أفلح في محاولته التصحيحية هذه، عُدّ غانماً وفائزاً؛ كونه اهتدى إلى مواقع الخلل واكتشفها، فستر على نفسه، ولم يُشمت عدوه، مع دلالةٍ على رجحان العقل، وصواب الرأي.

٣٢- قال عليه السلام:

إنَّ الله سبحانه وَضَعَ الثوابَ على طاعتِهِ، والعقابَ على معصيتِهِ؛ ذيادةً لعبادِهِ عن نقمتِهِ، وحياشةً لهم إلى جنتِهِ[1].

من المعلوم وجود قانونَيّ الثواب والعقاب، وإنّ الهدف من جعلهما حفظ الإنسان عن أن يقع في مطبات النار، وتهيئة الفرصة له لدخول الجنة، وإلا فالله تعالى غنيٌّ عن العالمين، فلا تضرّه معاصيهم، كما لا تنفعه طاعاتهم، وإنما أراد توفير الفرصة، من خلال إتاحة الإمكانيات التي يُتوصل بها لتحقيق أُمنية كل عاقل، حيث لا يريد الضياع، بل يبحث عن الضمان لما قدمه من جهود حياتية، مع ما صحبها من مرارات، ومشاقٍ، فلا يرضى بأن يتبخر ذلك كله، ولا يحصل على شيءٍ منه، أو جزائه.

(١) ذيادة: تنحية وإبعاداً،حياشة: توجيهاً وصرفاً الى الشيء من جوانبه.

فالدعوة:

أ- إلى أن لا يسيء أحدٌ الظن، فيتوهم أنّ ممارساته العبادية مما ينتفع بها ربه سبحانه.

ب- وأن يجدّ في توفير رصيدٍ مناسبٍ، يحميه من دخول النار، ويُؤمن له دخول الجنة؛ لأنّ بقاءه في الدنيا محدود، وهو على شاكلة مَنْ سبَقَهُ، ممن مات ولم يصحب إلا عمله.

٣٣- قال عليه السلام:

إنَّ قوماً عبدوا اللهَ رَغبةً فتلك عبادةُ التجار، وإنَّ قوماً عبدوا اللهَ رَهبةً فتلك عبادةُ العبيد، وإنَّ قوماً عبدوا اللهَ شكراً فتلك عبادةُ الأحرار.

الدعوة إلى اختيار أفضل أنواع العبادة، وذلك من خلال الخشوع لله تعالى عن قناعةٍ تامةٍ، واختيارٍ دقيق، وليس عن طمعٍ أو خوف؛ لما في ذلك من دلالة على ارتقاء العابد إلى مستوى الهمة العالية، والرغبة الصادقة، في مقابلة العطايا والمواهب والإمكانيات الممنوحة منه تعالى بالشكر والعرفان، وعدم التنكر والجحود، فيجسّده عملياً بإقباله القلبي على الله سبحانه وإخلاصه له، فلا يذلّ إلا له، ولا يطلب إلا منه، ولا يذوب إلا فيه؛ حيث القوة والعظمة، والجود والعطاء، والاطمئنان والسكينة القلبيين، وسائر مظاهر القدرة، الموجبة لليقين بالله تعالى، واستشعار جلاله، فلا يكون الإقبال بتوقع مثوبة، أو دفع عقوبة، لما يدلان عليه، من المادية الصرفة، بحيث لم يبق مجالٌ، لاختيار الروح وما تمثله من معنوية، هي أقرب في تعبيرها إلى الصدق والواقعية من سواها، لذا على الإنسان أن يختار هذا النوع؛ لما يحمله من دلالات وايجابيات، تكشف عن اغتناء النفس، واعتناء الشخص، فلم تكن عبادته لاستدرار المرغوب، ولا لدفع المرهوب، بل

أسمى وأزهى.

وإنّ الأخـذ بهذه الحكمة، لمـا يدفع باتجاه تطوير أسـلوب العبادة؛ حيث يؤدي البعض طقوسـاً مجردة بدون انعكاس داخلي، وهو ما يعتبر تهديداً حقيقياً لاسـتمراره ودوامه على ذلك؛ لأنه قد يستغني بزعمه، أو يتمرد على مولاه، فلا يرهبه، وعندها يتحلل من ممارسته البدنية المجردة، وبذلك يُتوقع منه الانفلات، ولا يتكهـن عندئـذ بحجم الأضرار المترتبـة، فكان من المنطقـي تعريفه بأفضل انواع العبادة، توعيةً له، وحفظاً لبيئته عن التلوث بمفاسد انفلاته.

٣٤- قال عليه السلام:

إنَّ كلامَ الحكماءِ إذا كان صواباً كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً.

تتضمن الحكمةُ بيان أمرين:

١- التوقـي في أداء المطالب، والتحفظ من إبرازها بغير قوالبها المناسـبة، ليتسـبب ذلـك في توريط أحدٍ بـما لا يعنيه المتكلم، وعندهـا يصعب التصحيح، أو يتحكم الخطأ ويتجذر، فيسـتعصي اقتلاعه، ولا يكتفي أحدٌ بأنه قصد خيراً، وأراد نفعـاً؛ حيث إن الأمور بخواتيمها، فـما دام قد أدى ذلك إلى خللٍ مّا، كان معنـاه حصول داءٍ، لتبدأ مرحلة العلاج، ومـدى التجاوب، ومقدار التأثير، مع أنَّ بالإمكان التوقي لئلا يتحول الدواء إلى داء.

٢- التوقـي في تلقي الأفـكار، والتفتيش عن مصدرهـا؛ حيث قد يُدسُّ السم بالعسل، وتُخلط الأوراق، وتُجهل الحقائق، وعندها يصعب الفرز، وتتعثر عمليـة التغيير، فلا تُجـدي نفعاً، ولا يعني هذا منعاً عن الاسـتماع لكل أحد، أو فـرض الوصاية، ومحاولة الـتأثير ولو النفسي، بـل يهدف إلى التوعية والنصيحة المخلصة، تجنباً لمشكلة تقديس الذات، بعد أنْ يكون الصحيح هو: الاستماع ثم

الحكم عليها؛ إذ أن للحكم المسبق تبعات وسلبيات عديدة، من أبرزها ضياع المقاييس، وتغييب دورها في تلوين الخط البياني وتجليته لقياس الأمور بطريقة شفافة، بدون مؤثرات جانبية، وهذه طريقة القرآن الكريم في التعريف بالحقائق الثابتة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]؛ حيث حفظ لبقية الأطراف حقها في استجلاء الأمور بشكل واضح ومباشر، لكنه لا يسع أحداً الإنكار؛ كونها أدلة مقنعة، تحمل أساليب متعددة، تتسع للمستويات المتنوعة، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[2]، فلنا من الأداء القرآني خير دليلٍ على دقة التشخيص، وعمق الفكرة، وللذات أن تبدي قواها من خلال الموازين المتبعة، وليس بالتصويب المسبق.

وإنّ الأخذ بهذه النصيحة كفيلٌ بتقليص حالات الاغترار بالكفاءة الذاتية، مع الانحراف الفكري، الذي أصاب العديد، فلا يسمح بمناقشة فكرته، أولا يتراجع عنها، باختلاف الحالات.

كما نستشف تحذيراً لَمَنْ رُزِقَ الحكمة، وعلِمَ ما جهله غيرُه، أنْ لا يتوقع دائماً إصابته، بل قد يخطأ، وأنَّ خطأه مضاعفٌ ليس كغيره.

وأخيراً يتجلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[3].

---

(١) سورة سبأ من الآية٢٤.

(٢) سورة يونس من الآية٣٢.

(٣) سورة النساء من الآية٨٢.

٣٥- قال عليه السلام:

إنَّ للهِ عباداً يختصُّهم بالنعم لمنافع العباد، فيُقرُّها في أيديهم ما بذلوها، فإذا مَنَعوها نَزَعَها منهم، ثم حوَّلها إلى غيرهم.

الدعوة إلى بذل ما أنعم الله تعالى به، وعدم البخل بالإنفاق؛ كونه مما يؤدي إلى الفقر، مع الحسرة عندما يرى الإنسان غيرَهُ ينفق وتسخو نفسُهُ بينما كان هو بذلك شحيحاً، لتأتي هذه الحكمة مذكرةً بقوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[1]، الأمر الذي يحفزنا إلى:

أ- الاعتبار، وعدم الإهمال، بل التيقن التام من أنّ ما يحتاجه الإنسان طيلة بقائه الدنيوي مكفولٌ له، وما عداه زائد عن حاجته أصلاً، فلماذا البخل به؟!، بل سينتقل عنه.

ب- وتفعيل نظام التكافل الاجتماعي فيما بيننا، وعدم الإصغاء إلى وساوس الشيطان، وتوقع الاحتياج المستقبلي، وتوهم الافتقار عند الإنفاق، وغيرها مما يُمسك بيد الإنسان في حاضره، ليفتحها ويطلقها في مستقبله، عندما يُدرج في كفنه، ولم يأخذ معه سواه من جميع ما ملَّكه الله تعالى.

ت- والتأكد من دور الإنفاق في تميّز شخصية المُنفِق، وبلورتها على صعيد تعميق الصلة بالله سبحانه، ومعه كيف يصح إهمال ذلك التميّز، أو إلغاؤه في حياة الفرد، والحال أنّا نتباهى بعلائقنا مع المخلوقين!!.

---

(١) سورة النحل الآية: ١١٢.

٣٦- قال عليه السلام:

إنَّ لله مَلَكاً ينادي في كلِّ يومٍ: لِدوا للموتِ، واجمعوا للفناءِ، وابنوا للخراب.

الدعـوة إلى التيقن من حقيقة مؤكدة، - بحيث لا يؤثر عليها تجاهلها، أو تغافلها، بل تشتد بذلك رسوخاً وثباتاً - ، وهي زوال الدنيا، وعدم استمرارها في الإقبال على أحدٍ، أو مصافاته، بل تسـير به إلى نهايته ورحيله عنها، فالإنسـان يعمل على توفير وسائل الإقامة، ويهدف لتأمين السبُل والطرق الكفيلة بتحقيق ذلك له، بينما القانون الطبيعي، والمسـار العـام، على عكس ذلك؛ باعتبار التأثير الكوني على الإنسان، وما يستتبعه ذلك من تحديدات واضحة، ومؤثرة في طريقة تأثيرهـا، وتـرك بصماتها، عـلى الموجودات القابلـة عامة، والإنسـان خاصة، مما يسـتدعي وعياً، ويتطلب إدراكاً، لفهم هذه الحالة الغريبة؛ إذ المعتاد الإقبال على المُقبِل، وعدمه على المدبِر، مع أنَّ الحاصل في علاقة الإنسان مع الدنيا غير ذلك، فكلما ازداد نشـاطاً في توطيد أسـس بقائه، أدبرت عنه حتى تودي به إلى النتيجة الحتمية، وهي الموت.

لذا كانت الحكمة تعكس هذا الواقع من خلال التذكير بمفارقة:

١- الأولاد، مع ما يحتلوه من موقعٍ في نفس الأب أو الأم، مع أن الإنسان لا يستطيع مفاداة ذلك، بل لابد من الافتراق، قريباً أم بعيداً.

٢- الأموال، وهي التي يُشـقي الإنسـان نفسَـهُ في جمعها وتوفيرها، لكنه يتركهـا ويرحل عنها، حتى قد لا يسـتطيع إيداعها عند أحد، أو لا يمكنه منعها عمَنْ لا يرغب به.

٣- الأماكن التي شـيّدها لسكنه أو لعمله، سواء له أو لغيره، ممن يحبهم،

فانـه غير قادر على البقاء فيها، بل يُسـارع أقربهم إليـه إلى مواراته في قبره، وهذا ما يشـكّل دلالة بيّنـة على طبيعة الدنيا في تعاملها مـع أبنائها، وطريقتها الموحدة والدائمة في ذلك، مما يثير انتباه العاقل إلى الحقيقة المذكورة، لئلا يتعامل بقدرٍ من الاهتمام مع الذي لا يبادله ذلك، فيكون متغافلاً، أو مغفّلاً.

وبناءً على تأكد المذكور، ودعمه المستمر بالشـواهد اليومية، مما لا يُحصيه إلا الله تعـالى، فيلزم الحـذر والتوقي من حدوث الانقلابـات المفاجئة، فكم من والدٍ فَقَدَ أولاده، وغنيٍ افتقر، وذي عقاراتٍ لم يبقَ له ما يأويه، وكفى الإنسـان عـبرةً بالنازحـين، والمهجّرين، والمنكوبـين بالزلازل، والمد البحـري، والاقتتال الداخلي، والأوبئة، وسـائر الحالات المسـتجدة والمتتالية، مما تطالعنا به القنوات الإعلامية على اختلافها، مما يُلزِمُنا بفهم هذه الرسائل التحذيرية المتنوعة، وعدم إغفالهـا، ولو بادّعاء كونه ظواهر طبيعية، أو حالات عادية تحدث نتيجة عوامل وأسـباب مختلفة، فإنّ المهم اسـتخلاص حقيقة عدم خلق الدنيا للبقاء، وأنّ مدّ جسـور العلاقـة الودّية التـي تتعدى كونه القـادم الراحل، مما لا يغيّر شـيئاً، بل البراعـة والقدرة الفائقة تتجلى في توظيف الإمكانيات الدنيوية في توفير الرصيد فيما بعدها من عالَمٍ مختلفٍ، سيعاني الإنسان طويلاً لو لم يُسرِع في تهيئة مستلزماته، وهـي متاحة له، ومما يشـترك عقلاء الناس على حُسـنها وأنها ايجابيـة، فما العذر لتاركها؟!، فإنها استجماع خصال الخير، والابتعاد عن مضاداتها.

٣٧- قال عليه السلام:

إنَّ للولدِ على الوالدِ حقاً، وإنَّ للوالدِ على الولدِ حقاً: فحقُّ الوالد على الولد: أنْ يُطيعه في كلِّ شيءٍ إلا في معصية الله سبحانه، وحقُّ الولد على الوالد: أنْ يُحسِّن اسمه، ويُحسِّن أدبه، ويُعلِّمه القرآن.

الدعوة إلى التعرف على الحقوق المتبادلة، توصلاً لتطبيقها، ووصولاً لمرحلة العدالة الاجتماعية، المستوعبة لمتطلبات جيلين من الناس، لهما مشتركاتهما، كما لمرحلتيهما خصوصيات فارقة؛ من أجل ترشيد التعامل القائم أحياناً على الاستبداد، بل العنف، وأخرى على الاستخفاف، بل التمرد، لما يجده كلٌّ من الجيلين من بُعدٍ مسافي في أسلوب المعالجة لقضايا الحياة المتنوعة، أو المستجدة، مما يدعو لتأصيل الحقوق، والتثقيف عليها، كوسيلة حماية من التطرف والتجاوز.

وقد عملت الحكمة على ترسيخ قاعدة الاحترام والمودّة بين الطرفين، للعمل المشترك على تفعيل ذلك حياتياً، فبدأت في التذكير باستحقاق الولد؛ تألفاً لقلبه، وإشعاراً بالعطف والحنان، وهو ما يُتوقع الابتداء به من جانب الوالد؛ حيث أنه لو تجاهله، فسيؤدي إلى حرمان الولد مما لا يستطيع أحدٌ تعويضه به، مع انعكاس ذلك على مستوى العلاقة الثنائية، ثم عطفت - الحكمة - بذكر حقٍ للوالد كذلك، لكنه عليه السلام عندما شرع ببيان التفاصيل، أشعرَ الولد بقدسية العلاقة مع والده، وضرورة مطاوعته، والانقياد له، ما لم يؤد إلى معصية الله سبحانه، الذي لا يتقدم امرٌ على أمره، ويخضع له الجميع، وينقادوا لحكمه، لئلا يتوقع أحدٌ غير ذلك، ويفرض لنفسه حقاً، يستبيح به الحرام، مما يعتبره طبيعياً له؛ كونه الوالد!!، وهنا أراد عليه السلام أنْ يثبِّت حدّاً لتجاوزات العباد، عندما يستسيغ والدٌ أن يأمر ولده بترك عبادة، أو فعل معصية، توهماً لاستحقاقه، ثم

ثنّى عليه السلام بذكر ملامح حق الولد الثلاثة، التي تبدأ معه وليداً، وتصاحبه في مراحله اللاحقة، ليتأمن بعد ذلك حُسن خاتمته، عندما يتعلم القرآن، ويهتم به كمفردةٍ أصيلةٍ في حياته، فيقف عند أوامره ونواهيه، فيتشكل وفقاً لمقتضياته، التي تُنشِط فيه خلايا الخير والصلاح، وتُحفزه نحو الأفضل، فينجو بعمله في يوم القيامة، مما يقع فيه غيره.

وإنَّ التدقيق في اختياره عليه السلام:

أ- الاسم، بما له من دلالة شخصية ترتبط وثيقاً بالفرد المسمى، حتى ينعكس سلبياً عليه، لنعرف أهمية دقة الاختيار، ومدى تأثيره المباشر في بعض تفاصيل حياة المسمى، فيلزم الوالد أنْ لا يقع تحت تأثير ضغطٍ معينٍ، في تسميته لولده، بل يفكِّر في شراكة الولد في هذه القضية المهمة في حياته، حتى لتبدو أكثر أهمية مما هو للوالد، فلا يستعجل، أو يستجيب لرغبةٍ معينة، مهما كانت.

ب- الأدب، بما يمثله من بدايات تربوية، وأسس فكرية، ومنطلقات ثقافية، تبقى مع الولد، فتُسهم في بلورة شخصيته، وتكوين قناعاته العامة، التي تترك بصماتها على قراراته المهمة الكبرى؛ حيث أنَّ إهمال هذا الجانب في حياة الناشئ يُعرِّضه لمخاطر عديدة، قد لا يسلم منها يوماً مّا.

ت- القرآن، بما يمثله من مجموعة مبادئ وقيم سامية، تأخذ به بعيداً عن منزلقات التخلف الفكري والثقافي والنهضوي والعصري وساير ما يلزمه التوافر عليه، باعتباره الإنساني، ذي الدلالة على القيمة المعنوية الكبرى التي يمثلها وجوده الأرضي، فلا يستهين أحدٌ بنفسه، وينحدر إلى الرذيلة والفساد، بشتى مظاهرهما المنتشرة، وهي كثيرة - للأسف - ، بل يعتزّ بخصائصه ومقوماته الذاتية، فيبتعد عن اكتساب عادات غرباء الإنسانية، وإنما يمارس نشاطه الحياتي

العام من موقع شعوره بأنه المخلوق المفضَّل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[2]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3]، وهو ما يبعث فيه القوة لمواجهة موجات تفتيت شخصيته، وإغرائه بمظاهر معينة، تستحلب منه قواه المعنوية والمادية، ليكون قالباً مثالياً، بدون قلبٍ واعٍ لما يُراد به.

فالتدقيق في تركيزه عليه السلام على هذه الملامح البارزة لتقويم شخصية الولد، لما يوضح الهدف من ذلك؛ حيث يصلُب عوده، ويقوى للتغلب على المؤثرات القاهرة، التي لا غناء بالمال عنها، لكنها تسدّ فراغه؛ من خلال تمكّن حاويها لتحصيل وسيلة العيش الكريم، بقدراته، ومواهبه، التي نمت في ظلِّ تربية الوالد، وأجواء القرآن الراعية للسعي الدنيوي، والإفادة من الإمكانيات الهائلة التي أتاحها الخالق تعالى، وهيأها لعباده قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[4]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾[5]، ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الاسراء الآية: ٧٠.

(٢) سورة لقمان الآية: ٢٠.

(٣) سورة التين الآية: ٤.

(٤) سورة الملك الآية: ١٥.

(٥) سورة الحج من الآية٦٥.

(٦) سورة الجاثية الآية: ١٢.

٣٨- قال عليه السلام:

إنْ لم تكنْ حليماً فتحلَّمْ، فإنه قلَّ مَنْ تشبَّهَ بقومٍ إلا أوشكَ أنْ يكون منهم.

الدعوة إلى ضبط الأعصاب والسيطرة على انفعالات الإنسان الخارجة عن الحدود المسموح بها؛ لما في ذلك من توريطٍ للإنسان نفسه، وإساءةٍ لمجتمعه، مع الأخذ بنظر الاعتبار حراجة الموقف إزاء بعض ما يواجهه الإنسان؛ حيث أشار عليه السلام إلى إمكانية استعمال أسلوب التشبه والمحاكاة حتى يعتاده الإنسان، فيكون جزءاً من واقعه اليومي، بما يقلل من حدوث المصادمات، وهو أمرٌ مهم على صعيد العلاقة الاجتماعية، لذا يؤكد المصلحون عليه بشتى الوسائل، وفي مختلف الأوقات؛ حرصاً على إقامة دعائم المجتمع الصالح، الذي يتطلع أفراده إلى علاقات ايجابية مع شركائهم في الوطن، وباقي المشتركات، والتي لا تعمر الحياة فيها ما لم يسود شعورٌ بالقربى الروحية، والألفة القلبية، بما يمتص سلبيات الآخرين ويمررها؛ كي لا تتعكر أجواء الصفاء، وعندها يضيق الوطن، فيفضِّل مَنْ لم يتحلم الهجرة، ولكن مَنْ يضمن عدم تكرر التجربة؟، كما إلى متى يظلُّ مهاجراً وهاجراً؟، أليس من الأجدر به أن يستمع للإمام عليه السلام وهو الخبير، فيعمل على ترويض نفسه، وتسييسها حتى يتمكن من قيادتها، لئلا توقعه في المهالك، أو الإحراجات، التي تضيق فيها عبارات الاعتذار عن التعبير عما يعانيه من الحرج والخجل، فضلاً عن توقعات مقابلة الطرف الآخر بالمِثْل، ومعها تتأجج المشاعر، ويفلت زمام الأمر عن صاحبه.

وأما لو لم يحرج الإنسان لذلك، فهو ممَنْ لا تُرجى لهم العافية.

وإنّ قوله عليه السلام: فإنه قلَّ مَنْ تشبَّهَ بقومٍ إلا أوشكَ أنْ يكون منهم، لما

يُعَدُّ تحليلاً نفسياً وتقويماً تربوياً في الوقت نفسه؛ حيث أبدى أنَّ مخالفة النفس في ما تُمليه من تعنتٍ وتزمتٍ في ذلك الموقف لأمرٌ صعب، فيحتاج إلى مواجهة النفس بحكمة، وبما لا يصعب كثيراً ممارسته، وذلك بأن يجرب الإنسان ما فعَلَه آخرون، اعتماداً على أسلوب العقل الجمعي الذي ينقاد معه الإنسان؛ للمؤثرات القوية التي يمتلكها المجتمع، كمؤسسة جامعة نافذة، يمكن من خلالها تحقيق العديد من المنجزات، التي يصعب إنجاز واحدة منها لولا رصيد المجتمع بصفته الجمعية الوحدوية لدى الأفراد، وعندها فتسهل المهمة، ويتجاوب معها الإنسان، بمختلف التبريرات والرؤى، ولو تجنباً لتوليد العنف للعنف، وإقحام الفرد بل آخرين معه في سجالاتٍ، يصعب التكهن بنتائجها، فينشغل مجموعة من الناس بتوافه المشاكل، فيعيقهم عن معالجة الأهم، فيستفحل داء الناس ويتغلغل بينهم، فتتشابك الخطوط، وتكثر الأخطاء، وهو ما يلوم الإنسان نفسه عليه.

ومن هنا تبرز أهمية الحكمة، كطريقة خالية عن فرض الرأي بقدر ما تتبنى الإقناع وتعمِّق ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع.

٣٩- قال عليه السلام:

إنَّ المسكينَ رسولُ الله، فمَنْ مَنَعَهُ فقد مَنَعَ اللهَ، ومَنْ أعطاهُ فقد أعطى اللهَ.

الدعوة إلى التعامل اللائق مع شريحة الفقراء والمحتاجين بدون صدٍّ أو عنف؛ كون ذلك مما يرتبط مباشرة بالله تعالى؛ حيث يُخضِع ذوي الأموال للاختبار؛ كيما يتيح لهم فرصة إثبات استحقاقهم لهذه النِعم، وقدرتهم على التعبير عن شكرهم لمنعمها تعالى، بالإعطاء منها لمبعوثيه ورُسُلِهِ، وعدم منعهم

أو صدِّهم، إيماناً بكونه تعالى المنعم والمبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، مما يجعلهم ينطلقون بصدق وحماس للشكر العملي والعرفان القلبي لما منحهم تعالى من المواهب والنِعم، باختلافها مما لا يعدّه العادّون.

وفي هذا موعظة تخفف من وهج اغترار الإنسان، عندما يرى ما يطغيه ويوهمه بالقدرة والبقاء، فيتصور أنه كلّما ازداد تعالياً وترفعاً، زاد رفعةً وعزةً، فكان من الضروري بيان حقيقة أنّه المؤتمن الذي يلزمه بكل الاعتبارات أداء الأمانة، وعدم نكران الجميل، وتذكر تقلّب الأحوال، فما حلَّ بهذا الطالب اليوم، قد يحلُّ بالمطلوب منه غداً، وشواهد الدنيا عديدة.

وقد كان وصف المسكين بأنه رسول الله مهماً، لما يمثله موقع الرسول من دلالات على القرب والصلة، لئلا يستهين به أحدٌ، كونه فقيراً محتاجاً، كما يدل على الاحترام والتوقير؛ حيث يقع العديد من ذوي المال في هذا المطب، عندما لا يعتنون به، فكان أسلوب المعالجة حاسماً، بالربط المباشر بالله تعالى، فيشعر الفقير باعتباره المعنوي، ورفعته العالية، بما يتمناه كثيرٌ ولا ينالونه، وبهذا يمكن الحدّ من تأثير الفقر على الفقير حتى يبلغ به إلى الجريمة، كما يرفع من معنويته ليستطيع مواصلة الطريق.

وقد رُوِيَ عنه عليه السلام أنه قال: السائلُ رسول ربِّ العالمين، ليبتلي به، فمَنْ أعطاه فقد أعطى الله تعالى، ومَنْ ردّه فقد ردَّ الله تعالى[1]، مما يشترك في جوهر الحكمة ومضمونها، ويساعد على تقليل الفوارق الاجتماعية، وما توجبه من آثار مؤلمة ومؤسفة.

---

(١) دعائم الإسلام٢/ ٣٣٢ح١٢٥٥ - جامع أحاديث الشيعة٩/ ٦٣٠ب٤٢ح٣٠.

٤٠ - قال عليه السلام - معزِّياً قوماً عن ميتٍ - :

إنَّ هذا الأمر ليس بكم بدأَ، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبُكم هذا يسافرُ، فعدّوه في بعض أسفارِهِ، فإنْ قدِمَ عليكم وإلا قدِمتم عليه.

الموت من السنن الكونية العامة في الحياة الدنيا، التي تنتهي به حياة الكائنات الحية بعامة، فلابد من التعامل معه على هذا المفهوم لئلا تتعمق الفجوة في داخل الإنسان، بينه وبين هذا المصير الحتمي، مما يؤدي إلى الاعتراضات والكراهية والخوف، الأمر الذي أوجب ضرورة تصحيح الفكرة، والتثقيف على التعامل بواقعية مع قضايا الحياة عموماً، والابتعاد عن تهويلها من خلال تحجيمها بأكبر من حجمها الطبيعي، فيكون دالاً على ضعف التشخيص، وهو مالا يليق بالإنسان الذي يسعى للتكامل، فالموت انتقال من محل إلى آخر، فهو سفر من الأسفار، فإما أن يعود المسافر إلى أهله أو ينتقلون هم إليه، فلا فراق أبدي، بل مؤقت ما زال لم يحن موعد سفر الغير، مضافاً إلى كونه انتقالاً إلى ضيافة الله تعالى الكريم المنعم، وانتقالاً إلى دارٍ يستقر فيها الإنسان بعد معاناة الدنيا، وما قاساه فيها، فلماذا الاستغراب؟!، نعم البكاء أو الحزن لفقد العزيز أمرٌ غريزي، تفرضه الطبيعة، لكن لابد من السيطرة عليه لئلا يجزع أو يعترض المؤمن من قضاء الله وقدره، فيذهب أجره على مصابه، كما لابد من التجلّد أمام المصائب والصبر عليها، وتحويلها إلى رصيد تعليمي، يتمرس الإنسان من خلاله على التعامل مع مصاعب الحياة وشجونها.

وقد كان اختياره عليه السلام دقيقاً في افتتاحه تسليته للمفجوعين، بأنهم ليسو الأول أو الآخِر، بل هذا شأنٌ حياتي عام، فيلزم النهوض بالمسؤولية الملقاة شرعياً واجتماعياً، وعدم التقصير فيها بعذر المصاب؛ لما لذلك من تبعات

سلبية كثيرة، ولو عزَّ على الإنسان استذكار ذلك، فعليه أنْ يجعل ذلك كمفارقة جسدية، تتبعها ملاقاة.

فالدعوة إلى مواصلة الطريق وإنْ عزَّ المصاب، كون التوثيق العملي لمودة الفقيد تبرز من خلال الاستمرار في خط الحياة ضمن محور الإبداع والتواصل المثمر.

٤١ - قال عليه السلام - وقد سُئل عن معنى قولهم (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله)-:

إنّا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلا ما ملّكَنَا، فمتى ملّكَنَا ما هو أملك به منّا كلّفنا، ومتى أخذه منّا وَضَعَ تكليفَهُ عنّا.

الدعوة إلى استحضار مالكية الله تعالى، والتصرف على هذا الأساس، وعدم التغافل عن ذلك، مهما تملَّكَ الإنسان، وعُدَّ ثرياً أو قوياً؛ كون مقومات الملكية والقوة بيد القادر المقتدر الذي ليس كمثله شيء ولا يعدله شيء مهما كان، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1] ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[2]، مما يعطينا معنى الإحاطة والحاكمية، ثم كيف يُتوقع ملكية أحدٍ سواه، مع أنه المسبوق بالعدم المحتاج للإيجاد، فضلاً عن الرزق والتمويل؟!، غير أنه تعالى أنعم على مخلوقاته بنِعَم كثيرة، وبمختلف الجهات، فكان الإنسان-مثلاً-مزوداً بالعقل والأعضاء الجسدية الذي يستطيع الإبداع والوصول إلى تحقيق مراده بوسائل متنوعة، كما يمكنه التكيّف مع ما حواليه فيحصل على مطلوبه بحسب قابليته في التعبير

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٨.

عما يريد، وعندئذ فيكلفه تعالى بتكاليف تتناسب مع واقعه الإدراكي والحياتي، بحيث لا يكون عسيراً عليه انجازه، وأما لو لم يمنحه ذلك، فلا يكلّفه، بل يرزقه، ويكون لوجوده غرض آخر، قد لا ندركه.

وبالتالي فترديد (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله) يعني الإقرار والتسليم، وهو أمر دائرٌ بين الناس عندما يوثقون انتماءاتهم الوطنية أو القومية أو سائر ما يلتزمون به، ولا يعدُّ ذلك مظهراً للتخلف أو ما شابه، بل هو أسلوب متحضر، وما أحوجنا إلى تطبيق ذلك دائماً؛ لئلا يصيبنا الذهول عن هذه الحقيقة، فنعمل في غيابٍ منها، لتزدحم أمامنا المشاكل، التي لا راحة منها إلا بالرجوع إلى استذكار هذه العبودية والمالكية، عسى أن تترشد تصرفاتنا، فنحمي أنفسنا من الدمار الشامل الذي يحيق بنا، من خلال السقوط بين أيدي ظالمينا، ممن يبيح وسائل التدمير بأيدي العابثين، والله المستعان ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

٤٢ - قال عليه السلام:

إنما المرءُ في الدنيا غَرَضٌ تنتضِلُ فيه المنايا، ونهْبٌ تُبادِرُهُ المصائب، ومع كل جُرعةٍ شَرَقٌ، وفي كل أكلةٍ غَصَصٌ، ولا يَنالُ العبدُ نعمةً إلا بفراقِ أخرى، ولا يستقبلُ يوماً من عمره إلا بفراقِ آخر من أجله.

فنحن أعوانُ المنون، وأنفسنا نصبُ الحتوف، فمن أين نرجو البقاءَ وهذا الليلُ والنهارُ لم يرفعا من شيءٍ شَرَفاً إلا أسرعا الكرَّة في هدمِ ما بنيا، وتفريق ما جمعا!![1].

---

(١) غرض: هدف، تنتضل فيه المنايا: تصيبه الحوادث والآفات ومنها الموت، نهب: الشيء المنهوب، تبادره: تعاجله وتستبق اليه.

الدعوة إلى استحضار الإنسان لمشاهداته اليومية في الدنيا، وما يجري فيها، مما يكفي لتوعيته وتذكيره لئلا ينخدع بحالها، فيطمئن بوعد، أو يأمن لحال، بل أنّ استعادة الذكريات كفيلٌ باكتشاف هذه الحقيقة الدنيوية الحاضرة الغائبة، فإذا افتقد الإنسان عزيزاً، فعليه أنْ يُدرك أنه كان معه وقد ودّع الدنيا وخرج كما دخلها مجرداً، إلا من عمل صالح عمِله، وكذلك أحداث اليوم التي تجري على المعارف أو غيرهم كفيلةٌ أيضاً بالتدليل على تلك الحقيقة، فمشاهدة حادثة على الطريق، أو من خلال نشرات الأخبار، مع ما تحمله من دلالات على تقلّب الأحوال، وعدم اتساقها مع أحد، لما يؤكد أنهما كانا سوية ثم تغيّر حال صاحبه، وقد يكون الدور له، وهكذا التغييرات الوظيفية، أو الخسارات التجارية، أو المعاناة الأخرى مما يمرُّ به الإنسان يومياً، إنما هي رسائل سريعة، على العاقل أنْ يُحسن قراءتها وفهمها، وكذلك الترقيات والأرباح وسائر الأفراح، لدليل آخر على كون الدنيا هدفٌ للمنايا؛ كونها تبحث عن فرائس، وأنها - ما لم يحفظ الإنسان نفسه ويخلدها بالطاعات- بلا أدنى مستلزمات الأمن، والشواهد كثيرة؛ فقد يشرق إذا شرب الماء، ومعناه - أحياناً - الموت نتيجة الاختناق، كما قد يغص بأكلة - ولاسيما إذا كانت مفضلة لديه -، وهو مع هذا كله إذا تحسن وضعه المادي في مجالٍ، ساء في غيره، فالمال يأتيه بعد اعتلال الجسد، وفقدان الأمن أو الولد أو الانسجام العائلي أو سوى ذلك من المنغصات والمكدِّرات المختلفة، كما أنه خاضع للعدّاد الذي ما إنْ يزداد رقمياً، إلا تدنّى النشاط وفترت الهمة، وهذا كله ناتج عملية السعي الدنيوي الحثيث الذي مارسه الإنسان طيلة ما مضى.

والحصيلة عندئذ: أنّ الإنسان أعانَ الموتَ في القدوم، وهو ملحوظ بالنسبة لَمَنْ لا يلتزم بنظام الصحة العامة وقواعدها في المجالات عامة، سواء

على صعيد محللات الأمور أم محرماتها؛ فإنّ للدورة الزمنية تأثيراتها الطبيعية الخاصة، ليحصل ما أشار إليه عليه السلام من تناوب الليل والنهار على عمليتَي البناء والهدم، فما اجتمع بالجهد المبذول خلالهما، سيتفرق خلالهما أيضاً.

وينبغي أن تُفهم الحكمة بدقة لئلا يتوهم أحدٌ أنها تدعو إلى ترك الدنيا، أو الإعراض عنها، أو نحو ذلك مما يتنافى مع الحيوية والنشاط والطموح، بل هي أداة تحذير، للتنبيه ممَنْ دَرَسَ حال الماضين، فاستخلصَ من تجربتهم أنَّ تاريخ ولادة الإنسان، بما يُمثله من بداية العدِّ التصاعدي، هو بداية للعدِّ التنازلي أيضاً، فلابد من التكيّف ضمن هذه الحالة، بل توظيفها لصالح الإنسان وخلوده بالعمل المقرب من الله تعالى.

٤٣ - قال عليه السلام - في بعض الأعياد - :

إنّما هو عيدٌ لمَنْ قَبِلَ اللهُ صيامَهُ، وشَكَرَ قيامَهُ، وكلُّ يومٍ لا يُعصى اللهُ فيه فهو يومُ عيدٍ.

هناك تصور لدى الشعوب عامة، يسجلوه على ساحة الواقع الخارجي، وهو أنّ العيد فرصة لهو وعبث، ومجال فسحة، وعندئذ فلا مجال للجدّية مطلقاً، وهو ما يتوثق دورياً فيما تعرضه شاشات التلفزة على اختلافها، بل ما يتهيأ له كوادر الإعداد فيها قبل العيد بفترة، لتكون الاستعراضات كما المسلسلات والمسرحيات وسواها مما لا يهدف لغرض نبيل، بما يُبرز حالة من الفوضى المنظمة، وهو أمر يستدعي المعالجة، فكانت هذه الحكمة قد رصدت هذا التصور، فقدمت في مقابله رؤيةً تستحق التأمل والتحليل، لاستخلاص ما يصحح المسيرة، ولاسيما وأنَّ الحالة في تقدم مستمر.

وقد كان عليه السلام دقيقاً جداً، عندما ذكَّر بأنَّ العيد يسبقه شوطٌ من العمل،

فلابد من تقييم الانجاز، وأنه هل كان بمستوى الفرح به أم لا؟، فمَنْ تأكد من ذلك فيحقُّ له الاستمتاع بالحياة وجمالها، وإلا فأولى به أن يصحح عمله؛ حتى لا يتكرر منه الخطأ، وإلا فلا يُعد ناجحاً في الاختبار، ثم لماذا الاقتصار على مناسبات معينة سنوية، بعد أن يكون الإنسان خاضعاً باستمرار للاختبار، فعندما يقيّم عمله بايجابية فهو ممَنْ يستحق الاحتفال، وإلا فهو من الخاسرين.

وإننا المسلمون عندما نحتفل بالأعياد العامة، لابد من ملاحظة درجة موافقة عملنا لما طُلِبَ منّا، فإن كانت عالية، وإلا فالأليق بنا أن نعيد البناء والتقويم، ففي عيد الفطر:

هل كان أداء فريضة الصيام كما أمَرَنَا الله تعالى به؟.

وهل كان تواصلنا فيما بيننا كما أراده منّا؟.

وهل استفدنا صحياً وروحياً من هذا النظام الدقيق؟.

فهل تعوّدنا الحُمية في ما نتناوله؟، والابتعاد عما لا يلتئم مع أخلاق المؤمن وقيمِهِ الفكرية التي ينتمي إليها؟.

وهل تخففنا من تراكمات نفسية تكلّست عبر رحلة السنة؟.

وهل أدركنا أنْ ليس كل المباحات نمارسها؟.

وهل اعتدنا تخصيص جزءٍ من الليل للهدوء الروحي من خلال الانطلاق في رحلة التصحيح اليومي بالمحاسبة والاستغفار والتعرف على نقاط القوة لدينا؟.

وهل تعلّمنا درساً في الكف عن المنافيات بعامة؟.

وهل حرصنا على مواعيدنا، كما كنّا نحرص على معرفة وقت الإفطار؛ لنرتوي ونشبع؟.

ثـم هل زكّينا الجاه والعلم والمعرفة والمال وسـائر مـا منَحَنا الله تعالى؟ كما زكينا أبداننا بزكاة الفطرة.

وفي عيد الأضحى:

هل أدركنا العمق الدلالي للحث الشرعي على ذبح الأضاحي، وما تعنيه المدة الزمنية الممتدة بين عاشر شـهر ذي الحجة إلى الثالث عشر منه، من توسـعة وقتية عسى أن يتوفق العبد لمواساة إخوانه المؤمنين؟.

وهل وسَّعنا دائرة إنفاقنا، وتفقدنا ضعافنا؟.

وهل شكرنا نِعَمَ المنعم تعالى؛ إذ وافتنا نِعَمُهُ، وتيسرت لنا أسباب العيش الكريم؟.

وهـل عرفنـا معنـى أن تكون الأضحيـة أثلاثاً، لتشـمل النفـس والغير، الغني والفقير؟، وأنّ ذلك مظهر للتراحم والتواصل، وأن على الإنسان كما يهتم بنفسه، أنْ يتفقد الآخرين، لما في ذلك من إدخال السرور عليهم، والألفة معهم، وكسبهم على صعيد العلاقات الاجتماعية.

وهـل اتضح لنا مدى الاعتناء على مسـتوى التشريـع بشريحة المحتاجين، حتـى كانـت هذه فرصـة لإدخال السرور عليهـم بتوفير مادة اللحـوم لهم، وما يعنيه مـن دلالة على الاهتمام والعناية الخاصة، وما يعنيه تأمينها كمادة ذات قيمة غذائية يحتاجها الجسم، مما يُنعش تلك الأجساد ويقويها، والاهم معرفتهم بعدم تغافل مواطنيهم عنهم، مع ما فيه من دعم معنوي كبير، ولاسيما في العيد، الذي يفرح فيه الناس.

وفي يوم الجمعة: بما يعنيه من كونه عطلة عامة، حتى أُتخِذَ العطلة الرسمية في بعـض البـلاد - قبل أن تقفز أولويات أخرى، لتغـيِّره إلى ما يُلغي خصوصية الهويـة المسـتقلة للمسـلمين، فذابـوا في غيرهـم -، فالجمعة يمثل يـوم تقييمٍ لما

سبق من منجزات، وجدولةٍ لما يلحق، فهو يوم لإعادة برمجة النظام الداخلي في يوميات الفرد والعائلة، وليس لتضييع الوقت بالنوم واللعب، ويمكن الجمع بين الراحة الجسدية مع التفكير والتخطيط، الذي لا ينقطع عنه وعاة الناس ومبدعوهم، بل المنع عن ذلك تحجيم ومعاناة لهم، فهم يرون الراحة في النشاط الواعي، والذي لا يعني بالضرورة الشد العصبي أو المقاساة الجسدية، بل راحة هادفة لحياة أفضل، ففي يوم الجمعة العيد:

هل فكّرنا في تغيير المستوى المعيشي أو الثقافي أو غيرهما في مجتمعنا، لنرتقي إلى مستوى أفضل؟.

وهل أتحنا فرصة القراءة والمطالعة لأهلينا؛ لنحصنهم من الجهل، ونحميهم من الانحراف؟.

وهل اهتممنا بالعائلة لنعطيها بعض الوقت؛ لئلا تفتر العلاقة لتبقى على مستوى اللقاء الرتيب - إنْ أمكن -؟.

وهل كانت الجمعة راحةً للروح كما جعلناها راحةً للجسد، فللمسجد حقه؟.

ثم هل عرفنا أن أسبوعاً مضى وآخَر متوَقَع، وهو ما يعني رسالة تبليغ بالعدِّ الزمني العكسي؟.

وهناك عيدٌ الولاية الالهية: الغدير الأغر:

هل استعدنا فيه التفكير بثوابتنا العقيدية، لنأمن الانحراف وسوء الخاتمة؟.

وهل حفظنا أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيه، لنقابِل المعترضين بالحجة الواضحة؟.

وهل فكّرنا بمستقبل أبنائنا ونحن نخرجهم من البيوت بلا توعية تحصنهم

من سلبيات الاختلاط وما ينتج عنه من تشويش قد يؤدي إلى الضلال؟.

وهل كان الاهتمام بقضايانا بمستوى الحدث أم مجرد احتفال، لينتهي كل شيء بانتهائه؟.

وهل التزمنا رعاية الاحتفال في ذكرى الغدير، ونحن مغتربون عن أوطاننا؛ لنُعرِّف بهويتنا، وندعو ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[2] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3]؟.

وهل انتمينا لصاحبَيّ الذكرى محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام انتماءً عقلياً وفكرياً وعاطفياً، فجسدناه عملياً، على صعيد القول والفعل، لنكون الأوفياء للمبدأ، فيعرفانا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[4] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[5] ويشهدان بأنّا ممَّنْ يشمله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[6] لنفوز برحمته تعالى ورضوانه، مع ما لذلك من شروط؟.

إذن، فهناك مسؤولية التزامية مع الوقت والطاقة، يلزمنا أداؤها. وكذلك الحال عندما نحتفل بالأعياد الخاصة، والمناسبات الوطنية أو غيرها، فهل أعددنا

---

(١) سورة آل عمران من الآية٦٤.

(٢) سورة الاسراء الآية: ٩.

(٣) سورة الزمر الآية: ١٨.

(٤) سورة آل عمران من الآية٣٠.

(٥) سورة آل عمران من الآية١٠٦.

(٦) سورة التوبة الآية: ١١٩.

شيئاً يُوثق لاهتمامنا به ولحبِّنا له، لنبرهن على إخلاصنا؟.

وهل كانت احتفالية تعريفية بما قدّمنا، لنناقش المنجزات ونقيّمها؟.

أم كانت لمجرد لبس الجديد، والأكل والتعارف، لنبرز نحن من خلال هذه المناسبات، دون أن يرقى الاهتمام إلى تحسين الأداء، وبذل الجهد المثمر؟.

فالحكمة تدعو إلى استثمار الوقت والجهد، دون الاكتفاء بما يكتفي به الأحباب الصغار.

٤٤ - قال عليه السلام - وقد سمع رجلاً يذم الدنيا - :

أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها ثم تذمها، أتغتر بالدنيا ثم تذمها، أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك؟ متى استهوتك أم متى غرَّتك؟ أبمصارع آبائك من البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللتَ بكفيك، وكم مرَّضتَ بيديك، تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدَهم إشفاقُكَ، ولم تُسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع عنهم بقوتك، قد مثَّلَتْ لك به الدنيا نفسَكَ، وبمصرعِهِ مصرَعَكَ[1].

إن الدنيا دارُ صدقٍ لمَنْ صدَّقَها، ودارُ عافيةٍ لمَنْ فَهِمَ عنها، ودارُ غنىً لمَنْ تزوَّدَ منها، ودارُ موعظةٍ لمَنْ اتعظ بها، مسجدُ أحباءِ الله، ومصلى ملائكةِ الله، ومهبطُ وحيِ الله، ومتجرُ أولياءِ الله، اكتسبوا فيها الرحمةَ، وربحوا فيها الجنةَ، فمَنْ ذا يذُمُّها وقد آذنتْ ببينِها، ونادتْ بفراقها، ونعتْ نفسَها وأهلها، فمثَّلَتْ لهم ببلائها البلاءَ، وشوَّقتْهم بسرورِها إلى السرور،

(١) المتجرم: المدّعي للجرم على غيره،البِلى بكسر الباء مصدر الفعل بلي يَبلى فهو بال: إخلاق الشيء وتحوله الى حالة أخرى.

راحتْ بعافية، وابتكرتْ بفجيعة، ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمَّها رجالٌ غداةَ الندامة، وحَمَدَها آخرون يومَ القيامة، ذكَّرَتهم الدنيا فتذكَّروا، وحدَّثَتهم فصدَّقوا، ووعظتهم فاتعظوا[1].

الدعوة إلى أن يصدق الإنسان مع نفسه، فلا يعدد مساوئ الدنيا، مع أنها قد أعلنت عنها بوضوح؛ وذلك بعد أنْ لم تُبقِ قريباً، برحيلهم جميعاً، مما يُعدُّ رسالة واضحة موجهة لمَنْ يهمه الأمر، فإذا لم يقرأها أحدٌ، فليس من حقه ذمُ الدنيا؛ لعدم المبرر بعد فراق الأحبة، فلم تُخفي حالها، بقدر ما انخدع الإنسان بها، وتوهم معاملةً خاصةً، ولم يتبين أن ذلك شأنها وطبعها، الذي لا يتغير ولا يزول، فلم تدم للأنبياء والأوصياء، مع عظيم منزلتهم، وأهمية وجودهم الدنيوي الأطول، ومع ذلك لم يتغير حالها، فكيف تعاملَ معها الإنسان على أساس البقاء والدوام؟!، أليس قد مَرِضَ مَنْ مَرِضَ ومات؟!، ألم ينبئ ذلك عن زوالها وتحوّلها؟!، فبالتالي لم تستر هي واقعها، ليذمَّها الإنسان، وإنما لم يتلقَ رسائلها المتواصلة بجدية، بل على أساس كون الموت حالة طبيعية تمرُّ بها الكائنات الحيَّة، أو أنّ للإنسان حدّاً في الدنيا، فإذا انتهى تعطَّل عن أداء دوره، أو غير ذلك من الأعذار، مما يعطِّل لديه المجسات العاملة على تنبيهه، يتحسس من خلالها قرب قدوم الموت، ويستشعر دنوه، فلم يفسر المرض على أنه علامة التدني الصحي، وعليه أنْ لا يغترَّ بالعافية والنشاط، كما لم يفسر الفقر على أنه علامة تحوّل الدنيا، بل توهمه مجرد إفلاس وتصفير الحسابات، وهكذا غيرها كتحوّل المنصب، وفقْدِ الحبيب، والاغتراب عن الوطن، وتحكّم الذليل الدنيء، وذلة العزيز الرفيع، وسواها مما تحتاج إلى دقة القراءة، ومعرفة الدلالة، وعندها فالدنيا:

---

(١) البين: الزوال والفراق، ابتكرت: أصبحت.

أ- حقلٌ لإنتاج الخير بأنواعه كافة، لو استخدمها الإنسان كذلك.

ب- كما أنها أمينة على أخبار مَنْ مضى؛ ففيها آثارُهُم تدلُّ عليهم، وتخبر عن مستوى أدائهم، فهي صادقة ولو كانت خدّاعة؛ حيث لا تستطيع تزوير الحقائق أو تغييبها.

ت- وأيضاً فهي سخية تفسح المجال لمَنْ يريد التبضع مما يحتاجه في مستقرّه الأخروي؛ ففيها أنشطة كثيرة، يستطيع الإنسان اختيار أكثر من واحد ليتحول إلى رصيدٍ نافعٍ في حالات العُسر والحاجة، فهي تعطيه فرصةً كافيةً مع أنها في زوالٍ وانقضاء.

ث- وكذلك هي محلٌ ملائم للطاعات باختلافها؛ ففيها العبادة بأشكالها من صلاة، وصِلة، ودعاء، ومناجاة، وغيرها مما لا يتهيأ له في دار الآخرة، ولا غرابة في ذلك بعد أنْ كانت:

١- محطة نزول الملائكة رُسُلِ الله تعالى إلى أنبيائه وصفوته من خلقه.

٢- ومركزاً ينطلق منه أولياؤه وعباده الصالحون، فيستثمروا أموالهم بما يعود عليهم بالنفع والربح الحلال، والذكر الحسِن بين الناس، مما يُكسِبَهم المال والأجر معاً، كاستنماء الأموال واستثمارها، فيحركوا عجلة الاقتصاد، ويدفعوا بأولئك العاملين إلى بلوغ الآمال والأماني، فنمت أموالهم، كما لم يفتهم تحصيل الثواب - لو تقربوا بذلك لله تعالى -، والسمعة الحسنة بين الناس- لتشغيلهم الأيدي العاملة -.

ثم ماذا خفيَ منها ليذمّها الإنسان؟، أليس:

أ- بدا لكل أحدٍ زوالُها؟.

ب- وأخبرت بحالها عن أنها دارٌ تُفتقد فيها الأحبة؟.

ت- ويُمسي فيها الإنسان بغير ما سيُصبح عليه؟، نعم إنما يذمّها النادم، الذي لم يستفد من رسائل التحذير المتكررة، بينما هناك صالحون عملوا فيها فربحوا، فكانوا قد استفادوا من تقلّباتها، وانتفعوا من أحوالها، ففازوا بالجنة والنعيم المقيم، فعلى العاقل الاتعاظ، وأنْ يصدق مع نفسه في حالة تحديد مَنْ المقصر، لئلا يفوته الأوان، وإلا كيف استفاد أفاضل البشر من هذه الدار، ووصلوا إلى ما بلغوه من الدرجات العُلى ورضوان الله تعالى؟.

٤٥- قال عليه السلام:

أيها المؤمنون إنه مَنْ رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبِهِ فقد سَلِمَ وبرئ، ومَنْ أنكرَهُ بلسانِهِ فقد أُجِرَ وهو أفضل من صاحبه، ومَنْ أنكرَهُ بالسيفِ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا وكلمةُ الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصابَ سبيلَ الهدى، وقامَ على الطريقِ ونُوِّر في قلبِهِ اليقينُ.

الدعوة إلى اتخاذ الإجراء المناسب فيما لو عُصيَ الله تعالى وانحرفت المسيرة عن خطها الصحيح، فيُبدأ بالاستنكار القلبي؛ لئلاَ يُعدَّ مؤيداً ومشجعاً للباطل، ثم إن كانت فرصةٌ للردع القولي، بالنصيحة والتذكير بعواقب الانفلات، مع بيان ما وَعَدَ اللهُ تعالى به المؤمنين من الثواب على طاعته؛ ليتحفز طمعاً بالثواب وإدراكاً للأجر الموعود، فإنْ لم يؤدِ الغرض المرجو، فيُلجأ إلى الردع الفعلي، مع التورع عن الأكثر لو ارتدع بالأقل؛ لئلا يتخذها ذوو الأغراض الشخصية طريقاً للوصول إلى أهدافهم، والأخذ بالثارات السابقة، فلا يكون - عندئذ - من إنكار المنكر، بل الوقوع فيه، وهو أعظم؛ كونه تدليساً وخداعاً؛ إذ الهدف هو إحقاق الحق، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وبسط الأمن الاجتماعي؛ حيث

لا يأمـن أحـدٌ عند شيوع المنكر وانتشـار العدوان، بـما يُمثله من انتهـاكٍ للقيم الإنسـانية، واعتداءٍ على الحقوق العامة، وسلبٍ للحريات المشروعة، مما يوجب الدفـاع، واتخاذ التدابير الكفيلة بالحد من وقوع الجريمة، ولو بأدنى مسـتوياتها، وأضعف حالاتها.

فالدعـوة إلى تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما واجبان شرعيـان أصيلان، لهما شروطهما الشرعية بصفتهـا القانونية، مما يُؤمل منه تقليل حدوث انتهاكات لحقوق الإنسان، في المجالات كافة، جسدياً أو عائلياً أو مالياً، ويقضي على حالات التمرد والخروج عن القانون، بصفته منظِّماً للاستحقاقات، ومشرِّعاً للأنظمة، وهو أمرٌ مهمٌ من أجل اسـتقرار الأوضاع الأمنية في البلدان كافة، ولجميع مستويات المواطنين أو المقيمين في هذا البلد أو ذلك الوطن، وإننا نتطلـع إلى ازدهار الوعـي الأمني لدى طبقات المجتمـع؛ لينعموا بالأمان الذي افتقـدوا بعض مظاهره، فعادوا يبحثون عنها، فلم يجدوها؛ كونهم لم يسـتنكروا السـيئات والسـلبيات، كما لم يحسسوا العناصر المسيئة بانتمائها للمجتمع، وأنها مـن أعضائه فلـو بُتِروا، لأدّى ذلك إلى الخسـارة المضاعفة، وأيضـاً فقد جاملوا على حساب الأهم، فانتشرت الجريمة حتى صُنِفَت إلى منظمة وغيرها، وذاعت بحيـث يُسـتغرب مـن مسـتنكرها، بل وُصِـفَ بالمتخلـف والمعقـد والرجعي، وكانت حالةً طبيعيةً لدرجة دلالتها على القوة والإقدام، واحترافها كعملٍ تقوم بـه جماعـةٌ متخصصة، بينما كانت هذه الحكمة قد أرشـدت إلى ضرورة التصدي لمثـل هذه الظواهر المضرة من خلال تثقيف الأمـة وحثها على الرفض ثم التزام التوعية الاجتماعية، وعدم الاكتفاء بالاسـتقامة الشـخصية؛ كون الإنسـان راعٍ وهـو مسـؤولٌ عن رعيتـه، ومما يزيد من فـرص إنجاح الخطـة الإصلاحية هذه أنّ الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكر من فـروع الدين الحنيـف، والتي تعني

المظهر الخارجي المعبِّر عن التزام المسلم وصلاحه؛ لما تمثله بمجموعها من واقعٍ يرتكز عليه التعريف بشخصيته، مما يُلزمه - وفقاً لكونه المسلم الملتزم بإرادته الخالصة - بالتطبيق والامتثال حينئذ.

٤٦- قال عليه السلام:

أيها الناسُ، اتقوا الله الذي إنْ قلتم سمعَ، وإنْ أضمرتم عَلِمَ، وبادروا الموتَ الذي إنْ هربتم أدرككم، وإنْ أقمتم أخذكم، وإنْ نسيتموه ذكركم[1].

الدعوة إلى التقوى؛ باعتبارها الحصن الذي يلجأ إليه الإنسان ليحفظه مما يخافه أخروياً، وينفعه دنيوياً؛ وذلك بأن يقاطع المحرمات، ويلتزم أداء الواجبات، ويصمم على ذلك ويحافظ عليه؛ من أجل أن لا يذهب بفعله إلى النار، مما يوجِد لديه مناعةً داخلية من أنْ يخترقه الشيطان فيُغويه ثم يُرديه في الورطات، وهذا ما يتطلب من الإنسان جهداً متميزاً ليستطيع مقاومة الإغراءات وهي كثيرة، فيتغلب بعد تسديد الله سبحانه ودعمه اللامحدود على المغريات، ليكون بهذا واعياً لما بعد هذه الحياة، وحساساً بما يلاقيه فينجو، وبعكسه يهلك.

وقد اتبع عليه السلام أسلوباً مقنِعاً عندما دَعَمَ نصيحته بالدليل؛ لتنقطع أعذار المعتذرين، ولا يترك مجالاً للمتمردين، فذكَّر بحقيقة كونه تعالى العالِم الذي لا يحتاج إلى وسائل الاطلاع المستخدمة بشرياً، بل علمُهُ عينُ ذاتِهِ سبحانه، فهو الذي أوجد العلم، كما أوجد في الإنسان وغيره قابلية التعلّم، بل أنشأ الكائنات من العدم؛ حيث لم تكن هي أو غيرها إلا هو تعالى، وعليه فهو مطلعٌ تماماً على مخفيات الإنسان فضلاً عن معلناته، فمَنْ قالَ سمعَهُ، ومَنْ كتَمَ في داخله علِمَهُ؛

(١) أضمرتم: غيبتم في القلب والصدر وأخفيتموه،بادروا الموت: أسرعوا الى تأمين الموقف ساعته.

وذلك لئلا يتوهم أحدٌ بأنه يتمكن من إخفاء المعلومات بالطرق الدقيقة لذلك، ولو بأحدث ما أكتشفه المكتشفون، كما ذكَّرَ بالنهاية الموعودة للإنسان وغيره مما خلقه الله تعالى، وهو الموت، الذي يتميز بثلاثة أمور:

أ- إدراكه لمطلوبه الهارب، مهما كان، وأنى كان، فلا مهرب منه!!.

ب- تحصيله لمطلوبه الحاضر؛ إذ لا يمنعه مانع عن الوصول، فلا مفرَّ منه!!.

ت- تذكيره لناسيه؛ لئلا يتذرع أحدٌ بعدم المعرفة، مما أوجب الغفلة، بل له في كل مرحلة ما يناسبها من مبعوثيه حاملي رسائله، وبمختلف الوسائل المذكِّرة، وبالتالي فلابد من الاستعداد في الدنيا للآخرة، وعدم الخروج منها بلا زاد ينفع في ذلك الطريق الطويل وما بعده من الإقامة الدائمة.

٤٧ - قال عليه السلام:

أيها الناسُ، لِيَرَكُمُ[1] من النِعمةِ وَجِلين، كما يراكم من النقمةِ فَرِقين، إنه مَنْ وُسِعَ عليه في ذاتِ يدِهِ فلم يرَ ذلك استدراجاً فقد أمِنَ مَخوفاً، ومَنْ ضُيِّق عليه في ذاتِ يدِهِ فلم يرَ ذلك اختباراً فقد ضيَّعَ مأمولاً.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: تقدير النعمة، وعدم الانخداع باستحقاقها بعملٍ معين أو نحو ذلك مما يتوهمه البعض، فيتصرف بلا وعي لأهمية استعمالها في ما يرضاه منعُمها تعالى، بل يرى أنه صاحبها ولا شأن لأحدٍ به، مع أنّ هذا التوهم يقابله احتمال أنها إعطاءٌ لغرض استكشاف منتهى ما يصنعه، فإذا تجاوز الحد شملَهُ قوله

(١) أي يراكم،وقد حذف الألف لكون الفعل المضارع مجزوماً بلام الأمر.

المظهر الخارجي المعبِّر عن التزام المسلم وصلاحه؛ لما تمثله بمجموعها من واقعٍ يرتكز عليه التعريف بشخصيته، مما يُلزمه - وفقاً لكونه المسلم الملتزم بإرادته الخالصة - بالتطبيق والامتثال حينئذ.

٤٦ - قال عليه السلام:

أيها الناسُ، اتقوا الله الذي إنْ قلتم سمعَ، وإنْ أضمرتم عَلِمَ، وبادروا الموتَ الذي إنْ هربتم أدرككم، وإنْ أقمتم أخذكم، وإنْ نسيتموه ذكركم[1].

الدعوة إلى التقوى؛ باعتبارها الحصن الذي يلجأ إليه الإنسان ليحفظه مما يخافه أخروياً، وينفعه دنيوياً؛ وذلك بأن يقاطع المحرمات، ويلتزم أداء الواجبات، ويصمم على ذلك ويحافظ عليه؛ من أجل أن لا يذهب بفعله إلى النار، مما يوجِد لديه مناعةً داخلية من أنْ يخترقه الشيطان فيُغويه ثم يُرديه في الورطات، وهذا ما يتطلب من الإنسان جهداً متميزاً ليستطيع مقاومة الإغراءات وهي كثيرة، فيتغلب بعد تسديد الله سبحانه ودعمه اللامحدود على المغريات، ليكون بهذا واعياً لما بعد هذه الحياة، وحساساً بما يلاقيه فينجو، وبعكسه يهلك.

وقد اتبع عليه السلام أسلوباً مقنِعاً عندما دَعَمَ نصيحته بالدليل؛ لتنقطع أعذار المعتذرين، ولا يترك مجالاً للمتمردين، فذكَّر بحقيقة كونه تعالى العالِم الذي لا يحتاج إلى وسائل الاطلاع المستخدمة بشرياً، بل علمُهُ عينُ ذاتِهِ سبحانه، فهو الذي أوجد العلم، كما أوجد في الإنسان وغيره قابلية التعلّم، بل أنشأ الكائنات من العدم؛ حيث لم تكن هي أو غيرها إلا هو تعالى، وعليه فهو مطلعٌ تماماً على مخفيات الإنسان فضلاً عن معلناته، فمَنْ قالَ سمعَهُ، ومَنْ كتَمَ في داخله علِمَهُ؛

(١) أضمرتم: غيبتم في القلب والصدر وأخفيتموه،بادروا الموت: أسرعوا الى تأمين الموقف ساعته.

وذلك لئلا يتوهم أحدٌ بأنه يتمكن من إخفاء المعلومات بالطرق الدقيقة لذلك، ولو بأحدث ما أكتشفه المكتشفون، كما ذكَّرَ بالنهاية الموعودة للإنسان وغيره مما خلقه الله تعالى، وهو الموت، الذي يتميز بثلاثة أمور:

أ- إدراكه لمطلوبه الهارب، مهما كان، وأنى كان، فلا مهرب منه!!.

ب- تحصيله لمطلوبه الحاضر؛ إذ لا يمنعه مانع عن الوصول، فلا مفرَّ منه!!.

ت- تذكيره لناسيه؛ لئلا يتذرع أحدٌ بعدم المعرفة، مما أوجب الغفلة، بل له في كل مرحلة ما يناسبها من مبعوثيه حاملي رسائله، وبمختلف الوسائل المذكِّرة، وبالتالي فلابد من الاستعداد في الدنيا للآخرة، وعدم الخروج منها بلا زاد ينفع في ذلك الطريق الطويل وما بعده من الإقامة الدائمة.

٤٧ - قال عليه السلام:

أيها الناسُ، لِيَرَكُمُ[1] من النِعمةِ وَجِلين، كما يراكم من النقمةِ فَرِقين، إنه مَنْ وُسِعَ عليه في ذاتِ يدِهِ فلم يرَ ذلك استدراجاً فقد أمِنَ مَخوفاً، ومَنْ ضُيِّق عليه في ذاتِ يدِهِ فلم يرَ ذلك اختباراً فقد ضيَّعَ مأمولاً.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: تقدير النعمة، وعدم الانخداع باستحقاقها بعملٍ معين أو نحو ذلك مما يتوهمه البعض، فيتصرف بلا وعي لأهمية استعمالها في ما يرضاه منعُمها تعالى، بل يرى أنه صاحبها ولا شأن لأحدٍ به، مع أنّ هذا التوهم يقابله احتمال أنها إعطاءٌ لغرض استكشاف منتهى ما يصنعه، فإذا تجاوز الحد شملَهُ قوله

(١) أي يراكم،وقد حذف الألف لكون الفعل المضارع مجزوماً بلام الأمر.

تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[١]، وعندها ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٢]، فيندم وقت لا ينفعه ذلك، بينما الأجدر به أن يتعامل بخوف فيحتمل كونها لاستدراجه، وعندها ينتبه لتصرفاته، ويحسب للأمر حسابه، فلا يُورِّطَ نفسه بشيءٍ يجرُّ عليه الويلات، فإنْ كان الحال كذلك في الآخرة فقد حفظَ نفسه، وجنَّبها العقوبة، وإلا فلم يضرّه ذلك التحوط.

الثاني: الصبر على الضائقة المادية التي قد يتعرض لها الإنسان، والتكيّف معها بما يمرِّرها بأقل الخسائر؛ فقد يكون ذلك امتحاناً، وتهيئةً لمنح المزيد لو أثبت كفاءته، وانكشف استحقاقه لذلك، فيحتاج إلى تحمّل العوز، وتجنّب كثرة المصارف مهما استطاع، حتى يتغير الحال، فيحقق مراده، وينجز أمانيه، ويتبدل حاله إلى أفضل مما كان عليه، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[٣]، فكما ينطق الإنسان ويثق من نطقه، فكذلك يأتيه رزقه، لكن وفقاً لجدولةٍ زمنية معينة، بحسب مقتضيات الحكمة والمصلحة، فلو سعى لتحصيل الرزق ولم يتيسر له، فلا يشك في حصوله، بل سيصل في الحال الأنسب، وليس شرطاً أنْ تكون ضمن احتياج الإنسان فعلاً، وإنّ مما يبعث على الاطمئنان، أنه تعالى وهو المتفضل بالإنعام تكرماً، قد أقسم بقوله عزَّمن قائل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، مما لا يبقي للشك مجالاً؛ إذ لو لم يُرد فلا أحد يُلجِئُه، ومع ذلك يُقدم الضمانات الكافية للتطمين النفسي والاستقرار الداخلي.

فهي دعوة إلى توازن الإنسان في حالتَي الشدة والرخاء، وأن لا يقتصر في استحضاره لقوة الله تعالى وقدرته، على حالٍ دون أخرى، بل يكون متأدباً

---

(١) سورة القمر الآية: ٤٢.

(٢) سورة المدثر الآية: ٤٨.

(٣) سورة الذاريات الآية: ٢٢-٢٣.

مـع مقام الربوبية دائـماً؛ إذ النِعمة كثيرة ومتنوعة، فلا يسـتطيع إنكار حقيقة أنه مطوّقٌ بها، وأنه لو داوَمَ على الشكر، لاحتاج إلى شكر آخر؛ كونه قد انتبه فتوفقَ لذلك.

حرف الباء

٤٨ - قال عليه السلام:

بينكم وبين الموعظةِ حجابٌ من الغِرَّة[١].

من الأدلة على عدم كمال الإنسان، ونسبية علمه ومعرفته، هو: أنه يرى تجربة غيره ولكنه لا يتعظ بها، ولو على أساس كونها حالة خاصة لا تعنيه فلا تُعمم، وهو مؤشرٌ على عدم تشخيصه المصلحة، لذا يقع في المطب الذي لم ينتبه له سابقُهُ، بينما الصحيح هو التوقي، وقراءة الحالة على أنها مما يمكن حدوثه مجدداً، فكيف يعالج الموقف؛ إذ هناك مشتركات لا تختص بالفرد الشخصي، بل تعم الآخرين أيضاً، وقد لاحظ عليه السلام حصول الحالة وتكررها، فشخّص السبب، وأنه نتيجة مؤكدة لعدم الرؤية الصحيحة، ثم أرشد إلى ضرورة تصحيح قراءة الأحداث وتعديلها وفقاً للمقاييس المتفق عليها، وعدم التفرد في تفسيرها؛ بما يوجب الندم والحسرة، وبهذا يكون عليه السلام قد قدَّمَ تفسيراً منطقياً لما يحدث يومياً من تعثّرات ونكبات، كان من المفترض تجنبها، بعدما وقع فيها الآخرون، الأمر

(١) الغرة: الغرور وهو الخداع والإطماع بباطل لا أصل له.

الذي يوجب الاستغراب من التكرر المستمر.

فالدعـوة إلى الاتعـاظ بحـال الآخرين، والحـذر من تبعـات الغفلة وما تحدثه عند الإنسان من خمولٍ وانصرافٍ عن الأهم، والانشغال بغيره، مما يؤدي إلى الاغترار بإقبال الدنيا وزهوها، مع أنّ الدلائل تشير إلى عكس ذلك.

وهذا أسلوب هادئ في تنبيه الإنسان على تقصيره، مع الحث على ضرورة الحـزم في معالجـة الأخطـاء؛ لعدم مواتـاة الفرصـة دائماً؛ فليس مـن الضروري سـنوحها وتوفرها باسـتمرار، ليتلافى ما سبق، وأنّ إقناع الإنسان بكونه مخطئاً، أمـرٌ تحـول دونـه الأنانيات، وعـدم التمكن مـن الاعتراف بالخطـأ؛ حيث يظن البعـض أنّ ذلك مما يخدش بشـخصيته، فـلا يُقدم عليه، فـكان لابد من معالجة الأمـر، وترويـض النفوس عـلى اتخاذ خطـوات التصحيح، فأشـار عليه السلام إلى أنّ الغـرور يورط الإنسـان في الانـزلاق بعثرات الغير وسـقوطه فيهـا، فلابد من التفكير بواقعية، من أجل الخروج من المأزق.

حرف التاء

٤٩ - قال عليه السلام:

تغُرُّ وتضُرُّ وتمُرُّ، إنَّ اللهَ لم يرضها ثواباً لأوليائِه، ولا عقاباً لأعدائِهِ، وإنَّ أهلَ الدنيا كركبٍ بينا هم حَلُّوا إذ صاحَ بهم سائقُهم فارتحلوا.

الدعـوة إلى التعرف على الدنيا مـن خلال خصائصها، بما يعرِّف المخدوع بها حقيقتها فيحذرها، فإنها:

أ- تغرُّ؛ حيث تورِّط الغافل في الوقوع في الخطر وتستجهله بالإقدام على ما لا تُعلم عاقبته.

ب- وتضرُّ؛ ويكفـي في ذلـك مـا يصيب الإنسـان نتيجـة توريطها له في المجهول.

ت- وتمرُّ؛ فـلا بقـاء ولا دوام لحالٍ فيها، لأي أحـدٍ مهما كان، مما يتطلب الحـذر منها، والدليل الواضح على عدم أهميتها، هو أنها محطة انتقالية، فلا جزاء فيهـا، بل ذلك في الدار الأخرى، الأمر الذي يشـهد على حجم موقعها، ومدى

أهميتهـا، فهـي ميدان الاختبـار، ولا تصلح لإعلان النتائج فيهـا، وكيف يُتوقع فيهـا غـيرُ ذلك، مع أنّ المقيم فيهـا لا يعلم متى انتقاله عنها؟!، بل ينتظر سـاعة الرحيـل، مع أنه يجهلها، مما ينبئ عـن كونها مؤقتة تماماً، فكيف يتصرف البعض فيها وكأنه مقيم دائم؟!.

٥٠- **قال** عليه السلام:

التودد[1] نصف العقل.

الدعـوة إلى إشـاعة أجواء الأُلفـة بين أفراد المجتمـع، وتفعيل دور الفعل في حـالٍ يقـصر القول عـن الأداء فيه، وذلـك من خلال التحابـب الاجتماعي، والتثقيف على أساس أنّ ذلك من دلالات النضج العقلي لدى الإنسان وتكامله في هـذا المجـال، مما يؤدي إلى اسـتجابة واسـعة، فيأمـن المجتمع - نسـبياً - من عدوانيـة المعتدي؛ حيث يكـون التعامل معه ببعض مظاهـر المحبة، أو يقلع هو عـن حالتـه العدائية، هذا فضلاً عما نكسـبه مـن تلاحم وتعاضد بـين مكونات المجتمـع الواحـد ذات التعدديـة النوعية، الأمـر الذي يواجه الإنسـان صعوبة بالغـة، لكنه عليه السلام قد أتاح الطريق بتشـجيعه على مفهوم التـودد باعتباره مظهراً للمحبـة، وبـما يمثله من حالة متحـضرة، تعكس انفتاح المتـوادد على الآخرين، وهو ما يحقق له عدة أغراض في وقتٍ واحد، مادية ومعنوية، قد يصعب تحقيقها جميعاً بغير ذلك، لكنه تمّت بممارسـة ما يكشـف عن تغليب ممارسـها للمصلحة الأهم، فرفض التشـنج واسـتبدله بإظهار المحبة قولاً أو فعلاً، من موقع القدرة لا العجز؛ ليُعاب عليه، ومن هنا يتضح الوجه في جعله عليه السلام المعادلة بين التودد بصفته فعلاً انعكاسياً، والعقل باعتباره دالاً على ذلك ومرشداً له.

---

(١) التودد: التحبب.

٥١- قال عليه السلام -لبعض أصحابه في علة اعتلها-:

جعل الله ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك؛ فإنَّ المرضَ لا أجر فيه ولكنه يحط السيئات، ويحتها حت الأوراق، وإنما الأجر في القول باللسان والعمل بالأيدي والأقدام، وإنّ الله سبحانه يُدخِلُ - بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده - الجنةَ.

الدعوة إلى تحمل المعاناة المرضية؛ حيث يضيق بالإنسان ما هو فيه، من شدة الوجع، ومن الآثار المترتبة، ومن قلة عائديه أو المهتمين به، ومن الفقر أو الإفلاس بسببه، ومن شماتة الخصوم، ومن إحراج الأهل والأصدقاء، وغير ذلك مما يؤدي إلى التململ أو الشكوى، فكانت الحكمة للتنبيه على أنَّ المريض يستفيد من ذلك إذا صبر واحتمل بلواه، ليحولها من معاناة إلى رصيد يستعين به في آخرته؛ وذلك من خلال منع نفسه عن الجزع والتسخط وعدم التسليم لله تعالى فيما ابتلاه به، بل يحتمل أنه كفارة لما عملَهُ من السيئات والذنوب - ولاسيما وأنّه معرَّضٌ لذلك عدا مَنْ عصمه الله تعالى - فلا يستفحل عليه مرضه نفسياً وجسدياً، فيقضي عليه، وهذا علاج نافع ومهم للمريض، لما يتعرض له من ضغوطات نفسية مع معاناته الجسدية، لتذهب بتوازنه، وهو ما يُعرضه للانتكاس؛ حيث تتعتم أمامه الرؤية، فلا يرى في نهاية الدرب نوراً، مع أنَّ بالإمكان تعويض المعاناة بالتخفيف من تبعات الذنوب، وبالتالي يكون المرض عاملاً مساعداً لإزالة تراكماتها وما تُحدثه من عوازل عن اتباع الهدى أو عمل الصالحات، أو حب الخير والمعروف، وغيرها مما يصيب المذنب، لكنه عندما يمرض يستشعر ضعفه، وتتضح له مساحة قدراته، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله تعالى، فيخشع قلبه، ويعترف بما صدر منه، فلا

يكـون معانـداً ومصرّاً على نزاهتـه، بما يوجب ابتعاده عن نيـل الكثير من فرص العفو والمغفـرة، وعندها كان المرض خطوة تصحيحية نحو الخروج عن مضيق المعاصي والآثام.

وعمومـاً فهذه التصفية مما تختلف باختلاف الحالات وحجم تأثيرها على العـاصي، فقد تحتاج إلى وقت طويل؛ لذا فلا موجب للقلق من ذلك، بعد كونه في مصلحـة العبـد، وهـو مظهرٌ من مظاهر الحنان الإلهي، وسـتره سـبحانه لئلا يفتضح العبد في الآخرة من كثرة ممارساته التي تجاوز فيها حدود العبودية مع ما تتطلبه من الحرص على الطاعة وعدم المعصية.

كـما يمكن المريض اسـتثمار حالتـه ايجابياً، من خلال الاسـتغفار والعمل بالطاعـات المتاحـة لـه - حيث يعيش فراغـاً وقتياً كبـيراً -، وبذلك يحصل على الأجر من الله تعالى، الذي جَعَلَهُ للعاملين من عباده، لتتحقق المعادلة بين العمل كجهد بدني والمكافأة على ذلك؛ إذ المقام ليس مقام الابتداء بالعطاء، خاصة وقد جعـل تعالى الجنة وسـائر حـالات المجازاة على العمل الفعـلي المنجز، دون مجرد العطـاء الـذي لا يحدّه شيء إلا إرادتـه تعالى، ومن هنا كانـت الدعوة إلى العمل لحيـازة المزيـد من فـرص الخير الأخـروي، وعـدم تضييع الوقت حتـى في هذه الحالـة، التي لو ضاقـت عن الجهد البـدني، لأُتيح للإنسـان وأمكنه مجرد الحب القلبـي لعمل الصالحات والمصافاة القلبية للناس، من خلال عدم السـلبية اتجاه أحدٍ، وأنه لو اسـتطاع أن ينشـط في ذلـك لما انثنى عنه، مما يُؤسـس لتنامي روح المواطَنَـة الصالحة والتسـامح بـين الأفراد، ولو رغبةً في الأجر، لمـا فيه من تقليل الحـوادث المؤلمة بين أفراد المجتمع الواحـد، فيُفتقد الأمن، بل قد تعم الفوضى، وعندهـا فـلا تنفع المحاولات لتطويق الحالة، ولعل بيـان ذلك للمريض، يتميز بكونه في حالة نفسـية بعيدة عن المشـاحنات والتنافس المفضي للتشـنج واختيار

العنف، بل هو يؤمل عفو ربه سبحانه، فيتحفز لذلك أسرع من غيره المعافى الذي لا يعاني ما عاناه المريض ولم يُصدق بما عرفه وجرى معه.

وقد امتازت هذه الحكمة بتبيان الفرق بين المرض وأنه كفارة وعملية تطهير، وبين عمل المريض المستتبع لتحصيله الأجر بالصبر والتضرع والدعاء، لئلا يُتوقع أنه مجاناً وبلا مقابل، فيتساوى المؤمن مع غيره، والصابر والجازع، مع أنه لا يصح؛ لافتراقهما العملي، بل لابد من العمل لنيل الجنة.

نعم، الرعاية الإلهية شاملة بحدود مقام التفضل فيحط عنهم الذنوب، ويمنحهم فرصة التواصل والتصحيح، وليس ذلك شاملاً لمعادلة الأجر مقابل الأداء، بل لو شملتها لكان ظلماً، وقد تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

حرف الحاء

٥٢- قال عليه السلام:

الحذرَ الحذرَ، فواللهِ لقد ستَرَ، حتى كأنه قد غفرَ.

الدعـوة إلى مراقبتـه تعالى، وعـدم الغفلة عنه، لأنه وإنْ كان قد سـتَرَ على عبـده لكنه سـيعاقبه عـلى الذنب، فلابـد أنْ لا يتمادى، ويخطـئ في تصوره: أنه غـير مذنـب، أو أنـه معجز لله تعالى، أو غـير ذلك من الأوهام التي تسـيطر على البعـض فينزلـق وراءهـا؛ لأنَّ الدلائـل كلها تؤكـد قدرته، وغالبيتـه، فمن غير النافع المغالطة في ذلك والمكابرة.

وهذا التحذير يدل على مدى مراعاته عليه السلام لمتطلبات الحالة الإنسانية، وما تعنيـه من التزام بالحقوق العامة؛ حيـث يتحتم على مَنْ يتوقع مخوفاً تحذير غيره، إذا كان الاشـتراك في المصير الواحد، وبخلافه تكون الخيانة لمبادئ الأخوة التي يحرص عليه السلام عـلى تعميقها وتأصيلها في النفوس، وعادةً ما يكون الغافل عن ربه تعـالى، ممَنْ وصـل إلى مرحلة ميئوسٍ من التأثير فيـه، لكننا نجده عليه السلام لا يتخلى عنـه أيضـاً، ليدلنا عـلى ضرورة التواصـل في أداء الواجب من الأمـر بالمعروف

والنهـي عن المنكـر، بحيث لا يمنع من ذلك انحراف الطـرف الآخر؛ فإنّه أولى بالرعاية والعطف، وهو ما يقلل من وجود المنحرفين في المجتمع، وهذا أمرٌ مهم للغايـة، نحتاج إلى تفعيله بيننا، قبل أن تسـبقنا دور الإصلاح أو السـجون إليه، فنخسر أخوةً لنا في الدين والإنسانية، وهي خسارة عظمى، يهون عندها فقدهم بالموت.

٥٣ - قال عليه السلام:

حسدُ الصديق من سقمِ[1] المودَّة.

الدعـوة إلى الصدق في العلاقات، وعـدم الغش فيها، فلا يصح لأحدٍ أنْ يُظهر نفسه قريباً من شخصٍ لكنه يُضمر في نفسه الحسد على ما بلغَهُ من شأنٍ في مختلف أمور الحياة؛ لكون ذلك منافياً لما يطفح منه على صعيد العلاقة المشـتركة التـي تؤسـس لرعاية الود، وعدم الخيانة، والعكس يـدلُّ على خلاف ما يحرص الإنسـان عـلى إبدائه، ليكون قد كشـف سرّه وأبدى مخفيه، ممـا يُحرجه عاجلاً أو آجلاً، لذا فالحكمة:

أ- قد شخصت السبب في حدوث هذه الحالة الانقلابية، والتي لا تُتوقع من أقرب الناس سببياً، مما يوجب الصدمة من هذه الازدواجية في العلاقة، التي يُفـترض قيامها عـلى الصدق والوضوح؛ لـذا يلزمنا مراجعة الحسـابات جيداً، ليتبـين الخلـل، عندما يتضح أنَّ عملية اختيار الصديق لم تقم على أسـاس التأكد والوثـوق من ولائـه، من خلال الدلالات الواضحـة، وليس من خلال الكلام المجامـلاتي الـذي يمكن أن يقال لكل أحد، وفي مختلف المناسـبات؛ مما يتسـبب

(١) السـقم: المرض،ووصف المودة به مجازٌ؛ بمناسـبة أنّ ما يعرض للمحبة من شـوائب يكدر صفوها، كما أنّ المرض ينافي الصحة وينغصها على صاحبها.

في تشويش الرؤية، وتعطيل مجسات الاختبار، فيفاجأ الإنسان ويُصدم بما لا يتوقعه من خيانة صديقه له في علاقةٍ، تعتبر من أمسِّ العلاقات بعد العلاقة النسبية، بل قد تكون أحياناً الصداقة منطلقاً لبلوغ حالات تكاملية كثيرة، في مختلف المجالات، فيستفيد منها الصديقان، معنوياً ومادياً، بما يجعل رابطة من المودة والأُلفة، ترقى إلى مستويات متقدمة جدّاً، بينما تفتقد خارج هذا الإطار.

ب- كما قد أشارت إلى العلاج، وهو مراعاة الضوابط عند إنشاء الصداقة، وعدم التسرع في ذلك، لما يُحدثه من مضاعفات كثيرة، قد تؤدي إلى عواقب سيئة.

ت- وكذلك قد بينت أنّ على الإنسان أنْ يتشجع فينقد نفسَهُ بنفسِهِ، ولا يلومنَّ غيره؛ حيث كان الاستعجال، أو الطمع، أو المصالح الوقتية الأخرى قد سيطرت على أجواء تولّد هذه العلاقة، فكان الوليد لا ينمو كما ينمو أقرانه ممَنْ وُلِدوا في ظروف طبيعية.

٥٤ - قال عليه السلام:

الحِلمُ والأناة توأمان يُنتجهما عُلُوُّ الهمة[1].

الدعوة إلى السيطرة على الانفعالات النفسية، إزاء ما يتعرض له الإنسان مما يُؤثر فيه، فيتصرف وهو غير قادرٍ على تشخيص الصحيح من غيره، مما يعرضه للوقوع في الخطأ الذي قد لا ينجو من تبعاته وآثاره، فلابد من اختيار

(١) الحلم: الإمهال بترك العقاب المستحق،فهو خلاف الطيش، الأناة: التمهل في تدبير الأمور،فهي مبالغة في الرفق؛كون الأناة: البطء في الحركة، وهذا الفرق الدقيق مما أشار اليه عليه السلام، ومنه يعلم عدم صواب تفسير الحلم بالأناة ، ظ/ الصحاح ٥/ ١٩٠٣، علو الهمة: كناية عن اتساع رقعة الاهتمام بكبار القضايا،وعدم الاقتصار على التوافه،بل التطلع الى المزيد وعمل الكثير دون الميسور.

التصرف المناسب من دون الخضوع لتلك المؤثرات النفسية التي من شأنها إرباك الوضع العام من حواليه، ليخسر توازنه، وتظهر عيوبه المخفية، ويزداد خصومه، ويُحرج ذوو علاقته، وغيرها من التبعات التي يحس بها تدريجاً ليعلنها أو يكتمها، لاعتبارات كثيرة، مما يعني أن على العاقل أن لا يفقد حيويته وأهليته في احتواء الموقف، فإنه مهما اشتدت الحالة فرد الفعل غير المسئول أشد سوءاً، وعليه أن يتأكد من أنَّ (الحلم غطاءٌ ساتر، والعقل حُسامٌ قاطع، فاستُر خَللَ خُلُقك بحلمك، وقاتِل هواك بعقلك)[1]، فلماذا يتحمل الخسارة الفادحة التي تلحق بشخصيته واعتباره الاجتماعي لمجرد رغبته في تعجيل الانتقام والثأر، بينما اتخاذ جانب الهدوء ولو المؤقت، يكسبه الموقف؛ حيث تتضح الأمور بشكل يعرِّفه القرار المناسب مما يلزمه اتخاذه، ولاسيما وأنَّ ردّة الفعل على الفعل المواجه مما يرتجله الإنسان ارتجالاً ولا يتروى ليتعرف على المديات بشكل واضح من الخضوع للحالة الحاضرة، فالأجدر به أنْ يستر نفسه بتمرير الموقف، ثم يفكر في الطريقة المناسبة للرد، فيكون حافظ على توازنه، واستعدّ لخصمه بما لا يثير عليه السخط، بل بالعتب أحياناً، وبالتجاهل الذي يعرِّف المقابل أنه صنع ما لا يليق صنعه، ولا النزول إليه، وغير ذلك من وسائل التعريف بالخطأ مع الانتصار للكرامة والنفس.

---

(١) نهج البلاغة٦٩٣ برقم٤١٤.

حرف الخاء

٥٥ - قال عليه السلام:

خُذِ الحكمةَ أنَّى كانت، فإنَّ الحكمةَ تكونُ في صدرِ المنافقِ فتَتَلَجْلَجُ[1] في صدرِهِ حتى تخرج فتسكن إلى صواحبِها في صدرِ المؤمن.

الدعوة إلى التعلم والإفادة المعرفية، من دون التقيد بالهوية؛ حيث أنَّ اعتماد هذه الطريقة مما يزيد في الخزين الفكري والثقافي للإنسان، بما يحقق له مردوداً ايجابياً على صعيد الحياة في مختلف مراحلها؛ كون الحكمة والازدياد المعرفي مما يمنع عن الجهل، وهذا أمرٌ مهم للغاية، يلزم السعي لتحصيله، بشتى الوسائل المشروعة، بما يُؤصل للحالة الصحيحة، والالتزام بحدودها، والانفتاح على معالمها وأبعادها عن قُرب، ليجدد الإنسان منظومته المعرفية، التي من شأنها أنْ ترفد مجتمعه، بالتطور التقني أو العلمي، في عدة مجالات، مما لا يجعل الأمر في دائرة العلم أو الأدب، بل يتعدى إلى أوسع من ذلك كالمهن والصناعات.

---

(١) تتلجلج: تتردد، وهو كناية عن تحركها وعدم استقرارها حتى يستفيد منها الآخر.

وإنَّ اتباع هذا الأسلوب في الحياة لما يوسع من دائرة النجاح، ويقلص فرص الفشل، وهو عامل حيوي في دفع العجلة الحياتية، لتنحسر الجريمة تدريجاً حتى تنعدم، كما لا يجد البعض فرصة لإبداء مشاعر سلبية تجاه الآخرين، مما يسوءهم ويُبعدهم عنه؛ حيث لا يتحرج البعض من إبداء مشاعره الداخلية الضيقة، مما يتمناه للغير، من زوال النعمة، أو حتى مجرد انتقالها إليه، فكانت الحكمة قد بينت أنَّ طريق الوصول إلى ذلك، عبر التعلّم والاستعداد الدائم للإفادة من تجارب المجربين، وخبرة الخبراء، من دون الانشغال بما وراء ذلك، بل هناك الدعم الإلهي اللامحدود لمشاريع التعلّم والإصرار على تطوير الإمكانات الشخصية، من خلال تهيئة الأسباب، لتنتقل المعرفة من حائزها إلى غيره، وهذا أمرٌ غيبي لا يستطيع المخلوق المداخلة دائماً فيه بما يُنجح مسعاه باستمرار، بينما التسديد الإلهي لعباده كفيلٌ بتحقيق المطلوب؛ حيث يحتاج الإنسان إلى الكثير من القضايا الحياتية، بما يجعله سخياً بمنح ما لديه من أجل سداد ذلك، أو تنطوي نفسُهُ على معاني شفافة من حب الخير للآخرين، بما يهيئ لهم فرصة التزود بأقل مؤنة، وغير ذلك من أسباب الانتشار المعرفي، في الحقول الحياتية كافة.

فالحكمة تشجيع على استثمار الفرص المتاحة؛ لعدم ضمان تكررها، بما يحجب عن المضيّع خيراً، كما أنها تدفع نحو السؤال والاستفادة، وعدم التهيب من احتمالات الفشل والصد والحجب، بل تغليب الاحتمالات الأخرى المقابلة؛ لأنه بذلك تعمر الحياة، ويتكامل الإنسان.

ويُستشف من هذه الحكمة، أنّ الحالة التكاملية أوسع من أن تتحدد بإطارات محددة كالهوية والانتماء والعِرق واللغة، بل ممتدّة إلى ما يتسع له استعداد الإنسان، ومع ذلك هي مستمرة ومعطاءة، وهذه من النقاط المضيئة في التعريف بطريقة التعامل في الإسلام مع المبدعين وممتلكي الطاقات، وأصحاب القدرات

المختلفـة، ما دامت ترفد المجتمع بالعطاء، وتُثريـه بالمزيد، فيكون التعامل معها على أسـاس التقديـر لما تتحلى بـه من قِيم الخـير، مع الاحتفـاظ بالخصوصيات الشخصية الخارجة عن هذا المجال التطبيقي، وعدم الخلط.

حرف الدال

٥٦ - قال عليه السلام:

الدنيا خُلقتْ لغيرها، ولم تُخلق لنفسها.

الدعوة إلى تذكر حقيقة أنّ الدنيا مرحلةٌ يستعد فيها الإنسان لما بعدها، ولذا عليه استثمار ما مَنَحَهُ اللهُ تعالى فيها من إمكانيات زمانية ومكانية، وطاقات جسمانية وعقلية، وسائر ما يحوطه مما يستطيع استثماره أخروياً، مما يجعله أمام مسئولية كبرى، في أن لا يفرط أو يتسامح في الاستفادة الممكنة، وعليه أنْ لا يقيسها على الآخرة؛ حيث كانت هدفاً مستقلاً؛ كونها محطة يستقر فيها الإنسان، بينما الدنيا أُعدت لتكون محطة تزوّد ثم سيفارقها، فبينهما اختلاف كبير.

وإنّ التنبيه على هذه الحقيقة مفيد لتلافي الإنسان تقصيره في أدائه للواجبات وسائر الالتزامات الأخرى، فلا يتفاجأ بعدئذ: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا**﴾[1]، فيستشعر خسارته حقيقة؛ عندما يجد تصفير حسابه، وأنه لم يستعدَّ لهذا اليوم بما يناسبه، مع تعذر

(١) سورة الفرقان الآية: ٢٧.

التلافي؛ كون الآخرة دار الجزاء والحصول على الثواب، فمَنْ لم يكن لديه ذلك الرصيد فسيندم حتماً، ولكن في وقتٍ لا ينفعه.

ومن هنا يتجلى مدى حرصه عليه السلام على الإنسان بما هو بغض النظر عن انتمائه؛ إذ المطلوب جعله أمام مسؤوليته ليتصرف وفقاً لاستشعاره حجمها وما تعنيه بالنسبة لمصيره؛ حيث يتغير مستقبله تبعاً لتلك المعادلة، فعليه أنْ لا يُخدع بإقبال الدنيا وما فيها من جمال وغير ذلك، عن الآخرة وما فيها من تحديد المصير، واكتمال للصورة التي رسمها بعمله وما أثبته بنفسه في لوحة عمره، مما يجعله على حافة الهاوية لو غفل عن هذه الحقيقة التي بيّنها عليه السلام في قوله: الدهر يُخْلِقُ الأبدانَ، ويُجدِّدُ الآمالَ، ويقرِّبُ المنيةَ، ويباعدُ الأمنيةَ، مَنْ ظَفَرَ به نَصِبَ، ومَنْ فاته تَعِبَ[1]؛ حيث للمسيرة الزمنية التي يقطعها الإنسان..

أ- التأثير الواضح على نشاطه الجسمي.

ب- كما كلما تقدم مرحلة ازداد تعلقُهُ بها، فيأمل في طول عمره، ويشتدّ حرصه على ذلك بكل تفاصيله، حتى يبخل بيسير المال على محتاجه مع وجود الأرصدة الكثيرة لديه.

ت- كما أنها تمثل الخطوة المقربة للقبر، ليكون في تقدمه في العمر إنما يتأخر في القوة مما يهيئه للموت، بعدما يتأثر طبيعياً بذلك أو بمجرد قضائه تعالى وقدره.

ث- كما أنها تحول بينه وبين تحقيق أمانيه وآماله؛ لأنه إذا قَرُبَ من خط النهاية يكون تلقائياً مبتعداً عما كان عليه، ولاسيما اذا ازدادت عوارضه الشاغلة عن غيرها.

---

(١) نهج البلاغة ٦١٤ برقم ٦٧.

ج- كما أنها لا تُخْلِص للمهتم بها فتتعبه بإعياء وتُجهده بعناء.

ح- وأيضاً إذا فاتت أحداً تُرهقه وتجعله فقيراً مُعدَماً.

الأمر الذي يوضح آلية التعامل معها؛ بالأخذ منها بقدر الحاجة وترك الباقي، وهو ما لا يمنع من الطموح والتطلع إلى انجاز الأفضل.

حرف الراء

٥٧ - قال عليه السلام:

رُبَّ مفتونٍ[١] بحُسنِ القولِ فيه.

الدعوة إلى عدم الانخداع بالثناء والمديح الذي يُطلقه البعض؛ إذ الممدوح أعرف بنفسه، وبالتالي لايُغير المدح شيئاً في حياته، فلابد أنْ يهتم بتكميل نفسه، دون الالتفات إلى كلمات المجاملة التي يتفوه بها البعض بدوافع متعددة، بل قد تكون غير واقعية، وعندها فيكون المخدوع بها ملوماً؛ لاغتراره بمالايوثق به.

ففي الحكمة تنبيه إلى تورط بعض الناس، من خلال تصديقهم لعبارات الثناء، وكلمات الإطراء، مع أنَّ الإنسان أعرف من غيره بحجمه المعرفي أو ما حازه من كمالات أخرى، فحُسن القول مما لا يؤثر شيئاً، ولا يغير واقعاً، فكان عليه تصحيح الأخطاء، واستثمار الوقت والجهد في ما ينفعه؛ لأنه الذي يُحدِّث، ويُصدَّق حتماً، دون جميع وسائل الدعاية مهما كانت؛ كونها قد تُتهم بتحيز ونحوه، بعكس هذا الناطق الصادق الحيادي، الذي يستقي معلوماته من واقعٍ

(١) مفتون: مختبَر، وهو كناية عن التجربة والامتحان.

خارجي تؤيده الشواهد والدلائل.

٥٨ - قال عليه السلام:

الرحيلُ وشيكٌ[١].

الدعوة إلى الاستعداد للانتقال عن الدنيا إلى الآخرة، وعدم الانشغال عن هذه الحقيقة بغيرها من صوارف الإنسان وموانعه الكثيرة، التي تحجبها عنه رغم وضوحها؛ حيث يعرف الجميع أنَّ نهايةً تنتظره، فلا بقاء أبدي، كما لا إقامة دائمية، وإنما هي مدة طالت أم قُصَرت فهي مؤقتة، ولكنه مع ذلك كله يغفل عنها، فيتصرف وكأنه الدائم فيها، والحال قد ودَّع مَنْ ودّعه من أهله ومعارفه، الأمر الذي يجعله في دائرة الضوء، فلا يجري وراء الدنيا وما تُزينه للإنسان، بحيث يتوهم البقاء والاستمرار، حتى كأنه غير معني بالأمر، مما يُنتج تماهلاً في الاستعداد لما لابد منه، وتراخياً في ما لابد من النشاط في تحصيله، ليفاجأ بالمترتبات الأخروية عليه، وعندها ولات حين مندم، فلا ينفعه قوله: ليتني فعلت.

وقد اختار عليه السلام أسلوباً تحذيرياً اعتاد العقلاء على استخدامه، عندما يهتمون بموعدٍ معين، فيستعملون المنبه، لئلا يفوتهم ما يريدونه، فكيف إذا كان الأمر حتمياً، فإنه كائن وان كرهه الإنسان؛ كونه يمثل بداية المرحلة النهائية التي يتعرف فيها على أعواضه وأُجوره، بعد رحلته الدنيوية الشاقة.

---

(١) وشيك: سريع،وهو كناية عن القرب.

حرف الزاي

٥٩- قال عليه السلام:

الزُهدُ كلُّهُ بين كلمتين من القرآن قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِكَيلا تَأْسَوا عَلى مَا فَاتَكُم وَلا تَفرَحُوا بِما آتاكُم﴾، فمَنْ لم يأسَ على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذَ الزهدَ بطرفيه.

قد يدّعي البعض أنه زاهدٌ في الدنيا، من خلال مظاهر معينة يهتم بالتمظهر بها، لكنه إذا فاته شيءٌ حزِنَ عليه، أو إذا توقع شيئاً اهتمَّ كثيراً به؛ حتى يتحول إلى جزءٍ من واقعه، مع أنه لم يأت بعد، وهذه مفارقة؛ بينما يدّعي الزهد، فإذا به متهالكٌ على الدنيا الزائلة.

فالدعوة إلى أنْ يترجم الإنسان دعواه إلى واقع خارجي، بحيث يكون مسلِّماً لله تعالى، راضياً بالكائن الحاضر فلا يتعب الإنسان نفسه في متابعة ما فاته أو ما سيأتيه؛ لما في ذلك من اهتمامٍ بما لم يكن من يومياته، بل ما فاته فقد مضى، وما هو آتٍ فهو من المستقبل المجهول، ولا يصح أنْ يفكر في ما هو محتمل الحصول، بحيث تتساوى فيه فرصتا حصوله وعدمه.

نعم من حقه الطبيعي السعي في تحسين وضعه والاهتمام بذلك، لكن بشرط الموازنة بين أنه لا يستطيع استيعاب ما في الدنيا، فيفوته الأكثر منها، وبين أنه مسئولٌ عن تنظيم حياته وترتيب شئونه بقدر ما هو في الدنيا، وهذا ما يجهله، بل الحاضر معلوم وما عداه فهو بين الفائت المعلوم والمتوقع المجهول، الأمر الذي يُرشدنا إلى أهمية التفكير بدقة في هذه الموضوعات الرئيسة، وعدم الاكتفاء بالشعارات ونحوها.

وإنَّ العمل على تطبيق هذه الحكمة لما يعطينا أنّ الزهد تطبيقٌ أكثر منه دعوى وأمنية، فهو مجال عملي يُلزم الزاهد التعاطي بصدق مع نفسه، وأنْ لا يغش نفسه وغيره بأحلام وآمالٍ، وإنما يوثق ذلك بما يعزز الثقة به؛ حيث أنه لو لم يدعم القول بالفعل، لساء الناسُ الظنَّ به واتهموه بالتزييف والتزوير، وهو ما ينعكس سلبياً عليه اجتماعياً، كما يُعدُّ مرائياً وممَنْ يُحب أنْ يُمدح على ما لم يفعل، وهو ما يؤدي إلى أنْ يتعامل معه الناس بطريقة أخرى، تقلل من فرص تقدمه واحترامه، وهو انتحارٌ، لا يُقدِم عليه العاقل.

وهذا المجال من المجالات التطبيقية العديدة التي دعا فيها الإسلام إلى توثيق القضايا وتعزيزها بالشواهد؛ ولذا أُكدَ على أنَّ (أفضل الزهد إخفاء الزهد)[1] وأنَّ (الزهد أقل ما يوجد وأجل ما يعهد، ويمدحه الكل، ويتركه الجل)[2] وأنّ (الزهد تقصير الآمال وإخلاص الأعمال)[3]، ليكون الزهد هو الزهد في الحرام، فكان من الأمور التطبيقية لا النظرية الصرفة.

---

(١) نهج البلاغة٦٠٥ برقم٢٤.

(٢) غررالحِكَمْ ٦٠٥٤.

(٣) عيون الحكم والمواعظ ٢.

حرف السين

٦٠- **قال** عليه السلام:

سيئةٌ تسوءُكَ خيرٌ عند الله من حسنةٍ تعجبُكَ.

الدعـوة إلى عدم الإعجاب بالنفـس، من خلال المنجـزات العديدة التي يتوفق لها الإنسان؛ مع أنَّ من غير المعلوم احتفاظه بأجرها؛ فقد يصيبه العُجب، فيتباهـى ويفتخـر، وعندهـا فلا يبقـى العمل خالصـاً لله تعالى، بل شـابَهُ الرياء والسُـمعة وحب مـدح الناس له على ذلك، فلا يسـتحق شـيئاً في الآخرة عليه؛ حيث استوفاه دنيوياً، وعندها فيخسر أخروياً، وهذا عين الخسران والتردي.

لذا كانت المعادلة بالشكل التالي: ذنبٌ مع توبة، خيرٌ من حسنةٍ مع عُجب؛ لإمكان تدارك الأول بما لا يمكن تدارك الآخر، ليتسق مع حكم العقل بأنّ دفع المفسَدة أولى من جلب المصلحة.

ومن أجل اسـتيضاح الأمر بحاجة إلى أنْ ننتبه إلى أن فئة من الناس يرهق نفسـه بالمزيد من العبادة المسـتحبة، بينما هو مطالَبٌ بالاستغفار من معصية لكنه يُسـوّف ويُماطـل في ذلـك، وهو في غفلة عـن أنه قد يموت على تلـك المعصية،

فلا تفي مستحباته بإنقاذه مما تورط به، وعندها لم ينفعه إعجابه بل أضرّت به سيئتُهُ.

وكان من الضروري التأكيد في هذا الجانب؛ لما ينتاب الإنسان من الغرور، المانع عن الاستجابة للنصيحة من أي أحدٍ.

حرف الصاد

٦١ - قال عليه السلام:

صوابُ الرأي بالدول[1] يُقبِلُ بإقبالها، ويذهبُ بذهابها.

يتصور بعض الحاكمين أنه بمستوى رفيع من الحنكة الإدارية، وحُسن التدبير، وأنَّ رأيه فوق مستوى الشبهات، فيوهمه ذلك صواب رأيه دائماً، وعدالته الاجتماعية، فلا يتنازل عن قراراته ولو أجحفت وأضرّت، بل لا يراجعها أو يفكر بشأنها، وعندها تكثر المظالم، وتزداد الشكاوى، من دون جدوى؛ لاقتناع الحاكم بسداد ما قرره، وهذا استبداد وتفرّد بالسلطة العامة، مع أنّ مقتضى الحكمة السياسية، التشاور والاطلاع على الآراء؛ حيث يتعلق الأمر بالأمة التي انتخبته ووفرت له فرصة الحكم، فلابد من الوفاء معها، وعدم التنكر لها؛ كونها قد مهدت له الطريق ليكون حاكماً وقائداً، وأنه إذا ما أضرَّ بمصالحها فستنقلب

(١) الدول جمع الدولة: مصطلح يطلق على أي بلدٍ مستقل ذي اسم محدد وحدودٍ جغرافية ،وقد بلغ العدد لحد عام٢٠٠٣م ١٩٣ دولة معترف بها كدول مستقلة،ظ/ الموسوعة العربية العالمية،لكنها لغوياً: انتقال حال سارة من قوم الى قوم،ظ/ الفروق اللغوية٥١٢،وعلى الفهمين معاً يستفاد تقلب الحالة وتبدلها وعدم دوامها أو استقرارها.

عليه، وعندها لا يجد ملجأً يحميه من ثورتها وغضبها، وهذا ما يلزم الجميع أنْ يفكروا به، ويعملوا على عدم التورط فيه، لأنه يُسيء إليهم إساءة بالغة، وقد كانت الحكمة قد شخصت سبب تصور الحاكم ذلك، وهو داء الغرور بالمنصب وما يؤثره من تغيير طريقة التفكير، ونمط التعامل مع القضايا؛ لذا كانت الدعوة إلى عدم الاغترار بالمنصب المؤقت؛ إذ ما يستصوبه اليوم وهو المسؤول، قد يندم عليه غداً وهو المواطن العادي، ولا أقل من تمنيه لو لم يتخذ قراراً بشأنه، فإنْ لم يحصل ذلك فهو ميت الأحياء؛ حيث ماتت أحاسيسه، واندثرت علائقه الإنسانية، فعاد أداةً تنفيذية، معزولاً عن مشاعره.

وبالتالي فلابد من التروي والتفكير العميق، قبل الدخول في متاهات ودوامات، يصعب التخلص من تبعاتها، خاصة ما تؤدي إلى الحرمان، والتي تعكس الجانب المُفزع في الإنسان؛ عندما يتحول إلى تمثال متحرك، وقد جمَّد مشاعره، بل لم يستوعب المشكلة بعقله ليجد لها منفذاً لا يؤدي به إلى ارتضاء تصرفاته كافة، فإن ذلك رهين المنصب، وقرين السلطة وحمايتها من المساءلات القانونية، أو الاعتداءات الجسدية - أحياناً -، وأما بعد تلك المرحلة - مهما طالت -، فتتبدّى له الأمور بصورها الواقعية، ليجد واضحاً أنَّ قراراً مّا اتخذ قد أدى إلى انهيار اقتصادي أو أخلاقي، أو سبَّبَ في حصول خلل أمني، أو ضياعٍ أُسري، أو خسارة ثروة وطنية، أو غير ذلك مما يصدر عن جهات مسؤولة، وهي تبررها مع ما فيها، بينما كان عليه السلام دقيقاً في تشخيصه، وأميناً في نصيحته، فصرّحَ بأنّ هذا الاستحسان سرعان ما يزول، ويتبدل - أحياناً - بضده، فلابد من التحلي ببُعد النظر، ودقة التشخيص للمصلحة الأهم، والحكمة في معالجة المشكلات، بعيداً عن الانفعالات النفسية، والمداخلات الوقتية.

فهو عليه السلام يوجه الحاكمين إلى العدالة الاجتماعية، والإخلاص لشعوبهم؛

فإنَّ للتأريخ في سجله تقييماً وحكماً، والعاقل مَنْ ودَّعَ كرسي حكمه وهو مطمئن من عدم تداعي أحد معه، دنيوياً وأخروياً؛ إذا ما حُكِمَ بالعدل، ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

(١) سورة النحل الآية: ٩٠.

حرف الضاد

٦٢ - قال عليه السلام:

ضع فخرك، واحطط كِبرك، واذكر قبرك.

الدعوة إلى التفكير العميق بعاقبة الأمور، وعدم الاكتفاء بالحال الحاضر، لما للجمع بينهما من فوائد عديدة، تؤثر في صفاء النظرة المستقبلية، وتؤدي إلى سداد الخطوة الآنية، فلا يرتجل الإنسان موقفاً، كما لا ينطق بكلمة إلا بعد تقليب وجهات النظر؛ لئلا يندم بعدئذ، ويعسر عليه التخلص من تبعات ذلك.

وقد أشار عليه السلام إلى أنَّ سبب الارتجال المشار إليه، هو أن يحسب نفسه أعلى من غيره وأفضل وغير ذلك مما يوهمه الشموخ فيفتخر به، ويتكبر على أقرانه في الخلق، ويترفع عليهم مع كثرة المشتركات وقلة الفوارق، فضلاً عن زوالها لاحقاً، فلا يبقى سوى الندم؛ لذا كانت التوصية بتذكر القبر وما فيه وما بعده؛ ليخف غلواء الصدور، وليستذكر الإنسان مشتركاته مع أخيه الإنسان، فلا يفخر عليه، ولا يتكبر عنه، مع ما في ذلك من عواقب سلبية، تورث الأحقاد والأضغان، بل الثارات؛ لكون المفتخَر عليه لا يرضى أنْ يكون الأقل، فيسعى

إلى إثبات وجوده ولو بالخطأ، وعندها فلا يسلم المتكبر على وجوده الدنيوي، كما لم يسلم من المساءلة أمام ربِّه؛ حيث ورد ذم المتكبر والنهي عنه، قال عليه السلام في خطبة له:

واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر. فلو رخص الله في الكِبْرِ لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كرّه إليهم التكابر ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم. وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا أقواماً مستضعفين[١]، وقال: الكِبْرُ مصيدةُ إبليس العظمى[٢]، وأيضاً: الكِبْر يساور القلوب مساورة السموم القاتلة[٣].

ورُوي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له: سقر، شكا إلى الله عز وجل شدة حرّه وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم[٤]، وقال: ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه[٥]، مما يعطينا أنّه صفة سيئة يتخذها البعض تعويضاً عن معاناة معينة، وهذا ما يمثِّل تحليلاً نفسياً لهذه الظاهرة من شأنه التنفير منها، وصولاً إلى تقليصلها، ليتخلص المجتمع من تأثيراتها المعقدة التي تسهّل لظهور الطبقية بين أفراد المجتمع الواحد وهذا الأمر مما ينبذه الناس بحسب طبائعهم الذاتية، بما يؤصل إلى كون الحالة السديدة هي ما دعا إليه عليه السلام، من التواضع والتعامل ضمن مساحة المشتركات الإنسانية، التي تمتاز بالأصالة والديمومة أكثر من غيرها، مما ينحسر عندما

---

(١) نهج البلاغة٢/ ١٤٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ١٩.

(٣) م.ن٢١.

(٤) الكافي٢/ ٣١٠.

(٥) م.ن ٣١٢.

يتحول الإنسان إلى حالٍ آخر.

وإنَّ العاقل ليختار الأدوم؛ لما يحصل عليه من معطيات وفيرة، تتيح له المحبة والمودة والتواصل من خلال شبكة العلاقات العامة بدون معكرات، ترتد عليه بالآثار السيئة.

حرف الظاء

٦٣ - قال عليه السلام:

الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار[١].

إنَّ هذه الحكمة تمثِّل سلسلة مترابطة الحلقات، بحيث يجد الإنسان نفسه أمام دائرة موحدة لا يصلح له إنجاز التالي إلا بعد المرور بسابقه، فمَنْ أراد النجاح والتقدم فعليه أنْ يكون حازماً، ولا يعني الصرامة والقسوة، بل التفكير العميق بالأمور، وتجاذب أطراف المشكل بالبحث واستعراض الاحتمالات، توصلاً للرأي الأصوب، وتوقياً من الانزلاق في مطبات الغرور بالقوة أو غيرها، وإنَّ هذا الرأي لا يتم إلا بشرط الكتمان، ليكون الإنسان مستودَعَ الآراء المختلفة والأفكار المتضادّة، حتى يختار الأصلح والأنسب، بحسب متطلبات المرحلة، ضمن المقاسات المناسبة، وهو ما يقتضي أحياناً الإصغاء للصغير والكبير، والمتعلم وسواه، ومَنْ يُرضي بقوله ومَنْ يُغضب؛ لما لذلك من تأثير

(١) الظفر: الفوز والغَلَبَة، الحزم: جودة الرأي وضبط الأمر، إجالة الرأي: إدارته لاختيار الأجود والأنسب.

مهم في بلورة الأمور، وإنتاج القضايا، ما ينفع في تقويم الحالة، واستتماماً لأمر عُدته الكافية، حتى لو كان عيبٌ لأمكن تلافيه وتداركه قبل اطلاع أحدٍ عليه، خاصة المناوئين ممن يتربص الفرصة، ليُثير مشكلة، ويعرقل المسيرة.

فالدعوة إلى التشاور مع الآخرين، وعدم التسرّع بالرد والاعتراض قبل النظر الدقيق في نقاط القوة والضعف، وحساب الاحتمالات كافة وكأنها حاصلة فعلاً، وعدم الاستبداد باتخاذ القرارات المهمة قبل التأمل المناسب بالعواقب، لتنضج النتائج، وتكون موصلة إلى الغايات ومحققة للاماني، فيفوز الإنسان بحُسن النتيجة وتحقيق الانتصار.

حرف العين

٦٤ - قال عليه السلام:

العجَبُ لغفلةِ الحُسادِ عن سلامة الأجساد.

أسلوبٌ رائع في الحدِّ من ظاهرة تمني زوال نعمة الغير، وذلك من خلال التذكير بوفرة النعمة لدى الحاسد منها لدى المحسود، وعندها فلا موجب لحسده؛ حيث تنعقد المقارنة بين الصحة والغنى بالمال، ليتبين أنَّها أهم بكثير منه؛ إذ ما فائدة مالٍ لا صحة معه، بل يشعر الإنسان بأنه جامعٌ لغيره، فهو كأمين الصندوق المصرفي ليس له مما في عهدته إلا ما يتقاضاه من راتب، وما عداه فهو مهتم به لغيره، والغني المريض كذلك، بل يعاني من شعوره بالمفارقة الأبدية مع تحمل التبعات كافة، وهذا ما أشار إليه بقوله عليه السلام - وقد سبق شرحه في ج١ برقم٤٢ -: إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله، فوَرِثَهُ رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه، فدخل به الجنة ودخل الأول به النار، أو قوله عليه السلام - وقد سبق برقم٢٠٠ -: يا ابن آدم: ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك، الأمر الذي يتطلب اهتماماً خاصاً وإدراكاً لهذه

الحقيقة التي تغيب عن ذهن البعض مع وضوحها، فإنّ استحضارها مما يقلل حتماً من ظاهرة الحسد؛ وذلك عندما يؤمن الحاسد أنَّ ما لديه أعظم من مال الآخر، أليس بسلامة بدنه يمكنه توظيف ماله واستثماره، بينما لا يستطيع الآخر بماله إنقاذ حياته أو توفير عضو مفقود - دائماً -، بل الشواهد عديدة على أنَّ مصدر بعض الأزمات الصحية أو الحوادث الجسدية هو المال.

فالدعوة إلى نبذ الحسد، والتوكل على الله تعالى الذي بيده مصادر الأشياء، وهو عادلٌ مطلع على مصالح عباده، وقد رُوي في الحديث القدسي (وإنّ من عبادي المؤمنين مَنْ لا يُصلحُهُ إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وإنّ من عبادي المؤمنين مَنْ لا يُصلحُهُ إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك)[1] (يا عبادي، أطيعوني فيما أمرتكم به، ولا تعلموني بما يصلحكم، فإني أعلم به ولا أبخل عليكم بمصالحكم)[2]، وهو ما يبعث على الاطمئنان والراحة النفسية.

٦٥- قال عليه السلام - وقد سُئِلَ: أيما أفضل العدل أو الجود -:

العدلُ يضعُ الأمورَ مواضعَها، والجودُ[3] يخرجُها من جهتِها. والعدلُ سائسٌ عام، والجودُ عارضٌ خاص. فالعدلُ أشرفُهما وأفضلُهما.

قد يتصور البعض أنَّه قادرٌ على إدارة الأمور من خلال إمكانيته المالية، فيصل إلى القلوب، ويحوز على الثقة عندما ينفق أمواله، ليستر عيوبه، ويغطي نقائصه، وهو غافل عن كون طريق الوصول لذلك هو الإنصاف والتوازن الذي يضمن معادلة تصلح لتكوين علاقة سليمة مع بقية الأفراد، من شأنها أن

---

(١) الكافي ٢/ ٣٥٢/ ٨.

(٢) عدة الداعي ٣١.

(٣) الجود: كثرة العطاء من غير سؤال.

تمدَّ جسور الثقة وروابط الاطمئنان النفسي بصلاحه لما يطمح إليه.

وهذا عام ينطبق على علاقة الإنسان داخلياً وخارجياً، فإذا هدف إلى شيءٍ فعليه تعبيد طريقه بوضع الشيء في محله المناسب، دون التعدي على أحد مهما كان؛ حيث يضرُّ ذلك به ولا ينفعه ما يُنفقه من مال بعد أنْ تجاوز أو جارَ على أحد؛ لأنه من الواضح عدم احتياج كل أحد لماله، لكن لا أحد يستغني عن عدله؛ لما يمثله من الإنصاف وحُسن السيرة، ليأمن إليه الناس، فيثقوا به، ويعتمدوا عليه، ويتعاملوا معه وفقاً لما دلّهم عليه عدله، من حكمة وتعقل وتدبير، وهي روابط وثوق قد لا تعدلها غيرها، إلا إذا تحلّى الإنسان بالإيمان، فعندها يمنعه التزامه الإيماني عن الفتك والاعتداء والإساءة، وعندها ربما يطمئن إليه البعض.

فالدعوة إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح؛ كونه الضامن الأمين للدلالة على مؤهلات الشخص، فتُناط به مهمات عديدة، تجعل منه عنصراً ناجحاً اجتماعياً، وأما سوى ذلك من طرق يتوصل بها آخرون كاستثمار المال لأغراض دعائية، فهي غير ناجحة، ولو نفعت مؤقتاً فهي غير مضمونة دائماً.

فالحكمة:

أ- ترشد إلى اتباع أفضل السُبُل وأقصرها، للوصول للغرض المنشود، والعدل يمثل البرنامج العام الذي لا يتأثر بالمؤثرات المتغيرة، في مقابل المال المتأرجح والعارض الزائل.

ب- كما يستفاد منها النقد لحالات التعدي والتجاوز، مما يقوم به أجواد من الناس؛ فإنّ المجتمع بحاجة إلى العدل، أكثر من كونه محتاجاً إلى الجود، فإنْ رغب أحدٌ بالجود والسخاء، فتلك مكرمة قد تحلى بها، لكنه لو لم يفعل لما لامه أحد، وأما لو لم يعدل فسيرفضه مَنْ في السماء ومَنْ في الأرض؛ لذا ليست

المشكلة في الجود، بل في إساءة استخدامه كأداة للوصول، إذا ما قورنَ بالعدل، فهو أوسع قاعدة وأشمل تغطية جماهيرية.

ج- كما تصحح مفهوم (مَنْ جَادَ سادْ)، وأنه لا سيادة ولا زعامة صالحة دائمة، إذا ما ظَلَمَ الإنسان أخاه الإنسان، أو تجاوز على حقوقه، أو بغى عليه، بل يتحقق ذلك للضعيف الفقير إذا ما أعطى من نفسه الحق ووَضَعَ الأمور في مواضعها، فإنه يسود ويتزعم جماعته، بعد أنْ وثقوا بعدله وكياسته وطريقة تدبيره الأمور، وبهذا نكون قد أمّنّا جميع حالات التعدي، وضمنّا عدالة اجتماعية شاملة، بينما إذا جادَ وجارَ، فلا يهنأ المجود عليه به؛ لاقترانه بالجور، فضلاً عن بقية الأفراد ممَنْ لم يصلهم سوى الظلم والجور.

فكان عليه السلام بصدد المصارحة الواضحة مع الطبقات القيادية في المجتمع: أنْ لا معدل عن العدل، وإلا لكثرت الانقلابات والاغتيالات وسائر ما يزعزع الأمن ويهدد الاستقرار، وعندها لا ينفع شراء الأصوات، وفرض الهيمنة بالوسائل المختلفة، ترغيباً أو ترهيباً، بل ستذهب الجهود بلا مقابل، بدلاً من أنْ تفك حصاراً اجتماعياً على هذا المهيمن بماله، في الوقت الذي تتظافر جميع الجهود من أجل تذليل الصعوبات المالية إنْ وُجِدَتْ؛ لذا كان العدل أشرف وأفضل؛ بعد كونه قد رسَمَ للإنسان سياسة تعامله مع غيره، لتُحترم الحقوق، وتُؤدى الاستحقاقات، فيؤمن الغضب والثورة والهياج والبطش، في وقتٍ لا يدري ذو المال كيف يحمي نفسه من بعض ذلك، وهذا ما لم يكن بسبب سلبية صفة الجود بقدر ما كان بسبب غياب العدل، فينبغي لنا أنْ نتفاعل مع هذه الحكمة بفهمٍ دقيق، ولاسيما من قبل ذوي المناصب والأموال، وهم أولو نفوذ يحتِّم عليهم التروي ومزيد التفكير، وعدم الاستبداد، أو رفض النصح؛ لما يكلفهم ذلك دنيوياً وأخروياً، لننطلق في قضايانا ضمن محور العدل، فنصل للمراد في وقتٍ

لا نضمن فيه الوصول بمحاور أخرى ومنها الجود بالمال وتوظيفه لأغراض الدعاية؛ حيث لا يُصدق الناس به عندما اتضحت مديات قدرته على معالجته المشكلات، فاستعان بالجور، عندما ضاق به العدل، مع أنّه (مَنْ ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[١]، وهو بهذا لم يعالج المشكلة، وإنما أضاف أخرى؛ ولذلك نرى أنّ انهيارات دولية وغيرها تحصل بسبب فقدان العدل، كطريقة للتعامل، ووسيلة للتغلب على ما يعترض الطريق الطويل، فإنّ المنكوب يتطامن عندما يأمل باسترداد حقه، لكنه لا يسكت دائماً لو أُشتري سكوته بالمال، والفارق شعوره بكرامته الإنسانية في ظل العدل، وإشعاره بهوانها حتى لو أُحيط بالمال، فهو ليس بعوض دائماً.

٦٦ - **قال** عليه السلام:

علامةُ الإيمان: أنْ تؤثرَ الصدقَ حيث يضرُّكَ على الكذبِ حيث ينفعُكَ، وأنْ لا يكون في حديثِك فضلٌ عن عملِك، وأن تتقي اللهَ في حديثِ غيرك[٢].

تعريفٌ للإيمان، وأنه قائمٌ على ركائز ثلاث:

أولاً: تحرّي الصدق في المواقف كافة؛ لما يمتلكه من مقومات السلامة، ويوفره من معطيات عديدة تؤمِّن للإنسان المتورط فرص النجاة، بما يدلّنا على أنَّ الكذب مهما تمثلناه فلا نراه شفافاً، بل هو قاتم قابض للنفس، يعقبه خجل وندم وتجريم وغيرها من إدانات تكون ولا تزول.

وثانياً: التزام المطابقة بين القول والفعل، وعدم التخلف عن ذلك، وإلا

---

(١) نهج البلاغة١/ ٤٦.

(٢) تؤثر: تُقدِم،فضل: زيادة.

كان الإنسان منظِّراً مع عدم الحاجة العامة لأمثاله، أو كان ثرثاراً وهم غير قليل، فهو في الأحوال كلها لا يسلم من النقد، بخلاف ما لو التزم إجراء الموازنة بين الحديث والعمل، فسُيرجى منه أنْ ينهض بواقع محيطه، ويؤثر بما يرفع أو يقلل من معاناة الناس بقدر تعلق الأمر به، فيكون مفيداً على مستوى النفع العام.

وثالثاً: الأمانة في تأدية ما لغيره، وخاصة كلامه؛ لما ينبئ عنه من مستوى إدراكي للناقل والمنقول عنه، مضافاً إلى ما تُمثله مهمة النقل من اختبارٍ للقدرة الأدائية التي يفشل فيها غير واحد، بما يكشف عن عدم الورع، واللامبالاة بحقوق الغير، وهو أمرٌ انعكاسي على مستوى الفرد والمجتمع، وله ترددداته السلبية؛ حيث يظهر عدم تفعيله للتقوى في هذا الشأن الحياتي ذي الصلة العامة، وهو ما يقلل من فرص الاعتماد عليه، ليفتقد بعض أرصدته المهمة، فيعود خاوياً لا يقدر على التعويض بجوانب أخرى.

فالدعوة إلى تجسيد الحالة الاعتقادية عملياً، وتنفيذ المطلوب على مستوى التشريعات كافة من مقاطعة الكذب ولو بأدنى درجاته، ومن الجدية في تفعيل ما يطالب به، فإنه لو كان صالحاً فهو أولى مَن طبَّق ذلك، وإلا فليكف تلقائياً، ومن مراعاة حقوق الآخرين في المواقع كافة، وعدم الاقتصار على حال الحضور الجسدي، بل كان الالتزام الأخلاقي يتعدى ذلك فيحفظه في مغيبه أيضاً.

وإنّ تطبيق هذه الحكمة لكفيل بنشوء مجتمع كفوءٍ بالانطلاق نحو المكارم والمعالي، بعيداً عما يطلقه البعض من شعارات جرداء، كما أنّ مفهوم هذه الدعوة المباركة أنّ عدم الانسجام معها يؤدي إلى فشل التجربة الإنسانية في تصحيح المسار وتقليص مساحة الأخطاء التي تُرتكب باسم الإنسانية - أحياناً -، لنجده عليه السلام يبين أنّ من القضايا ما يلزمنا العمل على تجذيرها اجتماعياً بالوسائل الممكنة كافة، وعدم الاكتفاء بإعلان التضامن والتناغم النفسي المجرد، فكان منه عليه السلام

سلب صفة الإيمان بمفهومه الصحيح عمَنْ لم يتأثر بهذا الجو الإيماني الإنساني، ليؤكد على مواطنته الصالحة، وعضويته المثمرة في أُسرة مجتمعه الكبيرة.

٦٧- قال عليه السلام:

عليكم بطاعةِ مَنْ لا تُعذرون بجهالتِهِ.

الدعوة إلى الالتزام التام بموجبات السلامة قبل الندم لفوات فرصة التصحيح والتلافي، عند الحساب والمساءلة؛ حيث قد تمت الحجة على العباد، بما وهبهم الله تعالى من الإدراك العقلي الباعث على شكر المُنعم، ومن الواضح تواتر النِعم وتواليها على العباد بل الخلق عامة؛ مما يجعل الجميع أمام مسئولية الشكر والعرفان بالجميل، وعدم التنكر أو الجحود والكفر؛ فإنه سبحانه مستحِق للطاعة ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾[1]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]، ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3]، وغيرها مما أتاحه لعباده ومكَّنهم منه، مما أوجب طاعته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٣٢.

(٢) سورة النحل الآية ١٤.

(٣) سورة لقمان الآية ٣٤.

تَأْوِيلاً﴾[١].

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٣]، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٤]؛ وحيث أنَّ الطاعة مرتبطة وثيقاً بالعبادة، وهي بدورها تعني الانقياد والخضوع، وهو ما يتطلب امتثال الأوامر، والانتهاء عن المناهي، ليبرهن العبد على صدق إدعاء عبوديته لخالقه سبحانه، والذي يعمُّ ذلك أمور الدنيا والدين، كما يشمل قضاياه كافة في عقائده وممارساته، الأمر الذي يحتاج فيه الإنسان إلى تلقي تعاليمه من الأمين على ذلك؛ لما تتطلبه طبيعة التكليف من تأمين التلقي المباشر من البشر؛ حيث لم يشأ تعالى الإيحاء لكل أحد، وهو ما يعني الحاجة إلى الرسول، المعزَّز بالمعجز، المنبئ عن تفرده بلياقة خاصة، كانت بإرادته، وعن استعداده، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[٥]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[٦]، ومن تمام الإيمان به صلى الله عليه وآله التصديق له، والإذعان بكونه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٧]، مما يؤسس لعلاقة قائمة على القبول والتسليم، وعدم الرد أو الاعتراض، وبالتالي يمكن أنْ نتوقع تنفيذاً لأوامره، وتحقيقاً لمطالبه،

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢١.

(٣) سورة البينة من الآية ٥.

(٤) سورة قريش الآية ٣-٤.

(٥) سورة الفتح من الآية٢٩.

(٦) سورة محمد الآية ٢.

(٧) سورة النجم الآية ٣-٤.

فإنـه حرص على إرجاع الأمة من بعده إلى مَـن ائتمنه على البلاغ والأداء، حيث قـال صلى الله عليه وآله وسلم: إني أوشـك أن أدعـى فأجيب وإني تارك فيكـم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السـماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وان اللطيـف الخبـير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يـردا على الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما[1]، مما يدلنا على تنصيبٍ وجعلٍ خاصّين، وعلى الأمة الطاعة.

فهـذه الحكمة تُمثِّل تذكيراً وتحذيراً، بأسـلوب مؤثـر، ينتفع منهما مَنْ عَلِمَ ولم يعمل، ومَنْ لم يعلم.

٦٨ - قال عليه السلام:

العمرُ الذي أعذرَ اللهُ فيه إلى ابنِ آدمَ ستون سنة.

الدعـوة إلى أن ينتبه الإنسـان إذا وصل إلى هـذه المرحلة العمرية، وعدم التـمادي في الغفلـة؛ كونه قد بلـغ إلى ما لا يُعـذر فيه، لو أدّعى عـدم المعرفة، أو تظاهَـرَ بالجهل؛ لمـا تُمثله من مقاطع زمنية مؤثرة، حتـى أنها تترك أثرها الواضح عـلى الإنسـان، في فهمـه للأشـياء، وإدراكـه لأبعادها، ممـا يُفترض فيـه النضج والوعـي، وإنَّ عكس ذلك يعنـي خيبة الأمل، والإنذار بعدم التحول؛ مما يقطع أمل التغيير، ويمنع رجاء تبدّل القناعات.

فالحكمة بصدد اسـتعمال أسـلوب وعظي مـن توظيف الدلالـة الرقمية للعمر وما يعنيه من ذهاب الملذات، وبقاء التبعات، والقرب من ساعة الفراق، مـع البُعـد عن موقع العمل والتـلافي؛ لذلك كله فلا بديل عـن المراجعة الذاتية للأعـمال، والسـعي الحثيث إلى الوصول إلى تأمين حُسـن الختام، ولاسـيما وقد

---

(١) مسند أحمد٣/ ١٧.

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[١]، و﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢]، بما يبعث في النفس الأمل بقبوله تعالى التوبة، وأنْ يكللها بالعفو والمغفرة، مع اشتراط عدم العود، سواء أكان في حقوق الخالق أم المخلوقين.

ويمكن القول بأنه عليه السلام يشجع على استثمار الوقت، قبل انتهاء مدة العرض الإلهي بالتجاوز عمَنْ تاب إليه، والتزم بقلبه وجسده، كما ينبه قبل فوات الفرصة؛ لئلا يندم الإنسان عندما يسمع النداء العام ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾[٣].

٦٩- قال عليه السلام:

عند تناهي الشدّة تكون الفَرْجَة، وعند تضايق حَلَق البلاء يكون الرخاء[٤].

الدعوة إلى إبقاء نافذة الأمل مفتوحة، وعدم الابتئاس، عند مواجهة المصاعب، وحلول المصائب:

أ- بل لابد من استذكار أنّ لكل شيءٍ حداً بإذنه تعالى، ولا يدوم حال، بل إنه من المحال.

ب- كما لابد من توظيف الحالة لمصلحة الإنسان نفسه من خلال

---

(١) سورة طه الآية ٨٢.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٠.

(٣) سورة الصافات الآية ٢٤.

(٤) تناهي الشدة: بلغت النهاية،الفرْجَة: الكشف،الحَلَق جمع الحلْقَة: الآلة المستديرة.

الاستفادة منها كتجربة غنيّة بما قد لا يحققه لنفسه في مدّة أطول.

ت- وأيضاً إنها فرصة للتعرف على القدرة الشخصية، ومدى القابلية على التحمل والصبر.

ث- بل إنها كاشفة عن مدى عمق العلاقة مع الله تعالى؛ إذ قد يُسلِّم البعض أمره ولا يعترض، كما قد يجزع آخر ويسخط، وعندها تظهر نتائج الاختبار بنجاح الواثق بربّه وخالقه، وفشل غيره، ولاسيما وأنّ التسخط مما لا يُجدي نفعاً؛ بعد أنْ نُدرك بوضوح:

أولاً: أنّه تعالى غنيٌّ عن العالمين، ومنزّه عن الظلم؛ كونه القوي بلا منازع؛ فإنه المحيّ المميت، فلماذا يظلم؟!، بل له ما يريد بدون معارضة ﴿**قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾[1]، ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[2]، ﴿**سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[3].

وثانياً: عجز العبد - مهما بلغ - عن إدراك الأصلح له، ما لم يُسدده عالم الغيب، ويهديه سواء السبيل، مما يجعل اختياراته موفقة، كما توجد علاقة روحية تبعثه على الاطمئنان على مستقبله ومصيره؛ كونه بيد علّام الغيوب، الذي لا يدانيه أحد، ولا يشاركه غيره.

وثالثاً: أنه معوَّض على ما يعانيه دنيوياً؛ بحيث لا يكون مجرداً عن نفع وفائدة، فقد تكون أزمته التي عاناها مما تزيد في رصيده الأُخروي - لو سلّم لله تعالى ولم يعترض -، مما يجعل الأمر في صالحه، وعندها فلا موجب للقلق والتوجس، بل لابد من التفكير بما يعين على الحلّ، ويُعجل من الخلاص، وهو

---

(١) سورة يونس من الآية ٦٨.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٣.

(٣) سورة الزمر من الآية ٤ .

ما يتخذ عدة أشكال، معنوية كالتضرع والدعاء، أو مادية كالبحث عن الوسائل الطبيعية التي امتازت بخواصها المؤثرة، فإنه لا تزاحم بين الأمرين، بعد أنْ يكون هو تعالى مَنْ يرجوه الراجي، كما أنه مَنْ أودع الأشياء خواصها وتأثيراتها، وكان لكلٍ مجاله ومحلّه المناسب.

٧٠- قال عليه السلام:

عيبُكَ مستورٌ ما أسعدك جدُّك[1].

قد يتحلى الإنسان بصفات عديدة، وقد تكون فريدة عزيزة، لكنه لا يحظى بتقدير وإقبال الناس، فإنه لا ينتفع بصفاته كثيراً، بينما لو كان محظياً لكان سعيداً، فلم تُكتشف عيوبه، ولا يؤاخذ عليها، مما يعطينا أنَّ على الإنسان أنْ لا يباهي بما لديه بقدر ما يُحسن التصرف بذلك؛ فإنه لو أخطأ ذلك لما نفعته صفاته؛ لأنَّ الناس ليسوا على شاكلة واحدة في التقييم والرضا، فما لم تكن لدى الإنسان القابلية على حُسن التصرف والأداء، فلا يُجديه أنه حائز على شهادةٍ أو غيرها، كما لا ينفعه نسبٌ أو غيره، وبالتالي كان التقييم - في جزءٍ منه - بيد الإنسان نفسه، فعليه أنْ لا يتعالى على غيره، أو يشمخ بما لديه، بل عليه إقناع الغير بكفاءته من خلال حقل العمل والتجربة، دون التحويل على غائب.

فكان عليه السلام بصدد الإرشاد إلى ضرورة أنْ يسلك الإنسان أقرب الطرق لإظهار إمكانياته وقابلياته، وذلك بالعمل دون الإدّعاء؛ فإنّ لغة العمل وتفعيل الطاقات مسموعة، أكثر من غيرها وبالتالي يكون الإنسان محظوظاً، ومقبولاً لدى شرائح المجتمع، بما يؤدي إلى إغضائهم عن العيوب، ولو لمجاملته في ذلك، بينما الذي يكتفي بالقول فلا يتفاعلون معه، بل قد يضيق بعض الفاشلين

(١) أسعدَكَ: أعانك، الجَد: الحظ.

به ذرعاً، فيكيد له، فلم يكن محظوظاً، لتبين معايبه وتتكشف مساويه، وعندها فتقلُّ فرص نجاحه، ليعاني من إفرازات الفشل وسلبيات الإخفاق، ولا يصح منه أنْ يعتبر ذلك مما أُبتلي به بعد أنْ يكون قد أساء الاختيار، فالله تعالى قد وهبه العقل، لكنه عطله في ما أختاره من آلية الحياة العملية، فعاد ينوء بتراكماتٍ مجهدة، وتركاتٍ ثقيلة، مع أنه كان متاحاً له النهوض والبروز بما هو أفضل مما فعَلَهُ.

فالحكمة تصحح مفهوماً مغلوطاً يحمله البعض، وهو أنه غير محظوظ وقد عاندته المقادير ونحو ذلك، مما لا يوضح حقيقة الأمر وأنه قد كان سبباً في ذلك؛ عندما لم يكن مندمجاً في علاقاته الاجتماعية، مما أفقده الكثير، فظهر عيبه، بينما أحسن غيرُه التعامل فستر عيبه.

حرف الفاء

٧١- قال عليه السلام:

الفقرُ الموتُ الأكبر.

الدعوة إلى تلافي مشكلة الفقر، والعمل على عدم توسعها، كحالة تفتك بالمجتمع، وتُنذر بحصول المزيد من الانهيارات البنيوية اقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ونفسياً، بما يشتت الفرد والمجتمع، ويؤثر فيهما بما يصعب تداركه وتلافيه، من آثار عديدة؛ إذ يتفشى الجهل مع ما يستتبعه من التخلف والمشكلات الأخرى، كما يظهر البؤس مع ما يستجرّه من مظاهر الخمول، كما يبرز أثر نقص الأموال مع ما يلازمه من الركود الاقتصادي، بما يمنع من تقدم عجلة الحياة، ومشاركة الآخرين في ما يُحرزونه من التقدم والنهوض، مع انعدام فرص الاستثمار أو تضاؤلها، لتبقى البلاد كما غالب العباد ضمن حدود تجميع كُلَف المصروفات، دون التفكير بالإعمار والارتقاء بالواقع الراهن بل لا تتعدى الطموحات تأمين ضروريات العيش في أحسن الحالات.

ولو أننا تعايشنا مع هذا الوضع، فلا نأمن تطوره سلبياً إلى حدوث

أزمات غير منظورة؛ حيث تستغله جماعات الجريمة المنظمة، والمافيات، والعصابات، وغيرها من حالات استغلال الإنسان، دون توقف ضمن حدٍ معين؛ بل يطال الجسد كما الروح، ولا يكتفون بفئة بل الفئات كلها، وهم لا يتورعون عن تلويث مستوى من المستويات؛ ليظهر جلياً أنّ الفقر إماتة جماعية، وبشكل تدريجي، ليقضي على منابع الأمل فيجففها، وليقتحم حواجز محترمة وحصينة فيتجاوزها، ليصبح الإنسان ممَنْ اُنتهكت كرامته نفسياً أو جسدياً، بلا عوازل تفصله عن حافات السقوط، وعندها فلم تبق سوى صور الأحياء المتحركة بأفعال الأجساد، من دون أن يبقى لنا أمل بحياة القلوب؛ ولذلك يقتل، ويستبيح، ويغصب، ويغتصب، بلا وازع أو رادع، وهذه أوضح دلائل الموت.

فكأنه عليه السلام يصوِّر نهاية المجتمع الذي تموت فيه أواصر التراحم، وتذوب فيه الصِلات الإنسانية الجامعة، بأنها نهاية مأساوية، وكارثة بشرية؛ لإصابة أفراده بالموت جسدياً، ونفسياً، بحيث تقلّ معه فرص توقع النجاة والخلاص، وهو أكبر حجماً من أنْ تتداركه قوافل مساعدات، أو معونات عاجلة؛ لذلك لا يمكننا تفادي المشكلات والنتائج، إلا بالعمل الجاد:

أ- في تقليل عدد الفقراء؛ بالتزامنا بدفع مستحقاتهم المالية الواجبة، أو بمكافحة البطالة، وتأمين فرص العمل - جهد المستطاع - .

ب- وفي عدم توسيع الفجوة بين المستويات المعيشية - قدر الإمكان - ؛ لئلا تظهر ملامح الحاجة بصورة حادّة، وهذا وغيره من أنواع العلاج مما لا يمكن تقديمه دفعة، كما لم تُخاطب به شريحة خاصة، وإنما كلنا راعٍ وكلّنا مسئولٌ عن رعيته، فهو علاج طويل الأمد، ويشارك فيه الجميع، ولاسيما وأنه قد يأخذ شكلاً معنوياً.

٧٢- قال عليه السلام:

الفِكرُ مرآةٌ صافيةٌ، والاعتبارُ منذِرٌ ناصحٌ، وكفى أدباً لِنفسِكَ تجنبُكَ ما كرهتَهُ لغيرِك[1].

الدعوة إلى اعتماد آليات حياتية مفيدة في استجماع الإنسان لخواص متعددة؛ مما يمنحه القوة والسداد، ويجعله واحداً بصفات المجموعة.

الآلية الأولى: أنْ يتأمل في قضايا الحياة، ويعرض بعضها على بعض؛ ليستفيد من خلال مقارنته، ما يدفعه للمواصلة، أو يمنعه عنها؛ إذ اتضحت أمامه معالم الطريق، فلا يصح منه أنْ يعثر أو يغترّ.

وبالتالي كان تفكره فرصة لتعرّفه على ما خفيَ عن غيره؛ فإنه حلّلَ المواقف، ووَزَانَ بينها، رابطاً بين الإعدادات والنتائج، فاستنتج الموقف المناسب الذي يلزمه اتخاذه، وما كان سوى ذلك ليوصله للقرار الأنسب، لولا أنْ تداركته رحمة ربِّه سبحانه، فلم يستعجل بل أعطى لنفسه فرصة التفكير، مستذكراً تجارب الغير، ومستفيداً من هفواته، ومستنيراً بمنجزاته، وعندها فنتوقع له الرشاد والفلاح، وهو ما كان عليه السلام يهدف له باستعارته خصائص المرآة الصافية، من انعكاس الأشياء فيها، ووضوح المرئي، حتى ليكون بدرجة من البيان والجلاء؛ بحيث يُلام مدّعي الخفاء، وإنّ هذه الحالة الانعكاسية ما كانت لتحصل لولا النظر في المرآة؛ ولذا يحرص كثيرٌ على عرض الأجساد على المرايا، فكانت دعوته عليه السلام إلى عرض القلوب أيضاً، مع بيان المرآة المناسبة لذلك؛ وعندها فلا ينساق الناظر البصير وراء شهرة أو شهوة، وإنما يتعامل مع

---

(١) الفِكر: تردد القلب في الشيء،وهو اسم مصدر للتفكر: التأمل،الاعتبار: النظر الى الشيء لمعرفة غير المشاهَد من خلال المشاهَد.

العروض والمقترحات بحسب حجمها ومقاسها.

الآلية الثانية: أنْ ينظر إلى ما حصل مع غيره، وكيف حصل ولماذا؟؛ ليستفيد منه ولا يقع في المحذور؛ فإنه باعتباره بما حصل لغيره يكون كمَنْ استعان بجهاز الإنذار المُبكِّر؛ مما يوفِّر له الحماية، كما يحقق له وقاية ومناعة من التعرض للمشكلة نفسها، وهذا أسلوبٌ عمليٌ مفيدٌ، وليس بالإمكان توفير ما هو أكثر ضماناً منه، ولا يوجد أنصح منه، بما يستشعر منه الإنسان إخلاصه؛ فيأمن إليه، ويثق به.

الآلية الثالثة: أنْ يكون مصيباً في تقديراته للأمور؛ فلا يُعيد ما انتقد فيه غيرَهُ، بل يتجنب التورط بذلك، فضلاً عن الإقدام الإرادي عليه، وإلا فما فائدة استذكار تصرفات الغير وإرادة الاعتبار بها؟!، وهذا مما يعطينا أنَّ الوقت كما الجهد بحساب؛ فلابد من عدم التفريط به؛ لعدم الفائدة في أصل الاستذكار ما لم يوصل إلى الاعتبار، كما لا ينفعان ما لم يُؤدِب الإنسان نفسَهُ، ويسيطر عليها؛ لئلا يعاود ما أحس بضرره، ولا يكرر ما فرَّ منه.

فالدعوة إلى استنطاق الأشياء والمحاكمة بينها والالتزام بما يُصدره من حكم؛ كون عدم الالتزام إقدامٌ على المكروه المحذور، بينما كان المفترض الاجتناب عنه؛ تحقيقاً لمبدأ كراهته.

حرف القاف

٧٣- قال عليه السلام:

قد بُصّرتم إنْ أبصَرتم، وقد هُديتُم إنْ اهتديتم، وأُسمعتُم إنْ استمعتُم.

الدعوة إلى الإفادة مما خلَقَهُ تعالى وبثّه في سمواته وأرضيه، وما جرى مع الأُمم الماضية، مما كان دالاً على قدرته سبحانه وعظمته؛ بما ينتفع به الحائر، ويقوى به يقين المستدل، وعندها فلا يصح من أحدٍ الاعتذار بالجهل وعدم المعرفة؛ بعد أنْ أتاح تعالى للجميع - بمستوياتهم المتعددة - ما ينفعهم الاهتداء به للدلالة على وجوده والوصول إليه؛ بما لا يترك عذراً لمعتذر، ولا حجة لمحتج، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ

(١) سورة العنكبوت الآية: ٢٠.

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[١].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[٤].

فكان للسياحة دورٌ، كما للتأريخ، وهكذا للتخصصات العلمية الأخرى كعلوم الفلك والجيولوجيا والطب والأحياء والنبات، أدوارها في التعريف بالحقيقة الكونية الكبرى؛ بما لا يُبقي الإنسان شاكاً.

وهذا ما قد ألمح إلى بعض ما فيه عليه السلام بقوله: (قد أضاء الصبحُ لذي عينين)[٥]؛ الأمر الذي يدل على اكتمال الإطار العام للمشهد الكوني، بما لا يتطلب من الخلق سوى التدبر والتعقل والتفكر، وصولاً لركوب سفينة الأمان الموصلة إلى النجاة، دون غيرها؛ حيث تتشابك الأمور وتتشابه، مما يُحدث اغتشاش الرؤية، والتباس النظر بغير الواقع؛ فيقع لوجهه، وينقلب على عقبيه، وهي النكسة الكبرى؛ إذ يخسر الإنسان عمره وهو رصيده المهم.

---

(١) سورة النحل الآية: ٣٦.

(٢) سورة النمل الآية: ٦٩.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٥.

(٤) سورة ق الآية: ٦.

(٥) نهج البلاغة٦٣٩رقم١٥٩.

٧٤- قال عليه السلام:

قَطَعَ العلمُ عُذرَ المتعلِّلين[١].

بيانٌ لحقيقة كون العلم يمثِّل الأداة الحياتية ذات النفع المباشر؛ لأنه النور الذي يستعين به لاستجلاء الحقائق، واكتشاف المجهولات، وتمييز الأشياءَ بعضها عن البعض الآخر؛ فهو مصدر غني، تتوافر من خلاله السيطرة على موارد متنوعة، معنوياً ومادياً، بما يجعله حالة مقبولة، ينسجم معها كل أحد؛ فلذا يلاحظ تمنيه ومحبته في النفوس، بما يزاحم المال - أحياناً - ، فلو قصَّر أحدٌ في طلبه وتحقيقه، فلا يُقبل عذره، ما لم تكن موانع حقيقية تحول دونه، ولكن لمّا كان العلم وسيلة لما بعده، وهو بلوغ مرتبةٍ، يترفع بها الإنسان عن دنايا الأمور، فكان لزاماً عليه البحث عنه، ولو بالسؤال من أهله وحامليه؛ لئلا يُحْرم من أثرهُ، وتفوته منفعته، فيتحسر على ذلك -دنيوياً أو أخروياً-، ولاسيما وقد تهيأت قنواته وطرق تلقيه؛ فكان بالسمع كما بالنظر، وبما يشمل المعاقين أيضاً.

ولّما كان نافعاً في الدنيا والآخرة، فلا يُعذر معتذر في تركه، مع إمكانية تحصيله بالتعلم والتلقي على صعيد السؤال والمحاورة، وبمختلف الوسائل البشرية المتطورة باستمرار.

وهذا ما يجعلنا أمام مسؤولية إنسانية في ضرورة التعلم، باعتباره المنقذ من مشاكل الجهل والتخلف، وما يسببان من الفقر وتوابعه ومخلفاته المؤثرة

---

(١) المتعللين جمع المتعلل وهو الذي يطلب علةً لفعله وتوجيهاً لتصرفه، فيحاول أنْ يذكر السبب؛ توصلاً لتحصيله العذر في ذلك فلا يُلام، كما هو الذي يُكثر قول لعل: أداة الترجي، مما يدل على التواني والاتكال على الأعذار، والتماسه تحقق ما يرجوه، وهذا ما يصده عن العمل أحياناً، وحيث يلتقي الفهمان في الدلالة على الاكتفاء باستعراض الأعذار عن المبادرة، فهما منسجمان مع قوله عليه السلام: عذر المتعللين، الدال على محاولة التوجيه والتبرير.

فكرياً وجسدياً؛ حيث لا يتفاعل البعض مع التزاماته الشرعية بوصفه مسلماً، أو لا يحاول تطوير نفسه في مناحي حياتية عديدة.

ولهذه الخصوصية الفريدة كان الخطاب القرآني متوجهاً إلى العالم ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]، بما يجعله المحور ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٢]، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٣]، بل كان التفريق على أساسه، كحالةٍ يزدهر بها الإنسان ويتميز ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[٤]، ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٥].

٧٥- قال عليه السلام:

القلب مصحف[٦] البصر.

إنّ النمو الجسدي للإنسان من خلال تنامي الخلايا البنيوية المعتمد على الطاقة، وهي بدورها تنتظر ربطها بمصادرها وتزويدها بما يؤهلها للعمل أو مواصلته، مما نحتاج معه إلى الدعم المنظم على جميع المستويات، كذلك يحتاج الإنسان في تكوينه ونموه الفكري إلى مصادر للطاقة تساعده على مواصلة

---

(١) سورة الحج الآية: ٥٤.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٣.

(٣) سورة سبأ الآية: ٦.

(٤) سورة الزمر من الآية ٩.

(٥) سورة المجادلة من الآية ١١.

(٦) المصحف: مجموعة الصُحُف،فهو كناية عن الكتاب الذي يُقرأ فيه ويتزود منه.

مشـواره في الحياة من دون تلكؤ، وهذا ما يعتمد الإنسان فيه على جهده الخاص أو دعمه من قِبل غيره، والحكمة تدعو إلى ترشـيد ما يتلقاه الإنسـان من خلال قراءة صحيحة، أو اعتبار بالحدث المواجه؛ بما يديم عملية التأهيل العلمي الذاتي لـه، فيزدهـر في ثقافته المنعكسـة على شـخصيته، كما يحقق عدة مكاسـب أخرى نافعة.

فهـي ذات دلالـة على أنّ السـبب المباشر لما يعانيه الإنسـان من خلل أو اضطرابـات في هـذا المجـال، هـو نتيجة طبيعيـة لتقصـيره أو قصـوره في انتقاء مصـادر ثقافتـه، مما أثّرَ على اسـتقامته الفكرية أو سـلامته من بعض الشـبهات، لذا فلابد من مبادرته إلى تحصين نفسـه وحفظها بالاهتمام بما يبصره ويحتفظ به؛ لانعكاسـه على منظومـة علمه وعمله؛ حيث أنّه يختزن معلوماته مما يشـاهده أو يقـرأه، فهو معتمد على حاسـة البصر كإحدى المصادر المهمة، فلابد من تنسـيق وارداتـه الفكرية مع صادراته، لئلا يقول شـيئاً مخالفـاً لعقيدته أو رؤيته الفكرية القائمة على الأساس الصحيح، ويُحسب أو يحاسب عليه.

كما يمكن أنْ يُستشـف من الحكمة - التي هي بمنزلة المثَل - التأكيد على نفي فكرة الجبر ونحوه مما يتذرع به الإنسـان -أحياناً-، ليُلقي تبعة عمله- لفظاً أو فعـلاً- عـلى غيره، من البيئـة والعائلة وغيرهما، بل عليه أنْ يتحمل مسـئولية ذلك بمفرده؛ إذ لم يُحسِن اختيار مقروءاته، أو لم يفهم ما قرأه، مما أوجب ضبابية الرؤية، وعدم رجحان تفسيره، فهو مسئولٌ عن أمره، فلا يُقبل منه لو توانى بما يؤدي إلى ارتكابه الخطأ.

٧٦- قال عليه السلام:

قلة العيال أحد اليسارين.

قد يشكو البعض الفقر، ويضيق بذلك ويضجر منه، طالباً الزيادة والتوسعة، مع أنّ علاقة واضحة بين ما يحتاجه الإنسان من المال وما ينفقه، فإذا قلَّ عدد أفراد أسرته، وكان استهلاكه للمال قليلاً، فيكفيه قليل المال، مقارنة بغيره ممَنْ يحتاج الكثير لكثرة عدد أسرته.

فكانت الحكمة تبيّن أمراً منطقياً قد يغيب عن البعض؛ لشدة وطأة الفقر والحاجة عليه، كما تخفف بعض المعاناة النفسية، بما يضخم الحالة فيتوتر لذلك، مما يحتاج وقتها إلى هذين الأمرين المهمين، وبالتالي على العبد أنْ يتوجه إلى شكره تعالى على تيسير الأمر، كما عليه أنْ يحاول تحسين وضعه المعاشي، ولا يترك نفسه للأفكار والأوهام؛ فينصرف إلى غير المفيد، ويستغرق وقته بذلك، وهو ما لا يعود عليه بشيء نافع.

٧٧- قال عليه السلام:

قلوبُ الرجالِ وحشيةٌ، فمَنْ تألفها أقبلتْ عليه[1].

الدعوة إلى إشاعة أجواء التوادد الاجتماعي والتحابب بين الأفراد، بحيث يكون ذلك من القضايا المتأصلة في المجتمع؛ لتؤثر إيجاباً في حلحلة الكثير من التعقيدات، مما يستعصي على الحلول التقليدية، ولكنه بالأخلاق الحسنة ومحاولة الاستيعاب وسعة الصدر، يمكن تحقيق المكاسب العظيمة.

(١) وحشية: نسبة للوحش: خلاف الأنس، تألّفها: طلب الأُلفة: الانضمام ،وهي كناية عن الرغبة في إقامة العلاقة توصلاً للقرب الروحي والمودة .

ويمكننا أنْ نستشف من هذه الحكمة المباركة، النهي عن استخدام العنف واستبداله عن التفاهم والتواصل، كحلٍ للمشكلات؛ كونه مما يزيدها تعقيداً، فلا تتاح فرصة للإصلاح، ولاسيما وأنّ الحالة الطبيعية للإنسان عدم الانفتاح إلا على مَنْ يعرفه واعتاد التعامل معه، مما يجعل مهمة الاستقطاب صعبة، بينما لو استعنا بالتألف ومحاولة التليين بالأخلاق الحميدة مع طيب القول، لأمكن تحقيق المطلوب بغير مشقة، سوى الصبر على تكييف الطرف الآخر، وتطويعه نفسياً لقبول العلاقة الجديدة، وهو ما يحتاج إلى التصرف بحكمة وتعقل، مع تحمّل بعض التصرفات مما يمثّل ردود أفعال مؤقتة.

فالحكمة تشجع على تكوين العلاقات الاجتماعية، مع بيانها لصعوبة ذلك - أحياناً - ، إلا أنه أمر مفيد ونافع، إذا أُحسِنَ استثماره.

٧٨- **قال** عليه السلام :

قليلٌ تدومُ عليه أرجى من كثيرٍ مملول.

الدعوة إلى التوازن في الممارسات، وعدم قياس الأمور بمقياس الكم والعدد، بل بحسب المداومة والالتزام، ومدى التأثير على النفس والسلوك، وإلا لكانت الآلات الصمّاء أفضلَ من الإنسان؛ لكثرة ما تصدّره من أرقام إنتاجية غزيرة، تغطي - أحياناً - الحاجة المحلية، لتتجاوزها إلى الإقليمية بل الدولية، بينما من المؤكد عدم جدوى ذلك؛ لعدم تحويله إياها إلى صفة أخرى تخرجها عن إطارها الآلي؛ مما يعطينا أنّ الأهمية تكمن في توظيف ذلك الجهد لصالح ممارسه نفسه، وإلا لوقع في أحد مطبين: إما الدوران في حلقة مفرغة، مع تحمّل التعب البدني مجرداً، وإما التورط بالرياء وحب الثناء على عمله وأشباه ذلك مما يوقعه في حبائل الشيطان، فيخرج عن كونه عملاً قربة لله تعالى، وهو

مـا يحرمه من الثواب عليـه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1]، وهذا ما لا يختاره العاقل.

وقـد رُويَ عنه عليه السلام أيضـاً: (قليلٌ مدومٌ عليه خيرٌ من كثـيرٍ مملولٍ منه)[2]، ممـا يدلّنا عـلى ضرورة مراعاة الجانب النفسي في ما يمارسـه الإنسـان، وإلا لما عـاش المعاني العباديـة الكبيرة أو الأهداف النبيلة لغيرها، مما يسـاعد على تحوّله إلى واقعٍ آخر، ينمي فيه خلايا الارتقاء ضمن مراحل التنامي والتطوير.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٣٠.

(٢) نهج البلاغة ٤/ ١٠٣.

حرف الكاف

٧٩- قال عليه السلام - وكان قد تبع جنازة فسمع رجلا يضحك - :

كأنّ الموتَ فيها على غيرِنا كُتِبْ، وكأنّ الحقَ فيها على غيرِنا وَجَبْ، وكأنّ الذي نرى من الأموات سفرٌ عما قليل إلينا راجعون، نبوئُهم أجداثَهم، ونأكلُ تراثَهم، ثم قد نسينا كلَ واعظٍ وواعظةٍ، ورُمينا بكل جائحة[1].

الدعوة إلى أنْ يستذكر الإنسان دائماً حقيقة رحيله عن هذه الدنيا؛ ليوفر رصيداً يستعين به على تحسين وضعه الأخروي، فلا يظل بائساً **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].**

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا

---

(١) الأجداث جمع الجدث: القبر،التراث: هو الميراث والإرث: ماينتقل من الميت للحي بحسب الحكم الشرعي،الجائحة: المصيبة العظيمة.

(٢) سورة الحديد الآية: ١٢.

حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[1].

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2]، مع سنوح الفرصة وتيسرها له فلم يستثمرها، بل فوّتها وضيّعها، فتزداد حسرته عندئذ؛ لما يتبين له من حقائق كان يشكك فيها، ويعاند بها، وأيضا لعدم إمكانه التنصل من المسئولية بعدما كان يرى الأموات يرحلون ولا يعودون، فقد دُفنوا أمام أنظار الحاضرين بل انتقلت ملكياتهم إلى غيرهم، مما يؤكد عدم عودتهم، ولم يكن سببٌ آخر لاحتجابهم سوى الموت والفناء، وعليه فمن الضروري التيقن بذلك وعدم إنكاره - قولاً أو عملاً - ، وإلا لكان الإنسان مضيعاً لما أتاحه الله تعالى له من عقلٍ أو أعضاء يمكنه الإفادة منها لنجاته.

ثم لو صحَّ الاعتذار بالشباب وزهوه والانشغال بالدنيا وإقبالها، فهل يصح أنّ ينسى الإنسان مسموعاته الوعظية - قولية أو فعلية - ، حتى كأنه ناقص الحواس؛ بحيث لا يستطيع توظيف ذلك الكم الهائل من المعلومات لمصلحته، ولا يتورط بهذه النتيجة الأخروية المؤلمة؟!.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٤٤-٤٥.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٥٠.

٨٠- قال عليه السلام:

كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يعظمه في عيني صغرُ الدنيا في عينِهِ، وكان خارجاً من سلطانِ بطنِهِ، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يُكثِر إذا وجد، وكان أكثرَ دهرِهِ صامتاً، فإن قال بذَّ القائلين ونَقَعَ غليلَ السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجِدُّ فهو ليثُ غابٍ وصِلُ وادٍ، لا يُدلي بحجةٍ حتى يأتي قاضياً، وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذرَ في مثلِهِ حتى يسمعَ اعتذارَهُ، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند بُرئِهِ، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل، وكان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بَدَهَهُ أمران نَظَرَ أيَّهُما أقربُ إلى الهوى فخالفه.

فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإنْ لم تستطيعوها، فاعلموا أنّ أخذَ القليل خيرٌ من ترك الكثير[1].

الدعوة إلى الاتصاف بصفات حميدة مؤثرة في رسم صورة الإنسان، وتكوين الانطباع عنه بشكل ايجابي، وهذه الصفات مهمة جداً بحيث رَضيَ عليه السلام بأن يحاول الإنسان الالتزام ولو ببعضها؛ كونها مما تؤسس لدى الفرد أُسس الخير والقوة، وتهيئ لأنْ يُذكر ذِكراً حسناً، وبالتالي لو لم يلتزم الفرد بها لخصوصياتها الذاتية، فسيلتزم بها باعتباراتها الإعلامية الداعية إلى الاهتمام به كمتميز في مجتمعه، وهو ما يعود على الجميع بفوائد كثيرة جداً، وإذا ما تعاهدناها بالرعاية، فستُنتج صلاحاً اجتماعياً، وهو ما يلزمنا جميعاً الطموح لتحقيقه؛ لمسئوليتنا

(١) بذَّ: غلب،نقع غليل: يروي العطش،الجِدّ: ضد الهزل،ليث غاب: أسد الغابة،صِل واد: حية الوادي،والتشبيه بالأسد والحية؛لما يمثلان من القوة،يُدلي: يحتج،البُرء: الشفاء،بدهَهُ: فجأه.

الشرعيـة والأخلاقية في مجتمعاتنا؛ فقد رُويَ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: كلكم راعٍ وكلكم مسـؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسـؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهلـه وهو مسـؤول عن رعيته، والمـرأة راعية في بيت زوجها ومسـؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سـيدِهِ ومسؤول عن رعيته[1]؛ بما يساوي الجميع في موقف المسـئولية القانونية، ومن الطرق المضمونة للتخلص من تبعات ذلك هو التثقيف الجماهيري، كما الالتزام الشخصي بالصفات التالية:

أ- تصغـير الدنيـا، وعـدم إعطائهـا أكثر مما تسـتحق، بل بقـدر أنها محطة يتوقـف عندهـا المجتاز إلى غيرها، فلا يبالغ في الاهتمام بـما فيها؛ ليقينه بمفارقته لها، فلماذا يعتني بما يتركه.

نعـم من حقه الاهتمام بهـا بما يؤدي الغرض، ويقضي المهمة؛ لكون الزائد هدراً وتضييعاً.

وإنَّ عمليـة الموازنـة بـين الأشـياء ومقتضياتهـا من الاهتمام، لما يكشـف عـن مسـتوى عقـل الإنسـان؛ حيـث يعطـي كلَ شيء مـا يسـتحقه، ولـذا كان انطباعـه عليه السلام عن هذا الأخ الصديق بهذا المسـتوى من العظمـة والتوقير، حتى حـثَّ الأمة على التخلـق بأخلاقه وصفاته، وعليه فلم تكن هـذه صفة مَنْ فاتته الدنيـا أو يئـس منهـا، بل هي صفـة كريمة يلـزم الاتصاف بها حتى لمَـنْ أقبلت عليـه الدنيا؛ حيث أنها لم تُقبِل عليه إلا بعد أنْ أدبرت عن غيره، فالتصغير كناية عـن معرفـة طريقة التعامـل المنعكس على تصرفات الإنسـان، وهو مـا لا يقبل الإخفاء.

ب- التحكـم بالبطن؛ حيث يتورط البعض بالسرقة أو الكذب أو الغش أو الاحتيال أو غيرها من المعاصي، بسـبب عدم سـيطرته على شـهواته البطنية،

---

(١) صحيح البخاري١/ ٢١٥.

فيقع تحت طائلة القانون الشرعي أو الوضعي، ليدفع غرامة أو يقضي مدة في السجن أو يُدان فتتلوث صفحة معلوماته بذلك ليُحرم من بعض الفرص الوظيفية ونحوها.

وقد كانت طريقة التحكم سهلة؛ حيث يلتزم الإنسان بأنْ يكتفي بالميسور ولا يطلب غيره؛ لئلا يضطر إلى استعمال طرق ملتوية، لتحصيل ما اشتهاه ورغبه، كما لا يُكثر مما يتيسر؛ لئلا يُصاب بالأمراض أو غيرها كسوء السمعة ووصفه بالنهم والشرَه ونحو ذلك مما يُعاب اجتماعياً.

ويمكننا أنْ نستشف تعميم الحكم إلى غير البطن بوصفها الوعائي للطعام والشراب، ليشمل سائر الملذات الأخرى، من الجنس واللبس والفرش والكماليات الأخرى؛ لئلا يتحول الإنسان إلى مجسمة عرض، فيعيش وهو مثقلٌ بالقروض والغرامات من أجل تحقيق تلك الملذات الجسدية، التي سرعان ما تُجهِز على بعض قواه البدنية فتُنهكها بالوجع والاضطرار إلى المداخلات الجراحية أو نحوها، أو ما تسببه من إحراجات اجتماعية، حتى ليتحاشاه الناس بسبب صفته تلك، عندما يبيح لنفسه الأخذ والاستحواذ على مقتنيات غيره، لمجرد أنها أعجبته، وهو ما يُطبِعه بطباع سيئة كالأنانية وحب الذات وتفضيل النفس على الغير على العكس من الإيثار.

وإنَّ في التحكم بالبطن، تدريب على الصبر والتحمل والشجاعة، وهي من الصفات المهمة؛ إذ قد يُخترق البعض من خلال تجميع نقاط الضعف لديه، ومن النقاط الأكثر سهولة للاختراق، هي رغبات الإنسان وملذاته، فإذا سيطر على نفسه في ضبطها، كان أكثر أمناً وحصانةً.

ت- التحكم باللسان؛ باعتباره مصدراً مهماً في تحريك الإنسان باتجاهاتٍ مختلفة، فإذا ما أمكن أن يُسيطر عليه، فسيسهل التحكم بغيره؛ كونه يمثل أداة

تعريف بأفكار الناطق وتوجهاته، الأمر الذي يُخيف سائر الأعضاء، كما يورِطها في كثير من الإصابات الخطيرة، حتى رُوي عنه صلى الله عليه وآله: يعذب اللسان بعذاب لا يُعذَبُ به شيء من الجوارح، فيقول: يا رب لِمَ عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح؟ فيقال له: خرجت منك كلمة بلَغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام، وأخذ بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام، فو عزتي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئا من الجوارح[1]، كما رُوي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا ويناشدونه ويقولون: إنما: نثاب ونعاقب بك[2]، بما يجعل منه سلاحاً ذا حدّين، الأمر الذي يستدعي أنْ يوزن الصادر منه بدقة؛ تفادياً من الوقوع في ورطاته.

ث- قوة النفس بما يؤصل للعزيمة والثبات والمواصلة، لكن في مواضعها المناسبة بدون تهور أو تسرّع، وإلا لكانت تقحماً في المهالك، فإنها ما لم تقع موقعها، أدت عكس المطلوب منها، مع التأكيد على أهمية عدم التسرع بالحكم لمجرد ضعف البنية الجسدية أو قلة عدد العشيرة ونحوه مما يوجب استضعاف الناظر؛ حيث لم تبدو ملامح القوة والصلابة، فإنّ الأهم هو الصبر في الشدائد والثبات في النوازل، وإلا فمن اليسير التمظهر بالقوة من دون واقعية، ثم سرعان ما ينكشف جُبنه وانهزامه.

وإنَّ الاتصاف بهذه الصفة لما ينمّي لدى الفرد الاعتماد على النفس والشعور بالكفاءة الذاتية ولو بالتمرّن والتدريب، وبعكسها يكون الانكسار والتقهقر مع الفضيحة.

---

(١) كنز العمال ٣/ ٥٥٧ ح٧٨٩٧.

(٢) الكافي ٢/ ١١٥ح١٣.

ج- الالتزام بوضع الشيء موضعه المناسب، فلا يتعجل الأمور بل ينتظرها حتى يحين وقتها، وهو ما يؤشر على الحكمة والتأني، كما يؤدي إلى تعوّد الصبر وكتمان السر؛ حيث يتعلق الأمر بالغير، مضافاً إلى أنّ الإدلاء بالحجة وعرض الدليل قبل وقته المناسب مما يساعد المتربصين، كما يكشف عن سوء تقدير الشخص ذاته، ومن هنا كانت دقة التوقيت صفة يلزم التحلي بها.

وإنّ تفعيل هذه الصفة اجتماعياً لما يدفع بعجلة القضاء إلى تحقيق العدالة، واختصار الشوط للوصول إلى الوقائع الجنائية أو غيرها مما ييسر الإجراءات المتخذة أمنياً أو قضائياً أو إنسانياً أو غيرها، كما أنّ عدم تفعيل هذه الصفة مما يؤدي بالإنسان إلى الاتهام أو المقاضاة، وصولاً إلى العداوة والمقاطعة الاجتماعية؛ لذا فإذا لم يختر ذلك عن قناعة، فلابد من البحث عما يحفظ له اعتباره العام؛ لما لعدم حفظ المعلومات القضائية من خطورة بالغة.

ح- التأني في الحكم على الآخرين، والتفكير الطويل قبل الاستعجال باللوم والعتب ونحوهما، مما يدل على الإنصاف والواقعية، كما ويكشف عكسُهُ عن الظلم النفسي؛ بحيث لو أمكنه الحمل على الصحة لما فعل ذلك؛ ترجيحاً لما في نفسه من حكمٍ مسبق.

وهذه صفة مهمة على صعيد حفظ العلاقات من أنْ تؤثر عليها شوائب العجلة والارتجال والميل النفسي وغير ذلك مما يكدِّر صفو العلاقات الاجتماعية؛ بما يمثله ذلك من صدمة للطرف الآخر أو إخراجاً له عن كونه عاقلاً أو مسلماً، وهو ما يؤذيه نفسياً، بل يؤثر عليه اجتماعياً؛ لذا كانت من القواعد المشهورة أصالة الصحة؛ باعتبار تطبيق المسلم للقانون الإسلامي الذي يلتزمه ويدين به، فلا موجب لإساءة الظن به أو حمل فعله على غير الصحة، مع كونه من المسلمين الذي قد جرت سيرة المتدينين منهم عملياً على ترتيب آثار الصحة

على أعمال الناس من العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات، فهم ملتزمون بذلك فيما بينهم، والخروج عن ذلك مستغرب، بل كان معروفاً بحيث اتصل بعصر المعصوم عليه السلام وقد أمضاهم على ذلك وأقرهم عليه؛ مما يعطينا موافقته لهم في ذلك، بينما نجد أنّ الإسراع باللوم يمثّل خروجاً عن القاعدة؛ لذا وسواه كان الحث في هذا المقطع من الحكمة على عدم اللوم قبل معرفة الأسباب، وهي عديدة، حتى رُوي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أيها الناس، مَنَ عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الرجال، أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ويحيل الكلام، وباطلُ ذلك يبور والله سميع وشهيد، أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع- فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت -[2]، بما لا يترك مجالاً للوم فضلاً عن ترتيب الأثر على التصور والتقدير الشخصي.

خ- تحمّل الوجع، بما يعنيه من الصبر على المرض، وعدم الشكوى؛ لما في ذلك من رفضٍ عام يجر إلى ابتعاد الناس وتثاقلهم منه، مما يسبب له إحراجاً بل إضراراً، ولاسيما إذا استبطن الاعتراض على الخالق تعالى وعدم الرضا والتسليم لما أراده لعبده.

نعم قد يذكر ذلك بعد شفائه منه، وهو ما لا بأس فيه، كما لا يعني ذلك عدم استشارة ذوي الاختصاص، وإنما المراد عدم إشاعة أجواء الكآبة من خلال بث الشكوى.

---

(١) بحار الأنوار ٧٢/ ١٩٧.

(٢) نهج البلاغة ٢/ ٢٤.

د- الالتزام بعدم زيادة القول على الفعل، فلا يكثر إدعاؤه، بل يبادر إلى التطبيق، ليرَ الناسُ منه الصدق والوفاء، قبل أنْ يخسر ثقتهم فيتلاشى رصيده الاجتماعي ولا ينفعه الترميم بعدئذ، خاصة وأنه في سعة من ذلك فعليه أنْ لا يضيّق على نفسه بإكثار المدعيات والوعد بالمشاريع المستقبلية، مع كونه غير مستعد للتنفيذ، ولو لأوجه الأسباب؛ فستتلون صورته في أذهان الناس بهذا اللون القاتم والذي يعسر تغييره إلا بعد جهدٍ ووقت.

ذ- كثرة السكوت والرغبة في الاستماع للغير؛ لما فيه من راحة جسدية ونفسية، بل تترتب على ذلك السلامة الأمنية - أحياناً - ، مضافاً إلى أنه مقدور للإنسان أكثر من قدرته على الكلام؛ حيث قد لا يستطيع أنْ يعبر عما يريده، لكنه يمكنه السكوت احتجاجاً أو إشعاراً للآخر بما لا يؤديه الكلام، وبالتالي ففي السكوت ما ليس في الكلام، ولاسيما لو كان سبباً لإطلاعه على رؤى الغير وتجاربهم، فيزداد خبرةً وبصيرة في الأمور.

وإنّ التثقيف العام على التحلي بهذه الصفة، لما ينفع في الحدِّ من بروز العديد من المشكلات التي تؤدي إلى المشاجرات أو ارتكاب الجرائم؛ لذا رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لا يزال العبد المؤمن يُكتب محسناً ما دام ساكتاً، فإذا تكلم كُتب محسناً أو مسيئاً[1]، مما يؤسس لفضيلة السكوت، بوصفه ضماناً مؤكداً للسلامة في الدنيا والآخرة، كما يشجع على التلقي مع ما فيه من ثواب، مقابل الكلام مع ما فيه من تبعات - أحياناً -.

ويمكن إبداء الفرق بين صفة الصمت مما تقدم في (ت) وصفة السكوت (ذ)، بأنّ الأول ما لم يكن في مواجهة تدفع به باتجاه الكلام، بينما الآخر ما لو كان كذلك، إلا أنه فضَّلَ السكوت وعدم الجواب؛ لئلا يتطور الموقف سلباً، ولعله

(١) الكافي ٢/ ١١٦ح٢١.

المناسب للتأكيد والتكرار في ذكر الصمت والسكوت؛ لبيان مدى السيطرة على النفس، فهو اختياراً لا يفضِّل كثرة الكلام، كما أنه لو كان مع غيره فلا يبادر إلى الكلام، بقدر ما يختار عدمَهُ، أو يكون الفرق بمستوى: أنه لو كان لمفرده فلا يبتدئ أحداً بذلك، كما لو أنه كان مع الآخرين فيكون دقيقاً في مبادلتهم الكلام؛ خشية ما يترتب ويلزم مما لا يُعرف حجمه، وقد رُوي عنه عليه السلام: أنّ الكلام ذكر والجواب أنثى، وحيثما اجتمع الزوجان فلابد من النتاج[1].

ر- السيطرة على النفس، والتحكم في مرحلة إصدار القرار، فلا يغلبه شئ على ذلك؛ بحيث لو اعترضه أمران، وازَنَ بينهما ثم أختار ما يخالف رغبته النفسية؛ ليكون ممَنْ خالف نفسَهُ الأمّارة بالسوء، وكبحَ جماحها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2].

نعم لا يعني ذلك مطلق المخالفة، بل ما تكون طاعة للعقل؛ لئلا يتحول علمه إلى جهل؛ عندما يصرُّ على موقفه اعتزازاً بنفسه ولو كان خطأً، فكانت الحكمة بصدد تثقيف الجماهير على ضرورة الاحتكام إلى الثابت العقلي الذي يلتقي مع الخطوط المعرفية العامة، وأنه يلزم اتخاذ القرار الصائب وعدم تفويت ذلك لدواعٍ وقتية، بل لابد أن تكون النظرة شاملة؛ لتكون المعطيات ناضجة ومهمة، بينما أنّ متابعة الانفعالات المرتجلة لا تؤدي الغرض المطلوب، بل تزيد من تعقيد الحال في الدنيا أو الآخرة، وهذه الصفة ذات بُعد مؤثر في الكشف عن قابلية الإنسان في ضبط النفس وعدم انصياعه للمؤثرات الزائلة.

وفي نهاية بيان هذه الصفات، كان اهتمامه عليه السلام بالتحلي بها كلاً أو بعضاً، وعدم التخلي عنها لعدم القدرة على الجميع، بل أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير،

---

(١) كنز العمال٣/ ٦٩٥ح٨٤٨٩.

(٢) سورة النازعات الآية ٤١/ ٤٢.

وهو حثٌ مؤكد على ملاحقة رذائل الصفات وإزالتها، وعدم الاستسلام لها؛ لما تجنيه على المتصف بها، فيلزمه السعي لإزالتها، دون الاعتذار بعدم القدرة، وهذا ما يؤسس لمجتمع يتكامل أفراده، عندما يشعروا بوجود سلبيات الصفات، ولا يتركوها تستفحل، لنحتاج إلى إعادة التأهيل والتنظيم، من خلال دور الإصلاح ودورات الباحثين الاجتماعيين أو سواهم ممَّن يُعنى بتهذيب أفراد المجتمع، وبالتالي كان التزام كل فردٍ مغنياً له عن متابعة غيره له، بل تتأصل فيه بما يميزه أمام غيره وهو ما يفخر به.

٨١- قال عليه السلام:

الكرمُ أعطفُ من الرحم.

الدعوة إلى تعميم صفة الكرم، بما تعنيه من شرف النفس المنعكس على الصفات، لتكون الأجواء التي ينطلق منها الفرد والمفاهيم التي يتعامل مع الآخرين من خلالها، مما تؤصل هذا الخُلُق الراقي.

وكان تأصيل ذلك اجتماعياً يحتاج إلى جهدٍ غير اعتيادي؛ لما تعوّده البعض من البخل ونحوه، فكان بيان ميزة جديدة، أمراً لافتاً ويشجع على الاتصاف، فذكر عليه السلام أنّ الكريم يمتلك رصيداً في النفوس يفوق على ما يتوافر من خلال العلاقة الرحمية مع تفوقها الذي لا يُنكر، إلا أنّ الكرم يعطف القلوب، ويشجع على التواصل بما يزيد، والعاقل حتماً سيختار الكرم؛ لما يقدَّمه له مما يفتقده مع أقرب الناس إليه، وبالتالي يستفيد ممَنْ ينشد إليه رحمياً ولو بأدنى الدرجات، كما يستفيد من طاقاته الذاتية وصفاته الشخصية أيضاً.

ويمكننا أن نستشف الدعوة إلى الاعتماد على النفس في تكوين القاعدة الاجتماعية، مع عدم التنكر للأصل، لكن لابد من عدم الاتكال على الأمجاد من

دون أنْ يزيد الإنسان فيها بجهوده الذاتية، وفي هذا فرزٌ للأكفاء من الناس، وإظهارٌ لطاقاتهم النافعة، وصولاً إلى الحدِّ من ظاهرة الاعتماد على العلاقات الأُسرية ونحوها، مما تشيع في الدوائر العملية والمعاهد العلمية وغيرها من مواطن بروزها لحالة ترجيح معتمدة.

٨٢- قال عليه السلام:

كفاك من عقلِكَ ما أوضحَ لك سبيلَ غيِّكَ من رُشدِك[١].

الدعوة إلى الاحتكام للعقل كمرجعية يستند الإنسان اليها في توضيح الصورة، عندما يستعصي الوضوح التلقائي، فلئلا يقع في مطبات الانفعالات النفسية وما تستجره من مواقف، كان إرشاده عليه السلام إلى العقل باعتباره المرشد القريب الذي لا يحتشم من مصارحته، الأمر الذي يوفر جواً من الرخاء النفسي، بعيداً عن الشد العصبي الذي يصاحب حالة الغيّ بما يعنيه من إضلالٍ وتشويش للرؤية؛ فيخشى من تأثير ذلك، وبالتالي فلا يصح الاحتجاج بالقانون أو العرف إذا لم يعيشا في أجواء العقل، كما هو الحال فيما يقوم به البعض من مخالفات يكيّفها قانونياً وعرفياً ويتوهم كفاية ذلك، بينما كان التعويل على العقل باعتباره ضماناً لاعتدال الأمور في مجراها الصحيح، في الوقت الذي لا يتوافر الضمان ذاته دائماً في غيره؛ لكثيرٍ من المداخلات.

مما يجعل الإنسان أمام مسئولية مباشرة مع ثوابته الخاصة بما لا يترك مجالاً للتمرد؛ كونه قد تلقى الحكم بنفسه من عقله، وفي وقتٍ لا يجرأ أن يواجهه أحد، فتحقق أنّ للعقل دوراً متميزاً.

---

(١) الغي: الضلال، الرشد: الاستقامة.

٨٣- قال عليه السلام:

كلُّ معدودٍ منقضٍ، وكلُّ متوقَعٍ آتٍ.

الدعوة إلى موازنة الإنسان لأعماله، فلابد له من أنْ يقف يوماً للحساب، وهذا شاملٌ دنيوياً وأُخروياً، فالمسئول عن شيء سيحاسب عليه ويُساءل عن طريقة تعامله فيه، الأمر الذي يتسع للإنسان بصفته التكليفية الشرعية أو الوضعية، فالموظف والمكلف سواء في حجم المسؤولية، مع الفرق الاعتباري بينهما؛ من حيث الجهة المحاسبة، فقد يكون مَنْ لا ينقضي أثرُ حسابه، كما يكون مَنْ لا يتجاوز حسابُهُ الفصل الوظيفي ونحوه، مما يدفع بنا إلى تجنب مواقع المحاسبة، من خلال الالتزام الصحيح، وإلا فلا مفرَّ؛ فإنّ مدة بقاء الإنسان معدودة، ثم تنقضي لتبدأ رحلته الأخرى، فكيف يقضيها؟ ومع مَنْ يُمضيها؟، وبالتالي ما يُتوقع من المساءلة والمحاسبة آتٍ بلا شك فإلى أين الفرار؟.

فكان عليه السلام مهتماً بالإنسان كله، ليوصيه بضرورة أنْ يعي النصائح والوصايا ولا يهملها، بحجة أنها من التاريخ القديم فلا تناسب الحاضر، وهو عليه السلام بهذا يوكل الإنسان إلى عقله الذي بدوره يحتم الابتعاد عن الضرر ولو المحتمل، وهو كافٍ في التوجيه التلقائي للتفكير بيوم العرض والحساب، عاجلاً أم آجلاً، فالموت متوقع فهو آت؛ حيث كان عمر الإنسان معدوداً، كما الفصل الوظيفي أو الإحالة لمجلسٍ تحقيقي عند بروز حالات الفساد المالي أو نحوه متوقع فهو آتٍ؛ حيث كانت مدة المنصب الوظيفي معدودةً، فلابد من التحسب للمرحلة المقبلة، وعدم الاسترسال مع المرحلة الحاضرة؛ كونها مؤقتة.

٨٤- قال عليه السلام:

كلُّ وِعاءٍ[١] يضيق بما جُعِلَ فيه إلا وِعاءُ العلمِ، فإنه يتسع.

الدعوة إلى التنامي العلمي، وعدم التحدد ضمن حدود تقدم العمر أو حيازة صفة معينة علمية أو عملية، بل لابد من التواصل، ورفد المجتمع بالمزيد من الفوائد والمنافع، المتشكلة بأشكالٍ مختلفة في ميادين نظرية أو تجريبية متعددة، وهو ما تزدهر به الحالة النوعية العامة، وبالتالي فهو مما لا يصح احتكاره أو حجبه؛ كونه أقرب إلى الثروات الطبيعية التي يتساوى فيها الجميع.

نعم هي ذات صلة بذي العلم والطاقة؛ كونه العنصر الفاعل في تحريك الأجواء وتهيئتها للنهوض والإبداع، فيستحق التقدير بأشكاله.

٨٥- قال عليه السلام:

كم من صائم ليس له من صيامِهِ إلا الظمأ، وكم من قائمٍ ليس له من قيامِهِ إلا السهرُ والعَناءُ، حبذا نوم الأكياس وإفطارهم[٢].

الدعوة إلى الوعي العبادي، وعدم الاكتفاء بالممارسة عن استشعار الصلة المعنوية المنعقدة بين الخالق والمخلوق، ومعرفة مولويته تعالى، بما لا يترك مجالاً لحالات الشرود الذي يُبتلى بها الإنسان بسبب سوء فعله.

نعم مجرد الممارسة بشروطها مجزية، ومسقطة للتكليف، لكنه عليه السلام يتطلع إلى إعداد الإنسان روحياً بحيث يعيش حالة القُرب المعنوي؛ ليتكامل

---

(١) الوعاء: الظرف.

(٢) الظمأ: العطش، العناء: النَصَب والتعب، الأكياس جمع الكيِّس: وهو مَنْ له رأي وعقل.

عندما يترشد عمله، ويفيق من وهم الفكر المادي الذي يسيطر في مرحلة مّا، ليتشتت العبد ويعصي ربّه سبحانه، فيقع في ورطة لا يقدر ذلك الفكر على إنجائه منها، إلا أنْ يتوب ويستغفر، ويبدأ رحلة التصحيح بمشاقها البدنية - أحياناً -، فيؤمل له الفوز برضاه سبحانه.

وإنّ مما يفوت على العبد ذلك الوعي العبادي، هو ما يصدر من مخالفاتٍ لسانية كالغيبة والسباب وسوء القول، أو عضوية كالرياء والغش والنظرة المحرمة وسوء الخُلُق وغيرها كثيرٌ مما يفعله الصائم أو المصلي، بما لا ينسجم مع متطلبات العبادة وتأثيرها على العبد، وهذا ما يجعله أمام أنْ يختار ترك المخالفات ويلتزم بحدود عبوديته لله تعالى، وأنْ لا يكتفي بالطقوس من دون انعكاسٍ روحي، فيساوي بعض غير المسلمين ممَنْ لا يفعِّل التقوى في حياته، وينسلخ عن مقتضاها بسرعة، ولأدنى مؤثر عصبي عليه، فيكون كمَنْ وُصِفَ في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً**﴾[1]؛ فإنّ الجهد المبذول عبادياً مما لا يتناسب مع النتيجة الحاصلة، ليكون تضييعاً للوقت وهدراً للطاقة، مع أنه بالإمكان توظيفها لما ينفعه، وإنّ عدم العمل على هذا، لما يؤشر سلباً على مستوى إدراك الإنسان وعقله، وعندها يرجح ترك العاقل على فعل غيره، ممَنْ كان انتقائياً في ممارساته العبادية، فيصلي ويصوم لكنه لا يحتفظ بأثرهما بل يسيطر عليه الشيطان فيغضب أو يغصب أو يغتصب أو غيرها من مفاسد الأفعال، مع علمه بأنه العبد لمولاه واجب الشكر والطاعة، ولا تصح مخالفته.

---

(١) سورة النحل من الآية٩٢.

٨٦- قيل له عليه السلام كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

كيف يكون مَنْ يفنى ببقائِهِ، ويسقمُ بصحتِهِ، ويؤتى من مأمنِهِ.

الدعوة إلى عدم الاغترار بإقبال الدنيا، من حيث القوة والنشاط، وسائر ما يغري صاحبه بدوام العيش؛ فإنه لاشك سيفارقه؛ إذ كلما طال عمره قصُر مكثه في الدنيا، وكلما حافظ على نظامه الحياتي الصحي فإنه لا يقدر على منع جريان الأيام وطي صفحات العمر، وبالتالي يشيخ ويهرم، وكلما اهتم بجسمه أو ماله أو ولده فحتماً سيفاجأ فيه بما لم يتوقعه، مما يجعل العاقل أمام أمر واحد ليس له ثانٍ، وهو التعامل في هذه الدنيا على أساس كونها محطة تزود، يستعد منها لمواصلة انطلاقته نحو الدار الأخرى، وما عدا ذلك فهو مخيبٌ للآمال عندما يفد على الله تعالى، ويُنادى ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[1]، فإذا به يردد ﴿**يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾[2]، الأمر الذي يدلنا على سقوط جميع الضمانات إلا العمل الصالح، فلابد من استحضار ذلك دوماً؛ لئلا يندم الإنسان في يومٍ لا ينفعه الندم.

وإنّ التركيز على هذه الثلاثة: الهرم والمرض والخطر، باعتبارها عوامل تغيير مستمرة، تؤثر على الإنسان، وإنْ أصر على أنْ لا يتأثر بها؛ كونها عناصر طبيعية؛ من حيث كانت القاعدة ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[3]، بما يعني زوال الممكنات وفناءها، لكن أمكن الإنسان أنْ

---

(١) سورة الاسراء الآية: ١٤.

(٢) سورة الكهف من الآية٤٩.

(٣) سورة الرحمن الآية: ٢٦-٢٧.

يحتفظ برصيد دنيوي ينفعه في الآخرة، وهذه حقيقة مؤكدة، لا يغيرها الإنكار، كما لا يؤصلها سوى العمل بها.

حرف اللام

٨٧- قال عليه السلام:

لأنسبنَّ الإسلام نِسبةً[1] لم ينسبها أحدٌ قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليمُ هو اليقين، واليقينُ هو التصديق، والتصديقُ هو الإقرار، والإقرارُ هو الأداء، والأداءُ هو العمل الصالح.

الدعوة إلى ربط العمل الصالح بالإسلام الذي يعتنقه المسلم، كعقيدة ومبدأ ينتهجه في حياته، مما يفرض عليه أنْ يعرف خصائصه، التي بها يفترق عما عداه من الادّعاءات الأخرى، وهذا ما يعوز الكثير من المسلمين أنْ يعرفوه ليمارسوه؛ حيث نجد البعض يقتصر على أداءات معينة، ليختزل بها الإسلام مع سعة آفاقه التي يجمع من خلالها بين الدين والدنيا، وبين الذات والآخر، ويوجد حالة من العلاقة الرابطة بين الفرد والمجتمع، فلا يتخلى أحدٌ عن مسؤولياته.

فكان تعريفه عليه السلام للإسلام بالتسليم منسجماً مع كون الإسلام (هو

(١) نسبة: أي تعريفاً يبين طريق الاتصال به والانتساب اليه.

الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع)[1]، وهو ما يعتمد على رسوخ الاعتقاد واستقرار النفس، وهي حالة اليقين، كما أنها لا تحصل ما لم يسبقها تصديق واطمئنان قلبي بواقعية الأمر، وهو مما يستند إلى إذعانٍ وإقرارٍ بذلك، وإلا فمجرد التوافق الشكلي لا ينتجه، بل بحاجة إلى عقد القلب عليه، وهذا ما يستدعي مرحلة الأداء والتطبيق الفعلي، والذي يتشكل بالعمل الصالح بأقسامه وتشكلاته المختلفة زماناً ومكاناً، ومن فردٍ لآخر، مما يفسح المجال للمزيد من العطاء المثمر، بحسب قدرات الأشخاص وطاقاتهم، وهو ما يدفع باتجاه التنمية الاجتماعية المتبادلة، مما يؤمن التواصل، مع رقابة الفرد منه ذاتاً وعليه خارجاً؛ فيسلم المجتمع من العديد من آفاته، وهو مكسبٌ عظيمٌ لابد من التوعية له والتثقيف على تبنيه، كإحدى المطالب الأساس لإنجاح المساعي الإصلاحية.

وإنّ العمل على تنفيذ هذه الحلقات المترابطة، لما يكشف زيف المدّعين، لتُفرز الحقائق، ولا تُحمّل تصرفاتهم على الإسلام.

٨٨- قال عليه السلام:

لا تأمننَّ على خيرِ هذه الأمة عذابَ اللهِ؛ لقوله تعالى: (فلا يأمن مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون) ولا تيأسنَّ لشرِ هذه الأمة من رَوحِ اللهِ؛ لقوله تعالى: (إنه لا ييأس من رَوحِ الله إلا القوم الكافرون).

الدعوة إلى عقد موازنة في طريقة معالجة الإنسان لقضاياه، فلا ينطلق بعيداً عن استشعاره قدرته تعالى؛ فإنه لا يغلبه ولا يُعجزه أحدٌ، وبالتالي لا يصح التمادي والتجاوز في المعاصي، كما على الإنسان أن لا يتملكه اليأس من وجود الحل عندما تواجهه معضلةٌ مّا؛ فإنّه تعالى على كل شيء قدير، مما يؤطر حياة

(١) مقاييس اللغة٣/ ٩٠.

العبد بالخوف والرجاء، وهما مهمان في حفظ توازن قوى الإنسان عن الإنفلات والتردي في مطبات المعاصي.

وفي هـذه الحكمـة تعميق لصلـة العبد بربّه سـبحانه، وتذكير بهـا، وبيان لأهمية التواصل النفسي الروحي من خلال استحضار تلك القوة الغالبة، بحيث لا يمكن إلغاؤها من الحسـاب؛ كونها من الاقتدار بحدٍّ يكون آمنها خاسراً، كما خائفها - لدرجة اليأس - كافراً، وبالتالي نجده عليه السلام يؤكد على الحالة التوحيدية بصفتها طوق النجاة الذي يحظى به ناجٍ، ويلهو عنه غارق؛ بعدما كانت المعادلة بصـورة الوقوف على مسـافة واحدة من الأمل والأجل، فـلا يلهو بأمله، كما لا ييأس لحلول أجله، بل واهب الحياة هو قابض الروح كما هو المحاسب المجازي على الأعمال فلا يصح - عقلاً - الإفراط أو التفريط معه.

٨٩- قال عليه السلام لبعض أصحابه:

لا تجعلنَّ أكثرَ شُغلِكَ بأهلِكَ ووُلْدِكَ، فإنْ يكنْ أهلُكَ ووُلْدُكَ أولياءَ اللهِ فإنَّ اللهَ لا يضيّعَ أولياءَهُ، وإنْ يكونوا أعداءَ الله فما همُّكَ وشغلُكَ بأعداءِ الله.

الدعـوة إلى تعميـق الثقة بـالله تعالى، من خـلال التعامل مع أعـز ما عند الإنسان وهم أهله وذووه، فيكون واثقاً من عدم تضييعه تعالى لهم، وبالتالي فلماذا القلق، بل لابد من الحرص على توجيههم ضمن الحدود الإنسانية والإسلامية؛ من أجل تأمين سـلوكهم الصحيح، وعندها فـلا موجب للخوف عليهم، وإنما لابد من المراقبة لئلا يحدث ما يوجب الخوف من تبعاتهم؛ حيث يُسـاءل في يوم القيامـة عنهم وعما أنجزه معهـم من مهمات شرعية تتخذ صفة الإلزام القانوني، ممـا يتطلب بذل الجهد المناسـب، وعدم الاتكال في ذلـك على أحد، كما لا يصح

التواكل والتواني.

وإنّ ذلك لا يمنع من اتخاذ احتياطات معينة لضمان مستقبلهم، بقدر ما يمنع من الاهتمام حتى بالعصاة منهم، مما لا ينسجم مع ضوابط العبودية لله تعالى، فلابد للأب أنْ يراعي ذلك قبل أنْ يرعاهم، ويهتم بمدى تفاعلهم مع أوامر الشريعة ونواهيها، الشاملة للأحكام الإلزامية وسواها، كما تعم أخلاقيات التعامل الاجتماعي بما ينعكس أثره على الجميع.

ولما كان هذا النوع من الآباء أو الأمهات كثيراً، حتى لتغلب العاطفة عليهم فلا يحاسب الأبناء أو البنات على التزاماتهم، مما يضعف لديهم هذا الجانب المهم في حياتهم، ليتحولوا إلى أجساد فارغة من محتوى الالتزام والتقيّد، وهو ما يضرُّ كثيراً بهم وبغيرهم، فكان عليه السلام في هذه الحكمة مؤكداً على ضرورة الاهتمام بأداء الواجب الشرعي والأخلاقي إزاء الأهل، وعدم الاكتفاء بالحرص والقلق والجزع وسوى ذلك مما لا داعي له بعد أنْ يكونوا أحد اثنين، أولياء لله تعالى فهم محفوظون، أو أعداءه تعالى فهم مخذولون، فلا موجب لإثارة العواطف النفسية وغيرها.

٩٠- قال عليه السلام:

لا ترى الجاهلَ إلا مُفْرِطاً أو مفرِّطاً[١].

الدعوة إلى التكامل العلمي؛ لأنّ الذي يجهل شيئاً، لا يخلو من زيادةٍ عن الحد فيه أو نقيصة عنه، وبالتالي فهو غير متوازنٍ، وهذا ما لا يليق بالعاقل أنْ يختاره كبرنامج عملٍ يعتاده، بل المفروض أنْ يتقدم نحو العلم والتعرف على

(١) مُفْرِطاً: متجاوزاً للحد، مفرِّطاً: مقصِّراً في الأمر.

الأشياء ضمن خطوطها المناسبة، فهي دعوة للانفتاح على المعلومة المفيدة، حتى لا يكون جهلها نقصاً في الإنسان، وهذا ما يفتح الآفاق المعرفية ويجلّيها أمام مختلف المستويات، فلا تحتكر المراتب لأحدٍ دون غيره، بل هي إشادة بقابليات الإنسان واستعداده لأنْ يتحول إلى مراتب تكاملية متقدمة، مما يحقق تدني مستوى الجهل الاجتماعي، كما يضمن الارتقاء بالحالة العلمية؛ حيث يوفر التكامل العلمي فرصة ثمينة للطرفين، ليستفيد كلٌّ من كلٍ.

وهذا ما يعتبر حثاً على الإفادة المعرفية من مصادرها الصحيحة، قد سبق فيه عليه السلام غيرَه ممَنْ دعا للإصلاح الاجتماعي كمحو الأمية أو غير ذلك.

كما لا يحسن الاقتصار في فهم الجهل على حالةٍ دون غيرها، فإنه شاملٌ لجميع ما لا يعرفه الإنسان، فعليه أنْ يتفاعل مع أسباب رفعه عنه، وإلا كان متجاوزاً الحد المناسب، مما يشجع على التواصل مع مختلف الشرائح والمستويات وصولاً إلى هذا الزاد المعرفي، الذي لا يزهد فيه عاقلٌ يريد الخير لنفسه، وعندها يستفاد من الكبير والصغير، رجلاً أم امرأة، كما الأُمي بخبرته الحياتية، والمتعلم بحسب تخصصه الحياتي، لنتوافر على تلاقٍ في آفاق العلم بعد أنْ ضاق الجهل بصاحبه.

٩١- قال عليه السلام لرجلٍ سأله أن يَعِظَهُ:

لا تكن ممن يرجو الآخرةَ بغيرِ العمل، ويُرجِّي[1] التوبةَ بطولِ الأمل، يقولُ في الدنيا بقولِ الزاهدين، ويعمل فيها بعملِ الراغبين، إنْ أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنعَ منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادةَ فيما بقي، يَنهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ

(١) يُرجِّي: يؤخر.

عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدُهم، يكره الموتَ لكثرةِ ذنوبهِ، ويُقيمُ على ما يكره الموت له، إنْ سَقِمَ[١] ظلَّ نادماً، وإن صحَّ أمِنَ لاهياً، يُعجَبُ بنفسِهِ إذا عُوفي، ويقنط[٢] إذا اُبتلي، إنْ أصابه بلاءٌ دعا مضطراً، وإنْ ناله رخاءٌ اعترض مغتراً، تغلبه نفسُهُ على ما يظنُّ ولا يغلبُها على ما يستيقن، يخاف على غيرِهِ بأدنى من ذنبِهِ، ويرجو لنفسِهِ بأكثرَ من عملِهِ، إنْ استغنى بَطِرَ وفُتِنَ[٣]، وإنْ افتقر قَنِطَ ووَهَنَ[٤]، يُقصِّرُ إذا عمِلَ، ويبالغ إذا سَألَ، إنْ عرضت له شهوةٌ أسلفَ المعصيةَ وسوَّفَ التوبةَ[٥]، وإنْ عَرَتهُ محنةٌ انفرج عن شرائطِ الملة[٦]، يصف العِبرةَ ولا يعتبر[٧]، ويبالغ في الموعظةِ ولا يتعظ، فهو بالقول مُدِلٌّ[٨] ومن العملِ مُقِلٌّ، ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى الغُنْمَ مغرماً، والغُرْمَ مغنماً[٩]، يخشى الموتَ ولا يبادرُ الفوتَ[١٠]، يستعظم من معصيةِ غيرِهِ ما يستقلُّ أكثرَ منه من نفسِهِ، ويستكثرُ من طاعتِهِ ما يحقِرُهُ من طاعةِ غيرِهِ، فهو على الناسِ طاعنٌ ولنفسِهِ مداهنٌ[١١]، اللهو مع الأغنياء أحبُّ إليه من الذكرِ مع الفقراء، يحكمُ على غيرِهِ لنفسِهِ ولا يحكمُ عليها لغيرِهِ، ويُرشدُ غيرَهُ ويغوي نفسَهُ، فهو يُطاع

(١) سَقِمَ: مَرِضَ.

(٢) يقنط: ييأس.

(٣) بَطِرَ: طغى بالنعمة،فُتِن: تعرض للاختبار لكنه لم يفز.

(٤) وَهَنَ: ضَعُفَ.

(٥) أسلف: عجّل،سوّف: أخّرَ.

(٦) عرَتْهُ: أصابته،انفرج عن شرائط الملّة: تخلّى ولم يلتزم بمقتضيات الإسلام وما يجب عليه.

(٧) العِبْرَة اسم مصدر للاعتبار وهو: النظر الى الشيء لمعرفة غير المشاهَد من خلال المشاهَد، لا يعتبر: لايستفيد من العِبْرَة.

(٨) مدّل: دليل.

(٩) الغُنم: إفادة شيءٍ لم يُملك من قبل،الغُرم كالغرامة: ما يلزم أداؤه.

(١٠) يبادر: يعاجل قبل الموت فيفوته العمل.

(١١) طاعن: منتقد وذاكرٌ بسوء، مداهن: غاشٌ ومجاملٌ على حساب الحقيقة.

ويَعصي، ويستوفي ولا يُوفِي، ويخشى الخلقَ في غيرِ ربِّهِ ولا يخشى ربَّهُ في خلقِهِ.

الدعـوة إلى تجنّـب بعض الصفات التي قد شـخَّص عليه السلام أنها مضرة بمَنْ يتصـف بها، فيلزمه الإقلاع عنها إنْ كان متصفـاً بها، أو الابتعاد عنها إنْ لم يكن كذلك، وهو أمرٌ مهم للغاية في تصحيح مسـار الإنسـان، مـن خلال نقده في ما يتخـذه تعريفاً لشـخصيته؛ حيث قد تعكس صفاتُ الإنسـان أخلاقَـهُ وطبائعَهُ وقناعاتِهِ، فلابد له من وقفة تصحيحية للتعديل وإعادة التوازن.

وقد حذّرَ عليه السلام من أن يسترسل الإنسان مع آماله؛ ليُفاجأ بانحسار المساحة المتوقعة؛ لذا فعليه بدلاً من ذلك أنْ يستعدَّ لما يريد تحقيقه بما يناسبه ويلائمه كمّاً وكيفـاً، وهذا أمرٌ لا يختلف عليه اثنـان، وإنْ اختلفا في تفاصيله الجزئية؛ فلذلك كان الأجـدر بـه أن يبادر بالتوبة، بـما تمثله من إرادةٍ جديـة للتصحيح، بدلاً من التسـويف والمماطلة بتنفيذ ما عليه اتجاه خالقه سـبحانه؛ لأنه ليس من الصحيح التمني وطول الأمل، بعد عدم تحديد العمر، وبالتالي فهو في معرض الضياع ما لم يباشر العمل أو التوبة عند التقصير.

ولّما كان الأسـاس في عملية إصلاح المجتمع، هو تهذيب الفرد وتكامله، وهو ما يعتمد بدوره على توثيق العلاقة الروحية، لذا كان التركيز في هذه الحكمة المباركة على أنْ يكون الإنسـان موضوعياً واقعياً، فلا يتجاوز رصيده؛ لئلا يخلو مـن روابطـه الداخلية، التـي تؤكد له وجود جهـة معنوية روحية، يسـكن إليها ويطمئـن بهـا؛ حيث لا تتخلى عنـه في ظروفه كافة، ولا تتعامـل معه لاعتباراتٍ معينة، بل يستطيع الانفتاح عليها متى شاء وكيف أراد، وهو ما يفتقده مع غيرها مهـما كان؛ لأنها غير مؤقتة بالانضمام والانخـراط ضمن حالةٍ معينة، بل ضمانها أنها متاحة للجميع قال تعالى: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ**

عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١] **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾**[٢] **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**[٣]، مما يتيح فرصة ذهبية للخروج من دائرة التقصير إلى أفق التصحيح، فلابد من:

١ - أنْ يترك التلوّن الاجتماعي؛ عندما يُظهر نفسَهُ كزاهدٍ في الدنيا مُعرِضٍ عنها، لكنه يعمل فيها عمل الراغب المحب لها؛ بحيث لا يشبع منها، كما لا يقنع بما يصله من حطامها، وهو مع ذلك عاجز عن شكر ما وصل إليه من نعمه تعالى، ومستزيدٌ لغيره؛ الأمر الذي يدل على ازدواجية في الأداء والتطبيق.

٢ - أنْ يطبق ما يأمر به أو ينهى عنه، فلا يعذر نفسه عندما يلوم غيره، ولا يزيد قولُه عن فعلِهِ؛ إذ أنّ اضطرابه في صفاته يحوله إلى عِداد المنافقين فإنهم كذلك؛ حيث يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين ويمارس أعمالهم، كما أنه يكره الموت؛ لما يعنيه من كشفٍ لحسابه، وفضح لسرائره. ولكنه لا يقلع عن أخطائه وذنوبه، مع أنّ مَنْ خافَ شيئاً عملَ لدفعه، إلا أنه إذا مرِضَ ندِمَ، وإنْ عوفيَ عاد لحالته السابقة، لاهياً مُعجباً بما لديه، فإنْ تبدل حالُهُ لم يُحسن ظنه بربه، بل يدعو مضطراً، فإنْ أصابه خيرٌ رجع إلى لهوه وعبثه.

٣- أنْ يكون واثقاً من ربه تعالى، فلا تغلبه نفسه ليصدقها في ما يظنه، ويترك ما هو متأكدٌ منه؛ فإنه متيقنٌ بأنّ الأمر بيده تعالى، بينما تُمنّيه نفسهُ برجاء العباد فيصدقها، كما هو عالمٌ بمفاجأة الموت لكنه يستجيب للأماني، ليرى ما ظنه بعيداً قريباً.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣٩.

(٢) سورة طه الآية: ٨٢.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٧٠.

٤ - أنْ يراقب نفسه ولا يهملها، فهي قريبة من الزلل والانفلات، وبالتالي لا يصح منه أنْ ينصح غيرَهُ بما يتركه هو بنفسه، فهل يُعقل أنْ يخاف على غيره ما لا يخافه على نفسه؟!، فقد يحذِّر أحداً من بطر النعمة وعدم التعامل المناسب معها، لكنه لا يطبق فتغرّه عندما تتوارد عليه وتتكاثر لديه، ليتوهم أهميته وميزته، وهو لا يدري لعل ذلك من الاستدراج والإمهال؟، كما أنه قد يوصي بالصبر على الفقر، لكنه يضيق لو افتقر، ولا يفتش عن سبب زوال النعمة.

٥ - أنْ يلتزم بالضوابط والقوانين الشرعية والأخلاقية، فلا يستثني نفسه مما أُمرَ به أو نُهيَ عنه، ولا يقصِّر بالعمل، كما لا يتهالك على الدنيا، بل يكون معتدلاً في حالتيه، فلا يُسرف في معصية؛ لأنه تجاوزٌ للحد، كما لا يبخل على نفسه بالإسراعِ بالتوبة؛ لأنه تقصير، بل عليه استحضار عبوديته لله تعالى بما يوجب الالتزام بلوازمها وشروطها، ولا يستسيغ لنفسه التمرد مهما كان.

٦ - أنْ يحفظ اعتداله في الأشياء كلها، فلا يصح منه تعداد ما حصل مع الآخرين من عِبرٍ ومواقف تدل على عظمة الخالق تعالى، لكنه لا يعتبر بذلك، فهو يعظ غيره بينما لا يتعظ هو، ليكون بذلك أعلى من غيره لكنه أقل منه بعمله؛ فإنه اهتم بالفاني، ولم يبالِ بالباقي، بل كان تفريطه بخير الدنيا والآخرة، دالاً على أنه رأى الغنيمَةَ غرامةً، والغرامةَ غنيمةً، بينما كان المأمول فيه أنْ يبادر قبل فوت الفرصة، وإلا فلماذا يستقبح من غيره ما يمارسه بنفسه؟!، فهل هذه مداراة لنفسه ولماذا؟!، وهل هذه إلا الالتواء مع الذات؛ ولذا يحب اللهو واللغو وسائر المعاصي مع الغني لغناه، ويكره الذكر والدعاء والعلم وسائر الطاعات مع الفقير لفقره، ومن هنا كانت نفسه غالبة، فينصف نفسه على غيره، بل يهيئ فرص الخير لغيره ويحرمها نفسه، فهو ممَنْ يدخل الناسُ الجنة بسببه، بينما يدخل النار بتقصيره؛ إذ خالف ربه تعالى، وهذا أسوء ما يصل إليه أحد.

٩٢- قال عليه السلام:

لا خيرَ في الصمتِ عن الحُكمِ، كما لا خيرَ في القولِ بالجهلِ.

الدعوة إلى استعمال الصمت والقول كأداتين لبيان مراد الإنسان، وليسا مما لهما خصوصية أخرى، فيصمت لرغبة معينة، أو يقول كذلك، بل يستخدم حقه في ذلك للإعراب عن موقفٍ مّا، وهذا ما يجعله أمام مسئولية في صمته؛ لئلا يتخلى عن حقٍ، فيساند بصمته باطلاً، كما هو مسؤولٌ عن قوله؛ لئلا يؤيد باطلاً فيقوّيه بقوله، مما يعطينا ارتباط ذلك كله بالحكم الحق تثبيتاً وتأصيلاً، وهو ما يلازم مقاطعة الباطل وتقليص مظاهره مهما أمكن؛ لأنّ المعيار تعزيز موقع الحق في مستوياته كافة، بصورته أو من خلال إلغاء أو تحجيم دور الباطل ضمن وجوداته المختلفة.

وإنّ في التأكيد على الحكم الحق - بما يمثله من علم - ولو كان بصمت، وعلى الجهل - بما يعنيه من الباطل - ولو قولاً، تشجيعاً على الصمت والقول لتثبيت دعائم الحق، وتحذيراً منهما لأدنى تأييد للباطل؛ حيث أنّ الحق هو الأساس الذي يُشاد به الدين وتستقيم به الحياة، ولولا لسادت الفوضى وعمّت، فلا تنفع الحلول.

٩٣- قال عليه السلام:

لا شرفَ أعلى من الإسلام، ولا عزَّ أعزُّ من التقوى، ولا معقلَ[١] أحصنُ من الورع، ولا شفيعَ أنجحُ من التوبة، ولا كنزَ أغنى من القناعة، ولا مالَ أذهبُ للفاقةِ[٢] من الرضى بالقوت، ومَنْ اقتصرَ على بُلغةِ الكفافِ فقد انتظمَ الراحةَ[٣]، وتبوأ خفضَ الدعة[٤]، والرغبةُ مفتاحُ النَصَبِ[٥]، ومطيةُ التعب[٦]، والحرصُ والكِبْرُ والحسدُ دواعٍ إلى التقحمِ[٧] في الذنوب، والشرُ جامعُ مساوئ العيوب.

بيانٌ لحقائق يلزمنا الاعتناء بها، والعمل على تفعيل دورها في حياتنا؛ لما تعنيه من قيمٍ ومعانٍ ترمز للاستقرار، وتهدف لاستقلال الإنسان عن تبعية الشيطان، بما يمثله من رمزية الباطل، والذي يجرُّ إلى الشر وهو مجمعٌ للمساوئ والمعايب والنقائص، مما يوجب نفرةً من الانتساب إليه، أو العمل على تحقيق أهدافه وأطماعه في تغيير جوهر الإنسان الحر إلى تابعٍ ذليلٍ؛ كونه يمسخ هويته، ويتدخل في محو موقعه الحياتي الذي من خلاله يتم التعامل بينه وغيره وبالعكس، وقد كانت:

الحقيقة الأولى: الإسلام شرفُ المسلم، فلا يصح منه الهروب إلى أحضان

---

(١) المعقل: الملجأ.

(٢) الفاقة: الفقر.

(٣) بُلغة الكفاف: مايتبلغ به من القوت،أي أقل ما يسد الحاجة الفعلية، انتظم الراحة: سلك طريق الراحة.

(٤) تبوأ: تمكن منه وتهيأ له،خفض الدعة: سعة العيش.

(٥) الرغبة: الإرادة، النَصَب: التعب، وهي كناية عن أنّ تعلّق الانسان بشيء موجب لتعبه.

(٦) مطية التعب: كناية عن السبب.

(٧) التقحم: رمي النفس في الأمر من غير روية،وهي كناية عن التورط.

غيره، بل عليه أنْ يبحث عن عناوين لم يكتشفها في الإسلام، ليجد بنفسه أنه لم يكن الإسلام ليُحرجه في شيء، أو أمام أحدٍ مّا، وإنما يمثل له الواجهة التي يحقق من خلالها ما لم يستطع التوافر عليه من خلال النسب والمنصب والرصيد المالي أو الاجتماعي، بل انحصر بالانتماء العقيدي؛ لما شهد له أصدق القائلين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾[1]، ودلّ العقلُ على تأمينه السلامة من الضرر المحتمل - النار -، بعد أنْ تعقب الأديان السابقة، مع ما ظهر من معجزات تصديقاً لنبيه صلى الله عليه وآله، مما يبعث على الاطمئنان إليه في تحصيل الأمن من محتمل الضرر أوفر من سائر الأديان المنسوخة، ولاسيما وقد بشّرَ به أنبياؤها عليهم السلام وهم صادقون مصدّقون لدينا؛ كونهم معصومين، فضلاً عن الأتباع، الأمر الذي لا يفسح مجالاً لاعتناق غيره ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، ولو شعَرَ أحدٌ بذلٍ في انتمائه، فالسبب عدم استشعاره:

الحقيقة الثانية: التقوى عزٌ، من حيث رمزيتها للالتزام وتنظيم العلاقة بشكلها الصحيح، وهو ما يجعله ممتثلاً للأوامر، منقاداً لتطبيقها، كما هو حاله في خضوعه لسلطة القانون وسيادته المعنوية؛ ليكون سيداً في نفسه وبين الناس، وبعكسه يُعرِّض نفسه للمساءلة والمحاسبة؛ كونه متجاوزاً وخارجاً عن سلطة القانون، فهو توهين وتذليلٌ للنفس، وذلك ما يجب عليه تجنب الوقوع فيه؛ ليحافظ على هيبته وكرامته، ولو لم تؤثر لديه فعليه تعميقها من خلال:

الحقيقة الثالثة: الورعُ حصنٌ؛ لأنه احتماءٌ بالترك لئلا يقع في مطبات التقصير، كما أنه احتمالٌ لمشقة الفعل حتى لا يحاسب، فهو في وضعٍ أمينٍ؛ عندما

---

(١) سورة آل عمران من الآية١٩.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

حافظ على المسافة بينه وبين مَنْ كلّفه فأنجاه ذلك وضمن أمنه وسلامته، ولو غلَبَتْهُ نفسه ولم يحتفظ بحصانته تلك، فلديه:

الحقيقة الرابعة: التوبة أفضل شفيع ووسيط؛ كونها إعلاناً للرجوع إلى حكمه تعالى، والاحتكام لعدله، والطمع برأفته، وعندها لا يحتاج إلى شفعاء ووسطاء؛ ليؤثروا على مصدر القرار، بل كان يستطيع التغلب بنفسه على المشكلة ويحلها، وعندما تتأزم لديه، فليعرف أنّ ذلك بسبب تغييبه:

الحقيقة الخامسة: القناعةُ كنزٌ؛ كونها تمثل الرضا بالميسور والقبول به كحلٍّ ملائم لما يعانيه، فهو قد وفّرَ لنفسه تأميناً ضد الطمع والجشع والحرص على تحصيلٍ غير المتوفر، مما يزيد في عنائه وتعبه الجسدي أو النفسي، مع أنه لا يستطيع تمديد مدة بقائه الدنيوي، بل يجهل تفاصيل ذلك تماماً، وإنما ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[1]، الأمر الذي يقرر له حقيقة انقضاء الدنيا ويدفع به لاختيار:

الحقيقة السادسة: الرضا بالقوت أنفع في دفع الفقر؛ كونه أفضل الحلول، بعد انعدام الحيلة في تحصيل ما لم يقسمه الله تعالى، مهما كانت إمكانيات التحصيل والحيازة متطورةً، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[2]، مما يعني وجود نظام مالي دقيق، يتم من خلاله تمويل الفرد بحسب مقتضياتٍ يجهل كثيراً منها، فلو خاف الفقر والحاجة، فعليه أنْ يستحصل ما قدّره الله تعالى له ليومه، مع ترك الخيارات مفتوحة أمامه في تطوير وضعه وكفاءته المالية، ضمن تلك التقديرات السامية، فليس ممنوعاً عليه طلب

---

(١) سورة الرحمن الآية: ٢٦/ ٢٧.

(٢) سورة يونس الآية: ١٠٧.

الأفضل وتحسين وسيلته لذلك، إنما له حدوده المحدودة التي بقدرها يأتيه المدد، والا فلو كان المراد تقليص إمكانياته فلماذا خلق الله تعالى له طاقة بدنية وعقلية واسعة وقابلة للزيادة، فالمطلوب معرفة أنه المخلوق الذي أنعم عليه خالقه بنِعمٍ عديدة لا تُحصى، وكان من الأجدر به أنْ يعتمد:

الحقيقة السابعة: الراحة في الكفاف؛ كونه لازيادة على قدر الحاجة، فلا يحمل همَّ ما ادخره، كما لا يخشى ضياعه، فهو مطمئن النفس، لا يقلق من متابعة موظفي الضرائب ولا من تغيير مَنْ عرفه منهم، ولا من تعديل قانونها، فضلاً عن سائر الغرامات والسرقات والاحتيالات وسواها، وهو في ذلك كله لم يذهب عليه شيء، بعد ضمان الرازق القادر سبحانه رزقَ جميع ما يتحرك على الأرض قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾[1]، مما يجعله في وضعٍ مالي جيدٍ من دون تبعات الادخار ومشكلاته، وما ينتج من عدم وعي:

الحقيقة الثامنة: الطمع مصدر التعب؛ لأنه يدفع باتجاه المزيد، وهو ما لا يحصل إلا ببذل الجهد، وهو بدوره غير مضمون النتائج، فقد يخيب ولا يصيب المطلوب، بينما كان خيارٌ آخر مما تضمنته الحقيقة السابعة، ولمّا لم يعتمدها كبرنامج عمل تطبيقي يحرص على تفعيله في مفاصل حياته كلها، كانت:

الحقيقة التاسعة: الحرصُ والكِبْرُ والحسَدُ مما يورِّط صاحبه بمخالفة، فيكون عاصياً فيستحق العقوبة؛ وذلك لكونها تعديات على الآخر مما ضمن التشريع السامي سلامته من ذلك، بينما يتجاوز الحريص عليه فلذلك يطلب ما لديه ولو بالقوة والتعدي، كما أنَّ المتكبر يتعالى على نظيره في الخلق، فيحتقره ويوهنه، ولا يكرمه ولا يعزه، ولا يَقِلُّ الحاسدُ عنهما؛ بعد أنْ يتمنى زوال نعمة

---

(١) سورة هود من الآية٦.

الغير، فهو قد آذاه وتعدى عليه بهذا التمني الذي يكشف عن أنانية مقيتة، وكلها ذنوبٌ وآفاتٌ أخلاقية يُحاسب عليها، فضلاً عن أنها مما تهيئ لأنْ يكون شريراً، فيجمع مساوئ العيوب، وهو أدنى ما يكون بعد أنْ تتحد في كونها عيوباً، لكنها من مساويها وما يمثِّل الدرجة المتدنية فيها، ومما لاشك فيه أنّ الابتعاد عنها خيرٌ من اختيار أنْ يتصف الإنسان بأدنى صفة السوء والشر، مع ما تعنيه من سلبية وانحطاط.

٩٤- قال عليه السلام:

للظالمِ البادي غداً بكفِهِ عضّةِ.

الدعوة إلى استذكار يوم القيامة بمواقفه وآلامه وحسراته ﴿**يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً**﴾[1] ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[2]، مما يمنع من التجاوز والتعدي والتطاول وغيرها من تطبيقات الابتداء بالظلم، وإنْ كان (الظلم ظلماتٌ يوم القيامة)[3] كما رُوِيَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم، لكن أنْ يبتدئ أحدٌ أحداً به فذلك موجب للندم والتأسف على إبراز العضلات في غير محلها، لذا حذّرَ عليه السلام من غلبة الغضب، وسيطرة القوة على الإنسان ليتجاوز على غيره مهما كان ولأي سبب فُرِض؛ لأنه إيذاءٌ ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾[4].

---

(١) سورة الفرقان من الآية٢٧.

(٢) سورة غافر الآية: ٥٢.

(٣) ظ/ عوالي اللئالي ١/ ١٤٩ رقم٩٩، مسند أحمد ٢/ ١٠٦.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٥٨.

كما رُويَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: مَنْ ضيّق منزلاً أو قَطَعَ طريقاً أو آذى مؤمناً فلا جهاد له[١]، كما رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: مَنْ أدخلَ على مؤمنٍ سروراً فقد أدخله على الله، ومَنْ آذى مؤمناً فقد آذى اللهَ عز وجل في عرشه، واللهُ ينتقم ممَنْ ظَلَمَهُ[٢].

٩٥- قال عليه السلام:

لقد عُلِّقَ بنياطِ هذا الإنسان بَضعةٌ هي أعجب ما فيه[٣]، وذلك القلب، وله موادٌّ من الحكمة وأضدادٌ من خِلافها، فإنْ سَنَحَ[٤] له الرجاءُ أذلَّهُ الطمعُ، وإنْ هاجَ به الطمعُ أهلكَهُ الحرصُ[٥]، وإن ملَكَهُ اليأسُ قتَلَهُ الأسفُ، وإنْ عَرَضَ له الغضبُ اشتدَّ به الغيظُ[٦]، وإنْ أسعَدَهُ الرضى نَسَيَ التحفُظَ، وإنْ غالَهُ[٧] الخوفُ شَغَلَهُ الحذرُ، وإنْ اتسعَ له الأمنُ استلبَتْهُ الغِرّةُ[٨]، وإنْ أصابَتْهُ مصيبةٌ فضَحَهُ الجزعُ، وإنْ أفادَ مالاً أطغاه الغنى، وإنْ عضَّتْهُ الفاقةُ شغَلَهُ البلاءُ، وإنْ جهَدَهُ الجوعُ قَعَدَ به الضعفُ، وإنْ أفرطَ به

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٦٢١.

(٢) وسائل الشيعة ١١/ ٥٧٥ ب٢٤ ح١٩.

(٣) نياط: عِرق عُلِقَ به القلب، قيل: إنها خيوط عضلية تدعى الحبال الوترية تتصل بدورها بواسطة عضلات خاصة توجد في جدار البطين يسمح بمروز الدم من الأذين الأيسر إلى البطين الأيسر ويمنع عودته بالعكس، أو أنها الوتين، ظ العين ٣/ ١٦٤، فإن الوتين: عرق ملازم للقلب يسقيه، ظ مقاييس اللغة ٦/ ٨٤، وإذا انقطع مات صاحبه، ظ النهاية ٥/ ١٥٠. بَضعة: قطعة من اللحم.

(٤) سَنَحَ: عَرَضَ.

(٥) الحرص: الجشع والإفراط في الرغبة.

(٦) الغيظ: أشد الغضب.

(٧) غالَهُ: إذا أخذه الشيء من حيث لم يدر.

(٨) استلبته الغرة: اختلسته الغفلة.

الشبعُ كظّتْهُ البِطنةُ[١]، فكلُّ تقصيرٍ به مُضِرٌ، وكلُّ إفراطٍ له مُفْسِدٌ.

بيانٌ لانطواء الإنسان على صفاتٍ متضادة؛ حيث لديه العقل، كما عنده العاطفة، فلابد أنْ يحفظ التوازن بينهما؛ لئلا تؤثر عليه صفة سلبية، فتميل به عن الصواب، فإنه مختارٌ في تصرفاته، وعليه اختيار الأليق به، كفرد يتميز بعقله وطاقاته التي أودعها الله تعالى فيه، مما يتيح له فرصة الانطلاق لتحقيق الكثير من المنجزات المثمرة على صعيدَيّ الفرد والمجتمع، ليفيد هو وغيرُه من إمكانياته المتجددة؛ ليُتاح له تقديم الأفضل وتصحيح الأخطاء السابقة، بما يُلزمه بملاحقة تصرفاته وقبول نقد الآخرين لها، فلا يجعلها أعلى من أنْ تُنتقد، بل هو كغيره له ما يصيبه يصح منه فعله أو قوله، والعكس صحيح أيضا؛ لذا قد عَرَضَ عليه السلام للعناصر الأولية الأساس في تكوين قناعات الإنسان وما يستتبعها من تصرفات، وهي:

١- الحكمة؛ باعتبارها تمنع عن الجهل[٢].

٢- وعكسها مما يُعدُّ من حالات الجهل كالطيش وسائر التصرفات التي لا تليق بالعاقل.

ثم بين عليه السلام تطبيقاً يوضح كون الإنسان مما ينقاد للعقل أحياناً فيظهر ذلك من خلال الرجاء والرضا والاطمئنان النفسي والرغبة في تحصيل المال بوجوهه المشروعة، وأخرى يسيطر عليه الجهل، من خلال الطمع والحرص واليأس والأسف والغضب والغيظ والخوف والغرور والجزع والبطر والشره، مما يبعده عن الاستقامة بوصفها الحلّ الأمثل لمشكلات عديدة، ولم يرقَ بديلُها إلى مستواها ليحلَّ محلها؛ لذا فمن الضروري تعويد النفس على مقررات العقل،

---

(١) كظته البطنة: بهضه وأجهده الإمتلاء الشديد من الطعام.

(٢) ظ/ مقاييس اللغة ٢/ ٩١.

ومحاولة التطبع عليها حتى تتحول إلى طبعٍ ملازم للإنسان، فيصلح وضعه، ويترشد قوله وفعله، وبعكسه تكون المزلقة والنهاية لوجوده المعنوي الذي يؤمل من خلاله النهوض بمسئوليته كعضوٍ صالحٍ في مجتمعه، الأمر الذي يُحتِّم الابتعاد عما يكشف عن تأثير الجهل في الإنسان.

فالدعوة إلى تغليب حالة الرشد والوعي وإدراك الأفضل وتشخيص الأحسن، مع التصميم على نبذ ما عداها.

٩٦- قال عليه السلام:

لكلِّ امرئ عاقبةٌ حلوةٌ أو مرّةٌ.

الدعوة إلى اختيار الأفضل من خلال الأداء الأحسن الذي من شأنه أنْ يؤثر على توجهات الإنسان واختياراته؛ إذ من الطبيعي أنْ يرغب كلُ أحدٍ بالأفضل، لكن لذلك شروطه ومتطلباته، فلابد من العمل على تحصيلها، حتى يتم المشروط، وإلا فمما لا يختلف عليه اثنان هو عدم خلو الإنسان من أحد هذين الأمرين، فكان الهدف الحث على اتباع الشروط المهيأة والإصرار على تحصيلها مهما تعسرت، تجنباً للأسوأ والأردأ، مع ما يستتبعه من ندم وسوء المصير، بما يعني الخسارة الكبرى؛ حيث يضيع العمر، ويتلاشى العمل، بسبب سوء الاختيار والإرادة.

فلئلا يقع المحذور كان التنبيه على ذلك مع معلوميته، لكن لّما كانت الغفلة من ملازمات الإنسان، استدعى الأمر التأكيد، مضافاً إلى أنّ لصدوره عنه عليه السلام الأثر البالغ في النفوس، وترغيبها في التسبيب للعاقبة الحسنة، وتحذيرها مما عداها.

وإنّ من بعض ما يُستشف من هذه الحكمة المباركة، الحث على النصيحة

وتعميمها حتى لِمَنْ يُتوقع علمُهم بالأمر؛ لما للأشخاص من تأثير متفاوت، لابد من عدم التفريط به؛ لما يحدثه من تغيير ايجابي، ولو على صعيد الأفراد، ضمن مساحة محدودة.

٩٧ - قال عليه السلام:

لكلِّ مُقبِلٍ أدبارٌ، وما أدبرَ كأنْ لم يكن.

تذكير بزوال الدنيا، ورحيل الإنسان عنها، الأمر الذي يتطلب عدم التفريط بما بعدها من أجلها، بل اللازم التحضير لما بعدها؛ لدوامه وبقائه، مما يعني أنّ ما يدوم مقدّمٌ على ما يزول، وهذا أمرٌ لا يختلف عليه اثنان، فلابد من العمل والتطبيق لتلك المفاهيم، من خلال تمثلها واستحضارها في مفردات حياتية يومية، فلا يفرح بمالٍ، وكأنه مما يبقى، ولا بمنصب وكأنه مما يدوم، ولا بجاهٍ وكأنه مما لا يتغير.

بل الإفادة منها بمقدار وجودها الفعلي، وعدم التعلق بها؛ لما يسببه من حسرةٍ وتأسفٍ على ما لم يكن للبقاء أصلاً، الأمر الذي يؤدي إلى تعطّلٍ عن القيام بمهمات عديدة، كما هو حال مَنْ يفتقد عزيزاً عليه، فيقاطع الناس، ويحزن بما يدل على أنه كان توهم بقاءه وديمومته، ومن هنا كان من الضروري التنبيه على هذه الحقيقة؛ لئلا يحزن على ما لا يستحق منه ذلك كله، كما لئلا يتورط في مخالفات من أجل ما لا يُرجى دوامه، كمَنْ يستحل النفس أو المال أو غيرهما، وهو متخيلٌ لاستمتاعه طويلاً، بل ما يفرقه الإنسان كالذي لم يحدث ولم يصر أصلاً.

فالدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وترك التنافس على شيءٍ منها؛ كونها مهما أقبلت فستُدبر، وما يُدبر فيساوي ما لم يكن، فإتيانها لأحدٍ نذيرٌ بتركها له

يوماً مّا.

٩٨ - قال عليه السلام:

للمؤمن ثلاثُ ساعات: فساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُرِمُّ[1] معاشَهُ، وساعةٌ يُخلِّي بين نفسِهِ وبين لذّتِها فيما يحلُّ ويجمُل.

وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مَرَمَةٍ لمعاش، أو خطوةٍ في معاد، أو لذةٍ في غير محرَّم.

الدعوة إلى أنْ يكون الإنسان عملياً في اختيار برنامج عمله، وأنْ يوظف أوقاته وفقاً لمتطلبات روحه وبدنه المشروعة، فلابد أنْ يعطيهما ما يحتاجان بقدر لا يؤثر على الآخر، فالروح إنما تسكن بذكر الله تعالى: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[2]، فلابد من إعطائها حصة لذلك، بما ينشطها ويساعدها على مواصلة الطريق المليء بالكدورات، مما لا يخفف من آثارها سوى الالتجاء الروحي والاطمئنان النفسي، والذي لا يحصل بما عدا ذلك من حالات تغييب الوعي والابتعاد الذهني عن الحدث، كما أنّ البدن يحتاج إلى ما يديم له بقاءه مادياً، فيتفاعل مع المتغيرات من عوامل تقدم العمر، وتغيّر المناخ والظروف الأخرى للمكان والزمان، فلابد من تهيئة أسباب ذلك من خلال البحث عن مقومات العيش الكريم، أكلاً وشرباً ولبساً وفرشاً وغيرها، كما هو بحاجة إلى إراحة بدنه من عناء طلب تلك المقومات، من خلال إشباع اللذة المباحة أكلاً وشرباً وجنساً، ضمن حدود اللياقة؛ إذ لا يكفي مجرد كونها محللة بعد أنْ تتأثر بما يجعلها غير منسجمة مع ما يليق به ويحسن منه، الأمر الذي يعطينا أهمية ملاحظة

---

(١) يرمُّ: يُصلح.

(٢) الرعد: من الآية٢٨.

الجانبين الشرعي والعرفي معاً وعدم الاكتفاء بأحدهما عن الآخر؛ كونهما يمثلان ما يتكامل به الإنسان.

ثم أكد عليه السلام على أنّ العاقل لا يتحرك إلا ضمن هذه الأبعاد الثلاثة: الجسدي المادي بشقيه الأساس والترفيهي، والروحي المعنوي، فهي ما يحتاج إلى إدامة واعتناء، وما عداها فهو مما لا ينفعه، وبهذا يكون متوازناً، وبعيداً عن فضول التصرف وزوائده، لتخف مسئوليته وعناءه يوم لا يجيب عنه أحد.

وإنّ العمل على تحقيق هذا البرنامج اليومي للفرد، لما يريح المجتمع من العديد من الحالات الشاذة والبعيدة عن الأطر الأخلاقية التي تربّى عليها، حتى أصبحت جزءاً من أعرافه وتقاليده، وهو أمرٌ مهم للغاية؛ فلذا نجد تركيزه عليه السلام على ذلك الإعداد المنهجي الذي من شأنه تطوير الوضع وإصلاحه.

٩٩- قال عليه السلام:

لنا حقٌّ، فإنْ أُعطيناهُ، وإلا ركبنا أعجازَ الإبلِ، وإنْ طالَ السُرى[١].

الدعوة إلى التصميم على أخذ الحق، واسترجاع المستحقات، وعدم الترك لمجرد وجود العائق، بل لابد من المواصلة والعزيمة، وبذل الجهد من أجل ذلك؛ لأنه من الضروري الصبر على الصعاب، وتجاوز العقبات، وعدم الاستسلام عند ظهور الموانع.

وهذا ما جسّدَهُ عليه السلام عملياً؛ بتذكيره الأمة باستحقاقاته لقيادتها، كما كان فعلاً يفعِّل ذلك بتواصله العلمي والفكري، من خلال الإجابة عن مشكلات المسائل، وعدم تخليه عن تلك المستحقات يوماً مّا، بالطريقة المناسبة حسب

(١) كناية عن المواصلة وعدم التنازل عن الحق مهما طال الوقت.

تشخيصه للمصلحة الأهم، قال عليه السلام: (لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمورُ المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة؛ التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه)[1]، مما يؤصل قدسية المطالبة بالحق، مع مرونة حسب مقتضيات المصلحة العامة، وفقاً للحدود المشروعة.

وإنّ توضيح هذا المفهوم والتأكيد عليه، لدى فئة الشباب خاصة، مما ينفع كثيراً في ترشيد فعلهم الحماسي، وتأطيره بالضوابط والحدود المسموح بها والمقبولة، بعيداً عن استحلال إراقة الدماء وسواها من انتهاكات لحقوق الإنسان وغيره، مما يُلحق دماراً في مختلف القطاعات، فكان من الضروري عكس التجربة الواقعية التي خاضها عليه السلام محققاً بذلك تأكيده على حقه الشرعي القانوني؛ بوصفه منصوصاً عليه من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في حديث الإنذار يوم الدار[2]، والغدير[3]، وأيضاً مؤكداً على ضرورة شراكة الجميع في بناء المجتمع الصالح، وأنْ لايؤثر الاختلاف على مواقع الاتفاق، فيحرِم الناسَ الإفادةَ من نقاط الاشتراك، وهذا ما يمثِّل استشعار المسئولية الشرعية والأخلاقية عن التكامل الاجتماعي، وعدم الوقوع تحت مؤثرات الأنا وما تفرضه على البعض من تخلّفٍ عن الاشتراك في تقويم الأخطاء وتصحيحها.

---

(١) نهج البلاغة١/ ١٢٤.

(٢) ظ/ كنز العمال١٣/ ١٣١رقم٣٦٤١٩.

(٣) ظ/ مسند أحمد ٤/ ٢٨١،وللإطلاع على مزيد التفاصيل تُراجع موسوعة الغدير ج١.

١٠٠ - قال عليه السلام:

لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَهُ لأبغضَ الأملَ وغرورَهُ.

الدعوة إلى استحضار النهاية من البداية، وعدم الغفلة عن المصير المحتوم؛ لئلا يتورط الإنسان في مخالفات إنسانية أو شرعية، مما يجعله تحت طائلة القانون، وعندها لا ينفع التنصل ولا الندم، بل كان المتوقع منه منذ البداية أنْ يتحسب لمرحلة النهاية في ما أقدمَ عليه؛ إذ لكل شيءٍ نهاية، فلماذا توهم ديمومة أمره من دون غيره؟!، بل الجميع محكوم بتلك القاعدة.

نعم يتفاوتون ويختلفون في الوصول للنهاية، فقد يكون بعد توظيفٍ صحيحٍ للعمر والطاقة، وقد يكون عكسه، ومن هنا برز نموذج يقتدي به الجميع كالأنبياء والأئمة والمصلحين عامة، مختلفاً عمَنْ لم يعي نهاية الإنسان وعرض أعماله أمام الحاكم الشاهد المطلع على الغيب والحقائق، فلم يبادر العمل ولم يغتنم العمر، فصدّق الأمل واغترَّ بالأحلام، ثم فوجئ بالواقع، الذي تعدد التحذير منه غير مرة، ولكنه كان لاهياً عنه بإقبال الدنيا عليه، مع كونها أقبلت على غيره ثم أدبرت، فما دامت.

١٠١ - وسئل عن الخير ما هو؟ فقال عليه السلام:

ليس الخيرُ أنْ يكثرَ مالُكَ وولَدُكَ، ولكنَّ الخيرَ أنْ يكثرَ علمُكَ ويعظُمَ حلمُكَ، وأنْ تباهي الناسَ بعبادةِ ربِّك، فإنْ أحسنتَ حمدتَ اللهَ، وإنْ أسأتَ استغفرتَ اللهَ.

ولا خيرَ في الدنيا إلا لرجلين: رجلٌ أذنب ذنوباً فهو يتداركها

بالتوبة، ورجلٌ يسارع في الخيرات.

ولا يقلُّ عملٌ مع التقوى، وكيف يقِلُّ ما يتقبَّل؟.

كل أحدٍ يتمنى الخير، ولكن البعض يتوهم حصوله من خلال بعض المظاهر المتحولة، كالمال والأولاد، وبالتالي يهمل غيرهما مما يتحقق فيه الخير كالعلم والحلم والعبادة، وهذا ما يُعدُّ نقصاً في الإنسان، مما يحتم عليه التخلص منه، قبل أنْ تسري لغيره، فتتسع دائرة السوء في المجتمع؛ حيث لا نتصور خيراً في أمثال العُجب والتكبر والمباهاة بالمال والولد وممارسة المعاصي، بعد فقدانها مقومات الرشد، فهي لا تبني مجتمعاً ولا تسهم في شد أواصر أفراده، بل تساعد على ظهور حالات من شأنها التفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، مع أنها ليست بذات قيمة أو فاعلية لتأمين نهوض الأفراد بما يؤمل، كما هو شأن العلم وسائر المعارف والقيم والأخلاق الحميدة، التي تُسهم في ترسيخ الأصالة والاعتزاز بالمبادئ، والتمسك بما يعزز روح المواصلة على طريق الخير في مستوياته المختلفة كافة.

نعم لذي المال والأولاد أنْ يستثمر ماله بما يساعد على تطوير اقتصاد بلده، وتحسين ظروف مواطنيه، وعندها يحقُّ له الفخر بما أنتجه من مقومات ذات فاعلية لتحقيق أفضل ما يمكن لبناء الفرد والمجتمع، كما لذي الأولاد أنْ يحرص على تربيتهم تربية سليمة، وفقاً لمقومات السلامة الفكرية والعضوية، مع توجيههم بما يؤصل لديهم الاعتزاز بأصالتهم وانتمائهم ، ليتمكن عندها من الفخر بهم، وإلا فهم وبالٌ عليه، فما دواعي التباهي بهم؟!.

فالدعوة إلى الحرص على تحصيل مكارم الأخلاق وفضائل الصفات، ثم الاعتزاز بذلك الرصيد؛ كونه مما يتأهل به للوصول إلى رضوان الله تعالى، فلابد من تكميل النفس بالمحاسن قبل الزهو والتباهي بما قد يكون من المساوئ.

وليس في ذلك تقليلٌ من أهمية المال والأولاد، بقدر ما فيه حثٌ على الوصول إلى أفضل المراتب، وعدم التوقف عند أول محطة يغترُّ بها الإنسان، متوهماً أنها آخر ما يمكن تحقيقه، فهي تحريك لقابلياته باتجاه إظهارها وترشيدها؛ لبلورة الحالة الأمثل، دون الاكتفاء بالأداء الأقل، فإذا ما أمكن إنجاز الأفضل فلماذا الاكتفاء بالأدنى؟!، قال تعالى: ﴿**قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾[1]، الأمر الذي يبني قاعدة الاختيار على أساس التوازن والتكامل بين الحاضر والمستقبل، قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[2]، فلئلا يندم الإنسان على تضييع الفرصة، أكد عليه السلام على أنّ الرابح في الدنيا هما:

١ - الذي تدارك ذنوبه ومعاصيه بالإقلاع عنها والاستغفار منها، ليكون ممَنْ وُفِقَ للتوبة قبل الموت.

٢ - الذي وظّف إمكانياته المالية لما ينفعه عندما ينتقل إلى الدار الأخرى، قبل فوات الأوان وانقضاء الوقت.

وإنّ هذا غيرُ مشروطٍ بكثرة العمل، بقدر اشتراطه بأنْ يكون في أجواء التقوى، بعيداً عن ظلال الرياء وحب السمعة وغيرهما مما يضُّر كثيراً بالعمل والعامل، وعندها فهو مقبول، وبالتالي فهو غير قليل، وإنْ لم يستغرق وقتاً ولم يتطلب جهداً كثيراً.

وإنّ إشاعة هذه المفاهيم بين الناس، لمما ينفع في تصحيح بعض الأخطاء الشائعة، على أساس ضرورة كثرة الفعل، بينما كان توجيهه عليه السلام على أساس ضرورة أنْ يكون العبد منطلقاً في رحاب عبوديته لمولاه الغني عن العالمين، مما

---

(١) سورة البقرة من الآية٦١.

(٢) سورة الكهف الآية: ٤٦.

يُلزمه باتباع الشروط المطلوبة ضمن دائرة حق الطاعة، الأمر الذي يوفر له أنْ يبتعد عن التشنج مع الآخرين، فضلاً عن الاعتداء بيدٍ أو لسان، وغير ذلك مما يصاحب بعض المظاهر، فإنّ من شروط العمل المقبول أنْ يكون مما أحلّه الله تعالى، فلا يصح التعدي على أحدٍ قريبٍ أم بعيدٍ، ولا استغلال الشعائر لأغراض المظاهر والتباهي، وغيرها مما يشيع لدى البعض.

١٠٢ - قال عليه السلام:

ليست الرؤيةُ كالمعاينةِ مع الإبصارِ، فقد تكذبُ العيونُ أهلَها، ولا يغُشُّ العقلُ مَنْ استنصَحَهُ.

الدعوة إلى تحكيم العقل، وتغليب أحكامه في ما يقرره الإنسان، وعدم الاتكال على غيره كالاعتماد على المشاهدة، فإنها وإنْ كانت تكتسب أهمية خاصة، لكنها تستند إلى الحدث المقابل، دون أنْ تتأمل ما وراءه، مما يوجب التورط في ارتجال الأحكام والتسرع في ترتيب الأثر على ما لم يكن تاماً، وهو ما يؤدي إلى صدورها قبل أوانها وفي غير وقتها.

ولعل من أكثر الناس حاجة لاستيعاب هذه الحكمة، هم أولو الأمر الذين يتخذون قراراتٍ في حق الآخرين، مع اعتمادهم على الدلائل والآثار، والتي تحتل مرتبة متقدمة، إلا أنّ المطلوب التحلي بالصبر، ودراسة الحالة بتأنٍ وتمهلٍ، حتى تتضح الخفايا، والتي لا تبين لأول نظرة، بل تحتاج إلى دقة التشخيص، وبها امتاز الخبراء بعضهم عن بعض، كونها مما يخفى ولا يظهر على الساحة.

وإنّ العمل على تعميم هذه الحكمة في الدوائر الأمنية والجنائية وسواها مما يهتم بهذا الجانب الإجرائي، لما يحدُّ من تزايد الأخطاء، من خلال الاستعجال، المصحوب بحبِّ الظهور، وتوقع التكريم ونحوه، فيبادر إلى إصدار الحكم، مع

أنه غير متأكدٍ من صحته؛ إذ بناه على المعاينة، وهي قابلة للتحوير والتزوير، بينما مشاورة العقل غير قابلة لذلك، فلابد من استنصاحه قبل البت بمقتضى الدلالة المادية، لما يمكن استفادته من نتائج عند الوقوف في ظل العقل.

حرف الميم

١٠٣ - قال عليه السلام:

ما أحسنَ تواضُعَ الأغنياءِ للفقراءِ طلباً لما عند الله، وأحسنَ منه تِيهُ الفقراءِ على الأغنياءِ اتكالاً على الله.

من الظواهر الطبيعية في تشكّل التركيبة الاجتماعية، وجود شريحتَي الأغنياء والفقراء، ومن أجل حفظ التوازن بينهما مع الفوارق المظهرية، كانت الدعوة إلى تواضع الغني، وعدم خضوع الفقير؛ فيشعران معاً بوحدة المشتركات، وإمكانية تحوّل كل منهما إلى وضع الآخَر، وعندها فلا الغني مستعدٌ للتعالي على أحد؛ خوفاً من يوم يحتاجه فيه، ولو لم يكن قد أحسن معاملته، فيعامله بالمثل، وهو ما يصعب عليه حتماً، وكذلك الفقير لا ييأس من أنْ ينهض يوماً مّا، ليدفعه ذلك إلى الإصرار على تحسين وضعه، ومواصلة سعيه، فلا يجد حاجة إلى أنْ يخضع لغني، بقدر ما هو بحاجةٍ إلى مثابرته على أسباب الوصول المشروعة، مما لا يبقي تلكَ الفوارق الموهومة.

فكانت الدعوة إلى عدم توسيع تلك الفجوة، من خلال تذكير الغني

بانقلاب الحال، ووعد الفقير بتحسن حاله بشرط سعيه، وكل ذلك بقدرة الله تعالى وفضله.

١٠٤ - قال عليه السلام:

ما اختلفت دعوتان، إلا كانت إحداهُما ضلالة.

الدعوة إلى معرفة الصحيح من خلال مقاييس الصحة، وتمحيص الأمور بضوابطها، وعدم الانخداع بالمظاهر؛ كونها قد صدرت من جهة مّا، أو شخص معين؛ فإنّ الحق واحد، فعندما تتضح معالمه، يمكن تقييم الرجال وفقاً لذلك، قال عليه السلام: (اعرف الحق تعرف أهله)[1]، وماعدا ذلك فهو الاشتباه والتورط بما تخفى عاقبته، فلابد من حسم الدعاوى بتقييمها علمياً، فإنْ وافقتها صحت، وإلا فهي مردودة على مدعيها، وإنّ هذه الحكمة نافعة في توجيه الأمة نحو الطريق الصحيح، وعدم صرف العمر بحجة كل الطرق مؤدية، لما في ذلك من تضليل وحجبٍ للحقائق، لا تُحمد عاقبته، فإنه يأتي على جهود الجميع فتضيع ولا تُثمر، بعكس ما لو بُذلت الجهود للتصحيح وفق مفاهيم القرآن الكريم، المنعكسة في هَدي النبي والعترة؛ كونهما لا يفترقان، بعد أنْ مثّلا الحق المطلق، ﴿**فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾[2].

وإننا بحاجة إلى استذكار هذه الحكمة في حاضرنا؛ لئلا نتورط في الانخداع ببعض الأفكار الداعية لخطوط فكرية غير منسجمة مع الثوابت، ولنحفظ تراثنا، ونتمسك بأصالتنا، ولا نشايع ضالاً أو نتابع مضلّلاً، بعد أن تورطت قوى عالمية وسواها في إرادة هدم بناء صرح العقيدة، من خلال المعتنقين الذين

---

(١) وسائل الشيعة ١٨/ ٩٨ ب١١ ح٣٢، فيض القدير ٤/ ٢٣ رقم٤٤٠٩.

(٢) سورة يونس الآية: ٣٢.

(يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق)[١]، مما يدعو إلى تغليب العقل وعدم الانصياع لمؤثرات المال أو الجاه أو الغضب أو غيرها؛ كون العكس مما يؤدي إلى الخسران المبين.

١٠٥ - قال عليه السلام:

ما استودعَ اللهُ امرئاً عقلاً إلا استنقذه به يوماً مّا.

الدعوة إلى الاستفادة التامة من وجود العقل؛ كونه هبة الله تعالى للإنسان، فلابد من توظيفه لإحراز أسباب نجاته، وعدم إهماله ليتسبب في ضياعه؛ حيث أنه سبحانه لما أعطى الإنسان ما يمكن أنْ يميز به الخير من الشر، ويعي الفرق بينهما، فلم يكن ليسلبه ذلك، وإنما قد يُسيءُ الإنسان استخدامه، من حيث إهماله تماماً وتعطيل دوره، أو لمخالفته فيما يقضي به، الأمر الذي يؤدي إلى التورط بمزيدٍ من الأخطاء بما يُنتج - أحياناً - سوء الحساب، ولكن مع ذلك كله لابد للإنسان أنْ لا يستسلم، بل عليه الإفادة من تلك الأخطاء، بعدم الوقوع مكرراً، مما يعني أنّ استخدامه لعقله قد هيأ له فرصة النجاة.

وهذا ما يبرز واضحاً من خلال سلوكيات الفرد مع نفسه وربِّه ومجتمعه؛ عندما لا يخالف نظاماً، ولا يُعطل قانوناً، كما هو حال مَنْ يعصي المنعم عليه، فيُقابل الإحسان بعكسه، ويتصرف بذلك في ما يبغضه، فإنّ ذلك تجميدٌ لما ألزم به العقل من شكر المُنعِم، والذي تطابقت عليه آراء العقلاء جميعاً، فمخالفتهم إلغاءٌ عملي لإجماعهم، فهو أما تشكيك في أهليتهم القانونية لإلزام الأفراد بمقرراتهم، التي استندوا فيها إلى حكم العقل الذي يتفق على مرجعيته الجميع، أو أنْ يكون ذلك استخفافٌ بالعقل نفسه، وهو أقبح من سابقه، بما يعطينا

(١) نهج البلاغة ٤/ ٣٦.

أنّ المستخفين بالأحكام الشرعية قد اعتزلوا العقل في ذلك، كما هو الحال في المخالفين للقوانين والأنظمة الوضعية، من حيث دلالة ذلك على تمردهم وعدم احترامهم له، وهو ما يجعلهم تحت طائلته واستحقاقهم العقوبة؛ والسبب في ذلك توافر مقومات التكليف والمؤاخذة، وعدم وجود المانع من غياب العقل أو الاضطرار ونحوه، فتكون الظروف غير ملائمة لاستثنائهم منه، بل كانت مواتية لإدانتهم وتجريمهم.

وإنّ هذا العُرف القانوني، المستند إلى الضوابط والأُسس المعمول بها والمتفق عليها، لما يدلنا على عدم الفرق بين كونه قانوناً سماوياً أم وضعياً، بل لا موازاة بينهما بعد كون الأول متصفاً بالحكمة، بينما الآخر قد يصيب كما يخطئ أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1].

كما لنا أنْ نستشف من هذه الحكمة، بشارة للمؤمنين المتورطين، بوجود أسباب الرجوع وتصحيح الأخطاء، من خلال الاستغفار والتوبة، مع التحلل من حق الغير، كما أداء حق الرب تعالى، مما يعني أنها تطمين للقلوب الفزعة الوجلة، فإنها إذا ما أذعنت لربِّها تداركها برحمته، فلماذا اليأس والقنوط، المتمثل - أحياناً - بالانتحار وبعض حالات التمرد الذي يحكي الشعور بالذنب والخوف من المواجهة، فيُقدِم على المزيد من المعاصي.

---

(١) سورة النساء من الآية٨٢.

١٠٦ - قال عليه السلام:

ما أكثرَ العِبَرَ وأقلَّ الاعتبار!![١].

إنّ العديد من القضايا والمشاهد التي يطلع عليها الإنسان، مما تثريه وتنفعه لو اتعظ بها واعتبر بحال مَنْ كانوا أبطالها، لكنه يغفل عن ذلك ولا يوظفه لمصلحته، الأمر الذي يبعث على التحسر والتأسف؛ حيث كان المفروض أنْ يتفاعل مع الأحداث على صعيد التحليل، وأخذ العِبَر منها؛ لأنّ التغاضي عنها يعني تجاهل ما يمكن أنْ يعتبر أداةً تحذيرية، وإنذاراً مبكراً قبل أنْ يحلَّ به ما لا يستطيع دفعه، ومن المؤكد أنّ العاقل يتقصّى ما يؤمّن له ذلك؛ تفادياً من ورطة الوقوع في المحذور، سواء أكان فوات نفع أو حصول ضرر.

فالدعوة إلى عدم إضاعة فرص الإصلاح والتغيير الذي تقتضيه المصلحة، بما يحقق فائدة أو يدفع مشكلة، فالأفضل أنْ لا يعدد الإنسان ما مرَّ به من حوادث وأحداث، بقدر ما يجب عليه أنْ يجهد نفسه لئلا يحصل معه ما حصل لغيره من مرارات وإخفاقات وعقوبات، كما لا تفوته فرصة واتت غيره، وإلا كان لاهياً ساهياً؛ إذ لم يعتبر بحال غيره، حتى تكررت الحالة معه، أو فقدها، وهو أسوء ما يكون، بعد أنْ كان مقتضى العقل عدم الوقوع بالخطأ واجتناب المحذور.

وإنّ كثرة الحوادث وقلة توظيف الإنسان لها، مما يحصل دائماً في مختلف أوضاعه سفراً وحضراً؛ إذ أنه يتجول في البلاد ويشاهد آثار السابقين، كما يدخل متاحفهم، ويرتاد أماكنهم الخاصة بعدما كانت محصنة مقفلة عليهم ومَنْ يرغبون، وإذا به يتجول فيها بلا رقيب!!، بل يتابع يومياً ما تبثه قنوات إعلامية،

---

(١) العِبَر جمع العِبْرَة: اسم مصدر للاعتبار وهو: النظر الى الشيء لمعرفة غير المشاهَد من خلال المشاهَد.

مما يدعو للتفكير ومراجعة الحسابات، كما أنه يفتقد يومياً أشخاصاً كانوا معه ثم سمع بموتهم أو شاهدهم وهم جثث هامدة، كما يرى مَنْ تتحول حاله من الفقر إلى الغنى وبالعكس، ومن الاضطهاد والمحكومية إلى الحاكمية والغلبة، كما شاهد تبدّل الصداقات والعداوات، وغير ذلك فلماذا لم يستحضرها ويعتبر بها لئلا يطغى؟! ولا ينسى، فيقع في خطأ غيره، ويندم يوم لا ينفعه ذلك.

فكان اهتمامه عليه السلام باستعداد الإنسان للإجابة عن الأسئلة التي يقرؤها في كتابه، والتي يترتب كثيرٌ منها على عدم وعيه لما عاصره من أحداث كانت تمثّل الإنذار المبكر، لكنه لم يعتنِ به، فأدى إلى المحاسبة والمساءلة، بينما كانت محاسبة النفس بعد نهاية اليوم، مما تخفف عنه ذلك حتماً، بعد أنْ تكون وقفةً لتصحيح المسار ومراجعة الذات ونقدها، ومحاولة الإفادة مما حصل مع الغير؛ فإنّ حجة الله تعالى قائمة على العباد، مع ما امتلأت الدنيا به مما يُذكِّر بالماضين ويعيد تذكّر المتحولين من حالٍ إلى غيرها.

١٠٧ - قال عليه السلام:

ما أنقضَ النومَ لعزائمِ اليومِ[1].

الدعوة إلى تنظيم الوقت؛ لئلا يضيع بالنوم مع إمكانية تحديده، وإلا فما دام الإنسان قادراً على العطاء، فيحتاج إلى التواصل حتى لا يتعذر عليه تحقيق طموحاته، وإلا فلو اعتاد النوم دائماً لكسلٍ أو عادةٍ، فسيؤثر على حجم العطاء ومقداره، وهو ما يضرُّ بمستوى نهوض الأمة وتقدمها، لذا كان بيانه عليه السلام لهذه الحقيقة التي لو استحضرها الإنسان لأمكنه التصميم على إنجاز ما عليه،

(١) أنقض: نَكَثَ، ضد أبرَمَ، عزائم جمع عزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، وهي كناية عن إذهاب النوم لآمال الانسان.

وخاصة تلك القضايا التي عزم وصمم نهاراً على تنفيذها، لكنه لما حان وقت النوم لم يتذكرها ونام، مما يعني بطء الإنجاز بل انعدامه.

وهذا لا يعني التقليل من أهمية النوم للإنسان، بل هو مهم لغيره؛ كونه حالة السبات واسترخاء العضلات والأعصاب، بما يهيئ لليوم التالي، بقدر ما ينبه الإنسان إلى ضرورة الموازنة بين العمل الأهم والنوم المهم، وهذا ما يفيد في تحديد ساعات النوم، وفي تقديم موعد النهوض؛ لما يترتب من فوائد صحية واقتصادية وسواها لتعم المجتمع، حتى أنّ من الأنظمة العسكرية المتعارفة هو النهوض المبكر، بما يتناسب مع الجهد المبذول، بل قد لا يتلاءم مع صرامة العمل وشدته، إلا أنه مما يربّي على ما يمكن الاطمئنان إليه من قوة الإرادة والعزيمة الثابتة للإنسان عامة.

١٠٨ - قال عليه السلام:

ما خيرٌ بخيرٍ بعدَهُ النارُ، وما شرٌ بشرٍ بعدَهُ الجنةُ، وكلُّ نعيمٍ دون الجنةِ محقورٌ[1]، وكلُّ بلاءٍ دونَ النارِ عافيةٌ.

الدعوة إلى أنْ يكون الخط البياني الفاصل في أعمالنا بين الصحيح وغيره، هو أنْ يؤدي العملُ بالنتيجة إلى الجنة، وعندها فيهون ما لاقاه من متاعب أو مصاعب، وأما لو كانت نتيجته النار فلم يكن ليُسليه رخاءُ العيش وحُسنُ الحال، فلابد من معرفة ما يؤثره الفعل أو القول، وحساب ما يترتب قبل البدء به؛ لئلا يتحسر الإنسان على ما فاته في حالٍ لا تنفعه حسرة، ولا تنجيه ندامة، **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ**

(١) محقور: مصغّر.

السَّاخِرِينَ﴾[١].

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٢].

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾[٣].

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٤].

وإنّ تفعيل هذه الحكمة، لما يحدّ من ظاهرة التباهي بالمال أو المنصب أو الأولاد أو غير ذلك مما يتعزز به البعض، كما هي نافعة لتنشيط فئة المؤمنين للمواصلة وعدم التوقف لمجرد مواجهة الصعوبات، بل من طبيعي حال الدنيا ذلك؛ كونها دار التكليف - أو قاعة امتحان كبرى - ولم تُهيأ للاستقرار، لكن التعويض بما يعقبها بعدما يستمع الإنسان إلى النداء ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[٥].

﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[٦].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[٧].

---

(١) سورة الزمر الآية: ٥٦.

(٢) سورة الجاثية الآية: ٣٥.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩٨.

(٤) سورة آل عمران من الآية١٩٥.

(٥) سورة الصافات الآية: ٢٤.

(٦) سورة هود الآية: ١٠٥.

(٧) سورة هود الآية: ١٠٦.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1]؛ فإنه يوم إعلان النتائج، يوم الحسم، يوم يتبين للإنسان مدى قوته أو ضعفه.

١٠٩ - قال عليه السلام:

ما شككتُ في الحقِّ مُذْ أُرِيتُهُ.

الدعوة إلى أنْ يتمثل الإنسان قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[2]؛ حتى لا ينحدر مع الأهواء والأفكار التي تشكِّل في مجموعها حالةً من التعتيم الإعلامي على الحقيقة التي لابد للإنسان أنْ يسعى إلى الوصول إليها، وهي الارتباط بالحق في مظاهره كافة، والإغناء من معطياته، وإلا فتعمية الباطل عليه بما يشوش رؤية الفرد، وإضلال المجتمع، أقوى ما لم يتحصن بقواعد ثابتة لا ريب فيها، كما أنها متيقنَة وإنْ بدا لبعض التشكيكُ فيها، ومن أوضح أدلة يقينيتها كونها لا تزداد إلا رسوخاً وجلاءً مع كل ما تُحاطُ به من تضليل عليها وتهوين منها، كالدعايات التي تأخذ شكل البحث العلمي أو المناقشة لغرض المعرفة، بينما أنّ طريق الحق أقرب وأيسر من تلك الاشتباكات الفكرية؛ لأنه يمثل المنار الذي يهدي العباد، فكيف يُتوقع خفاؤه؟!، وإلا كان نقصاً في إقامة الحجة، وإدلال الحائر بها، وهو أما عجزٌ وقصور أو تماهلٌ وتقصير، وهما ما لا ينسجمان مع حكمته تعالى وقدرته على الأشياء، ولا مع عصمة مبعوثيه للهداية، مما يعطينا أنّ التلكؤ في الوصول إلى الحق، أو التنصل من الالتزام به، بمختلف المستويات، إنما هو الخروج عن الاستقامة، والوقوع

---

(١) سورة هود الآية: ١٠٨.

(٢) سورة يونس من الآية٣٢.

في الضلال، وعندها حصول الخسارة الكبرى دنيوياً وأخروياً، وإنْ ترَفّهَ عيشُهُ وطابَ حالُهُ دنيوياً، لكنه كعيش المريض الذي يتأخر عن الأصحاء في الالتذاذ بلذائذ الجسد، وكحال دائم السفر الذي يفتقد الاستقرار النفسي والجسدي، وهو ما يؤثر على المستوى العام لدى مقارنته بغيره، وأما خسارته في الآخرة، فلأنه ينتقل إليها من دون تأمين وضعه، ولا معرفة ما يلاقيه، بل يتوجس ويخشى العقوبة، ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1].

وإنّ وجوب التزام الحق، لما يدركه العقل، بعد كون مخالفته موجبة للضرر؛ إذ كان الوعيد على المخالفة مما يعرفه حتى الصغار والسفهاء، مما يعطينا ضرورة التمسك به عقائيدياً وعملياً، من دون فرق بين مستويات تطبيقه، ولا توقيتٍ لتفعيله، فهو في الحالات كلّها واجب الإذعان له والأخذ به، كما هو شأن أزكياء الناس، فقد تمسكوا بالحق ولم يشكّوا فيه مهما تقلّبت الأحوال وساءت، وهو ما يعني قوة الإرادة في مواصلة المسيرة، وعدم التخلي عن إكمال ما بدأه الإنسان بقناعته، وإلا فلماذا بدأه؟!، فلتكن إرادته أقوى من المؤثرات، لينجو.

وإنّ الشباب مدعوون أكثر من غيرهم للالتزام بهذه الحكمة وتطبيقها؛ لما يواجهون من ضغوطات وتحديات، يُراد منها أنْ تثنيهم عن التكامل والانتظام السلوكي في حقول الخير كافة، وهو ما يمثّل اغتيالاً لإرادتهم وتهميشاً لدورهم في العطاء؛ لذا كانوا في مواجهة وتماسٍ شديدين مع خطوط الباطل، كما هم في خطرٍ جراء ذلك، فمن أجل معاونتهم وحمايتهم، لابد لحلقات المجتمع القريبة كالعائلة، أو البعيدة كالبيئة العامة، من الاهتمام بالتربية والتثقيف وفقاً للثوابت التي يلتقي عندها الجميع، مع إعطاء فسحةٍ للبحث الأصيل المنتج لئلا يضيع

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٣٠.

الوقت والجهد، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

١١٠ - قال عليه السلام:

ما عالَ امرؤٌ[2] اقتَصَدَ.

الدعوة إلى تنظيم طريقة الصرف المالي؛ تحقيقاً للموازنة بين الوارد والصادر، وإلا وقع الإنسان في حيرةٍ فتغلبه الديون، ويتضرر منه أهله، وقد يتخلى عنه أقرباؤه وأصدقاؤه، مع أنّ بإمكانه تفادي التورط بذلك كله من خلال التدبير، وهو غير البُخل والحرص؛ فإنه عملية توفيق بين مقدار الدخل ومستوى الإنفاق، بينما تلك إبقاءٌ للمال مع وجوده، وانعدام مبررات الإمساك والامتناع عن الصرف؛ لذا كان نقصاً في صاحبه، وأما الاقتصاد في الصرف من خلال الاقتصار على الضروري واللازم يُعدُّ كمالاً لصاحبه؛ كونه من حُسن تقديره للحالة المادية التي تمرُّ به، توقعاً لزوالها، واستقرار وضعه.

ومن المفيد جداً التعريف بهذه الحكمة والتذكّر لها؛ لما تمثله من قيمةٍ معنوية ومادية؛ إذ الكثير بحاجة إلى استحضارها فلا يُسرف كما لا يقتِّر؛ فإنّ بعض كماليات الأمور تطغى لدى البعض لتؤثر على الأهم منها، فيُقصِّر في الأهم ويهتم بغيره، مما يُحدث إشكاليات عديدة، على مستوى الاحتجاجات والمطالبة بزيادة الرواتب أو المخصصات والحوافز، أم بمستوى الخلافات العائلية والتقصيرات مع واجبي النفقة والتكفل المالي، وما يستتبعها من أزمات عديدة، وعلاجُ هذا كله يسيرٌ لو عمل على تطبيقه الإنسان، من خلال التأني

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٨.

(٢) ما عالَ امرؤ: ما احتاج أحدٌ.

والصبر على تحقيق المطالب، وعدم الاستعجال فيها لئلا يتأخر عن الأهم، فتطاله الأحكام أو القوانين، كما هو حال مَنْ لا يلتزم ببعض واجبات الزوجية، فيُقاضى ويترتب عليه مالا يستطيع الالتواء في أدائه وتنفيذه، وكذلك مَنْ يُقدِّم رغباته الشخصية على أداء المستحقات والمترتبات عليه، فإنه يشقى في وقتٍ كان من الممكن له التوازن وعدم التجاوز.

وإنَّ في الحكمة دوراً إصلاحياً يفوق على الإجراءات القانونية والاجتماعية مع أهميتها؛ كونها تحاول إقناع الفرد بعدم التورط، وبيان سلبيات ذلك، مع الحرص على تكامله بمحاسن الصفات، وأما ما عداها من إجراءات فهي مطالب تنفيذية لا يُراد منها وراء ذلك دائماً.

١١١ - قال عليه السلام:

ما قالَ الناسُ لشيءٍ طوبى له[1]، إلا وقد خبأَ له الدهرُ يومَ سَوءٍ.

الدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وإقبالها؛ فإنها ستُدبر يوماً مّا.

وهذا طبعٌ متأصلٌ فيها، مما لا يصح الاستثناء فيه، فيلزمنا الحذر من ذلك، على مستوى التواضع، كما بمستوى القناعة، فالعاقل مدعوٌ للاعتبار بالمتقدمين الذين لم تنفعهم الدنيا إلا بمقدار كونها ساحة لتنفيذ أعمالهم، فإنْ اهتموا بجعلها مفيدة ومثمرة، انتفعوا بها في الدارين، ذكراً طيباً وأثراً حميداً، كما يُرجى الثواب لهم ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**﴾[2]، وأما لو لم يفعلوا ذلك، فتعاملوا معها كمحل إقامة دائمة، انتكسوا ولم يحصلوا إلا على مكاسب محدودة جسدية، وقد

(١) طوبى له: كناية عن الاستحسان له والإعجاب به.

(٢) سورة الجاثية الآية: ٣٠.

يُحَرِم بعضهم منها أيضاً، مما يؤسس لإتباع منهجية معينة مع الدنيا من دون الارتماء بين يديها والتعلق المطلق بها، بل الأم الذي لا يستطيع مولودها البقاء عندها وإلا خسر نفسه، وهذا ما يمارسه كل واحد مع والدته التي أتت به إلى هذا الوجود الدنيوي، فمهما ارتبط بها روحياً وجسدياً، لكنه يفارقها للعبه ومدرسته وعمله وسائر لوازمه الحياتية، بل قد ينفصل جسدياً عنها لاغترابٍ وغيره، الأمر الذي يعني إمكانية التطبيق مع الدنيا، فلماذا يحصل العكس عند البعض؟!، بل يهجر والدته مع عظيم حقها الذي يفوق حق والده فضلاً عن غيره، ولا يقرر أنْ يكون حازماً فلا ينفذ أوامر أمه الدنيا مع ما يراه من تنكرها وتقلّب حالها معه وغيره!!.

وهذا ما يؤكد على ضرورة التواضع فيها والقناعة منها بالكفاف، وإلا كان متورطاً في ما يُحاسب عليه ولا ينفعه الانتفاء من المسئولية عنه، فقد يجرح مشاعرَ أحدٍ أو يؤذي مؤمناً؛ كونه مغروراً بإقبال الدنيا عليه، أو يُعين بماله على عملٍ سلبيٍ تتضرر منه الأمة؛ لكونه لم يكتفِ إلا بالادخار والجمع، فيصل المال إلى مَنْ يستخدمه في الممنوعات، ليكون مساعداً له في ذلك، ولو لم يندرج تحت مادة قانونية لتطاله عقوبة، لكنه عنصر فاعل في أداء الممنوع وممارسته، وهو كافٍ في الندم وغيره مما يواجهه في يوم القيامة وما يسبقه وما فيه ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**﴾[1]، ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾[2].

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ١٠١.

(٢) سورة الجاثية الآية: ٢١.

١١٢ - قال عليه السلام:

ما كذِبتُ ولا كُذِّبتُ، ولا ضللتُ ولا ضُلَّ بي.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1]، وما من شكٍ في أنَّ الكذب والضلال، رجسٌ وهو ضد الطُهر فإنه قذَرٌ[2] قد أذهبه تعالى عنه عليه السلام وعن سائر أهل البيت عليهم السلام الذين أخبر صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: فأنا وأهلُ بيتي مطّهرون من الذنوب[3]، مما يعطينا عصمته ونزاهته عليه السلام عن جميع الذنوب؛ حيث كانت الآية المباركة تمدحه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وتبين عظيم منزلتهم وشأنهم، فلم تكن الحكمة المباركة إلا لبيان قبح الكذب وسوء عاقبة الضلال في واقع الأمر، بما يدعونا إلى الابتعاد عنهما وعدم التورط بهما؛ حيث يعكسان واقعاً سلبياً يتصف به الكاذب والضال، وهو ما يمنع العاقل عنهما؛ كونهما من الصفات السيئة والرذيلة، بينما عليه أنْ يرتقي بهمته إلى

---

(١) سورة الأحزاب من الآية٣٣، وقد قال ابن حجر في الصواعق المحرقة٢٢٠=٢/ ٤٢١(أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين)،وقد روى مسلم في صحيحه ٧/ ١٣٠قال: (حدثنا) أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير (واللفظ لأبي بكر) قالا حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء عليٌ فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، كما روى الترمذي في السنن ٥/ ٣٦٠ - ٣٦١ ح ٣٩٦٣ قال: حدثنا محمود بن غيلان ، أخبرنا أبو أحمد الزبيري ، أخبرنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة (أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال، إنك على خير)، وقد عقّب عليه بقوله (هذا حديث حسن صحيح . وهو أحسن شيء روى في هذا الباب).

(٢) ظ/ مقاييس اللغة٢/ ٤٩٠.

(٣) الدر المنثور ٥ / ١٩٩.

التحلي بالصفات الكريمة، فتضفي طابعاً ايجابياً على شخصيته، وينجذب إليه الناس ويثقوا به ويندمجوا معه، بعكس الكذب (فإنه من أدنى الأخلاق قدرا، وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة)[١] كما رُوي عنه عليه السلام، مما ينفِّر منه، وهكذا الضلال بما يمثله من الضياع الفكري وعدم الانتماء للاستقامة؛ بحيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[٢]، ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٣]، بل صريح قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾[٤] أنهما يجتمعان في الإنسان وعندها يتلوث بآثارهما معا، وهو أسوء الحالات.

فالدعوة إلى أنْ لا يكذب الإنسان ويحاول أنْ لا يُكذَّب من خلال عدم صدقه أو ترويجه لما لا يُقبل منه، وهو ما يُضرُّ بسمعته الاجتماعية، كما الدعوة إلى التزام الحق وعدم التحوّل بعد الوضوح وحصول اليقين، وإلا كانت الخسارة في الدنيا والآخرة، مما يعطينا ضرورة المحافظة على الثوابت وأهمية التحرج في القول، وعدم الرضوخ للمؤثرات.

وهذا ما يُلزِم محبيه عليه السلام باتخاذ منهجه، واتباع طريقته؛ كونها الأهدى والأفضل، وإلا كان القولُ منهم غير منسجمٍ مع الفعل، وهو ما يُشينهم.

---

(١) مشكاة الأنوار١/ ٤١٣ف ٢٤ح١٠٠٨/ ٢.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٩٠.

(٣) سورة الحجر الآية: ٥٦.

(٤) سورة الواقعة الآية: ٥١.

١١٣ - قال عليه السلام:

ما كلُّ مفتونٍ[١] يُعاتَبْ.

الدعوة إلى عدم التسرع باللوم عند صدور ما لا يليق من أحدٍ قبل معرفة ظرفه وما يحيط به؛ فإنه قد يكون معذوراً في ذلك.

كما أنها دعوة إلى تغليب التسامح، وغض النظر في حالات صدور الاعتداء قولاً أو فعلاً من أحدٍ؛ لأنه لو واجه الإساءة بمثلها، لأدى ذلك إلى المزيد من التشنج والتوتر، وهو ما يُضرُّ بالحالة العامة، مما يحتِّم الكف عنه، كما على العقلاء وممَنْ تُسمع كلمتهم النهي عن المشاحنات وتلبيد الأجواء العامة بالعداوات وغيرها، بل لابد أولاً من التعرف على مستوى الطرف الآخر، فقد لا يكون ممَّن يستحق المقابلة؛ لما تستجره من مواقف مؤسفة، كما قد يكون مغروراً جاهلاً بالأمور، وعندها فالعفو أولى.

وإنَّ إشاعة هذه الحكمة جماهيرياً لما يمنح المجتمع أمناً واستقراراً وتماسكاً بين أفراده، كما يُهدأ النفوس الثائرة التي تتحفز للانتصار بأدنى ما يواجهها من جهل الجهلة، وأيضاً يساعد على نشر ثقافة التأني والتسامح والعفو، وهو أمرٌ مهمٌ للغاية؛ حيث تعجز سلطة القانون والقضاء عن الحدِّ من ذلك أحياناً، وبالتالي يمكن القضاء على أكثر من ظاهرة سيئة، كما تشيع أكثر من صفة ايجابية في المجتمع، وهو ما يلزمنا النهوض بمسئوليته وعدم التهاون فيه، وإلا لكنا في حالٍ من التقاطع والتوتر المستمر، مع أنّا نُهينا عن سوء الظن وعن التسرّع إلى التهمة وعن مقابلة الإساءة بمثلها، قال أمير المؤمنين عليه السلام موصياً ولدَهُ الإمام الحسن عليه السلام: ولا يغلبنَّ عليك سوءُ الظنّ، فإنه لا يدع بينك وبين خليل

(١) مفتون: مَنْ تعرض للاختبار لكنه لم يفز.

صلحا[١]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: إذا اتهم المؤمنُ أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماثُ الملحُ في الماء[٢]، كما أوصى أميرُ المؤمنين عليه السلام ولدَهُ الإمامَ الحسن عليه السلام: ولا يكونَنَّ أخوك أقوى على قطيعتِك منك على صلته، ولا تكونَنَّ على الإساءةِ أقوى منك على الإحسان، ولا يكبرنَّ عليك ظلمُ مَنْ ظَلَمَكَ فإنه يسعى في مضرتِهِ ونفعِكَ[٣].

١١٤ - قال عليه السلام:

ما لابنِ آدمَ والفخرِ: أولُهُ نطفةٌ، وآخرُهُ جيفةٌ، ولا يرزقُ نفسَهُ، ولا يدفعُ حتفَهُ[٤].

الدعوة إلى استذكار الإنسان مبدأ وجوده الدنيوي ومنتهاه وأنه محتاجٌ فيما بينهما إلى عون الله تعالى له في تأمين احتياجاته ولوازمه الحياتية، كما أنه ضيفٌ لا يستطيع تحديد موعد مغادرته، بل بأمره تعالى سيرحل عن هذه الدنيا ويتركها، فمن خلال هذه البيانات كلها فكيف به يفخر ويتعاظم على غيره، ويُعجب بنفسه ويتباهى بماله أو أولاده؟!.

ولما كان البعض لا يستحضر كونه محتاجاً في حالاته فتغيب عنه هذه الحقائق، لزم عرضها له باستمرار؛ لئلا يقع في آفات ذلك، فيتصرف باستعلاءٍ وكبرياءٍ لا يتناسب وقاعدته البيانية المتقدمة.

نعم له أنْ يفخر بالمكارم والمحاسن والفضائل، دون أنْ يتباهى بما يفارقه

---

(١) تحف العقول ٧٩.

(٢) الكافي٢/ ٣٦١ح١، انماث: ذاب.

(٣) نهج البلاغة٣/ ٥٤.

(٤) الحتف: الموت.

ولا يصحبه، إلا إذا وظّفه بطريقة تضمن له استثمار ما خوّله الله تعالى إلى دار البقاء، فعندها يكون اعتزازه بما أحسن فعله، وهو ما يقلل لديه حالة الغرور والتعالي.

١١٥ - قال عليه السلام:

المالُ مادةُ الشهوات.

إنّ تنفيذ رغبات الإنسان مما يستلزم وجود القدرة المالية كي تتحقق بعض شرائط العمل، وهذا معلوم لكن الدعوة إلى استيعاب هذه الحقيقة واستذكارها؛ حتى لا يستولي حبُّ المال على قلبه بحيث يكون هو المقدم وهو المؤخر، بل لابد من التعامل مع المال كوسيلة، وليس غاية؛ لذا فيحتاج إلى تنظيم وتدبير وحسن الإنفاق؛ لئلا يتحوّل إلى مادة إدانة لصاحبه، ويأسف في وقتٍ لا ينفعه فيه الأسف؛ حيث أنَّ العديد من حالات الإجرام، إنما سببها الوحيد هو المال، فهو سلاح ذو حدين، فكما ينتفع به الإنسان، كذلك يتضرر منه.

فالدعوة إلى الحذر المستمر، والتوقي الدائم من مصادره المشبوهة؛ إذ لا يصح للعاقل أن يسعى بنفسه لهلاكه، وعندها يتضح له أنّ الفقر أحفظ له، وأبقى عليه من ماله الذي أساء استخدامه فأبعده عن مواطن الخير، وأدخله موارد السوء.

١١٦ - قال عليه السلام:

ما مزحَ امرؤٌ مَزحةً إلا مجَّ من عقله مجَّةً[١].

الدعوة إلى أنّ لا يستولي المزاح على صاحبه بحيث يفقد هيبته الاجتماعية، ويتضرر معنوياً بذلك، بل لابد من التعامل على أساس أنّ المزاح حالةٌ يحتاجها الإنسان في وقت ثم ينتقل لغيرها، فالمداومة والملازمة، مما تستهلك شخصية الممازح لتُحوله إلى أداة ترفيه، فيسهل التأثير عليه، حتى لا يمكنه أحياناً الاعتذار؛ كونه قد تحوّل إلى مُضَحِّك.

وسبب كون المزاح موجباً لضعف الشخصية اجتماعياً ونفسياً، هو التعاكس الواضح بين اتجاه العاطفة والعقل، فكلٌّ منهما يطلب حالةً لا يتفاعل معها الآخر بقوة؛ إذ كان المزاح والمداعبة من العاطفة وهي ما تقتضي عدم الجدية، كونها حالة تنفيس عن الكبت والمتاعب النفسية والجسدية، لكنه يتم على حساب حالة الاتزان والوقار، فضلاً عن كونه يستجر إلى الكذب والهزأ بالغير والتهكم وغير ذلك مما ينسجم مع أجواء المرح، وهو بالتالي موجبٌ للتنازل عن الحشمة والأدب، بل يكون أحياناً تبعاً لرغبات الآخرين، وهو ما يؤدي إلى عدم مراعاة مشاعر الغير، وهو أذى لهم ليتحول إلى عداوة، كما يتنازل عن كثير من الضوابط والثوابت من أجل الوصول لمراده، وهذا ابتعاد عن العقل الذي يُلزم بعدم تجاهل شعور الآخر؛ لأنه له اعتباراته الكاملة كما الممازح، فيتضرر بالغيبة والنميمة والكلمات القاسية وغيرها، وجميع هذه مما توجب تجميد العقل وما يحكم به وإلغاء دوره في ترشيد تصرفات الإنسان، وهذا فراقٌ بينهما.

---

(١) مجَّ: رمى به.

١١٧ - قال عليه السلام:

مَثَلُ الدنيا كمَثَلِ الحيةِ، ليِّنٌ مَسُّها، والسمُّ الناقعُ في جوفها، يهوي إليها الغِرُّ الجاهلُ، ويحذرُها ذو اللبِّ العاقلُ[1].

إنّ للتمثيل الدور البارز في توضيح المطلوب، وسرعة الاستجابة، وهذا ما يعتمده القرآن الكريم كثيراً؛ للإفادة من خصائصه ومنافعه، وكانت الحكمة على منوال القرآن والهدَي المحمدي، توضيحاً وتبييناً، فقد يتصور العديد أنه عارفٌ بالدنيا بما هي، لكنه في الواقع لم يعرفها كما لو مُثِّلت له بالحية التي قد يُعجبه مظهرها، لكنها تخزن السم القاتل في جوفها، فالعاقل يبتعد عنها ويحذرها، بعكس المغتر بها فإنه يأمنها ويقترب منها، فتفاجئه حتى لا يستطيع النجاة منها ولا الإفلات من أضرارها إلا بعونه تعالى.

فالدعوة للحذر من الدنيا ومعرفة أنها إنْ أقبلت على أحدٍ فلا تدوم معه، بل يلزمه مداراتها دائماً، حتى يتحوّل عنها، ولا يُعذر - أبداً - لو لم يتحفظ منها بعد ما عُرف عن غدرها وقسوتها في التنكيل بمَنْ تنقلب عليه، كما لا يصح لعاقل أن يرضى لنفسه الجهل ونقص التجربة ليتورط في الاطمئنان بإقبالها؛ بعد ما لم يكن كلُّ مُقبلٍ عليه بل البعض مما يتوقى منه كالعدد الذي يقصد أحداً في المعركة، فلابد من دفعه ومقاتلته، وإلا فالفرار منه إنجاءً للنفس، وكذلك الدنيا لو واتت أحداً وأظهرت له الودّ فعليه الاحتراز منها.

---

(١) الناقع: البالغ، الغِر: غير المجرّب، ذو اللُب: ذو العقل، والفرق بين اللُب والعقل أن (اللُب يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به، والعقل يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به، فهو مفارق له من هذا الوجه) الفروق اللغوية ٤٦١.

١١٨ - قال عليه السلام:

مَنْ أبدى صفحتَهُ[١] للحقِّ هَلَكَ.

الذي يتعارض مع مفاهيم الحق، ويتقاطع مع ثوابت العدالة، سوف يعرِّض نفسَهُ للإدانة والعقوبة، وهذا ما يؤدي به إلى الهلاك.

فالدعوة إلى عدم مواجهة الحق بمختلف صوره ومظاهره؛ كما أنها تشجيعٌ على الانضمام لأهله وتقويته وتعزيز مواقعه وتأصيله في الأذهان والممارسات، من خلال التثقيف عليه، وتأكيده مقابل الباطل على تعدد مستوياته وأساليبه؛ فإنه مخذولٌ لا محالة مهما امتدت مدته، أو كثُرَ أعوانه، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾[٢]، ولما كان من أسمائه الحسنى سبحانه الحق، وهو من صفات أفعاله عز وجل، فحتماً لا يكون إلا الأقوى والأغلب، فمَنْ عاضَدَهُ وناصَرَهُ فازَ ونجى، والعكس بالعكس.

١١٩ - قال عليه السلام:

مَنْ أحبنا أهلَ البيتِ فليستعدَّ للفقرِ جِلباباً[٣].

إنّ الحُبّ يعني اللزوم والثبات[٤]، وهو ما يقتضي الطاعة والامتثال

---

(١) أبدى صفحته: هو استعمال مجازي عن المكاشفة بالعداوة وإظهارها،فهي كناية عن الإنحراف عن الحق.

(٢) سورة الحج الآية: ٦٢.

(٣) فليستعدّ: فليتهيأ، جلباباً: قميصاً.

(٤) ظ/ مقاييس اللغة٢/ ٢٦.

للمحبوب؛ ليتحقق اللزوم والثبات بمستوييهما المادي والمعنوي، مع التوطن على تحمّل لوازم ذلك، وهو ما يتلخص في تفعيل دور التقوى في حياة الفرد، الأمر الذي يتطلب مساحة واسعة من الاهتمام والوعي لما يترتب عليه:

١- فقد يكون دنيوياً بالصبر على تدني المستوى المالي وتحمل الفقر؛ كون متابعة أهل البيت عليهم السلام تستلزم تنفيذ تعاليمهم، وعدم التورط بالحرام، وهو ما يمنع:

أ- بعض فرص القفز نحو الغنى؛ لأنه لابد من تحديد الهدف مسبقاً إما طلب الدنيا من دون فرز بين طيب المال وخبيثه، أو البحث عن الحلال والتمسك به دون غيره، على أساس أنّ غير الحلال مما لا يدوم ولا بركة فيه وهو من أشد أنواع الفيروسات التي تصيب الإنسان وتقلل مناعته الإيمانية والأخلاقية، ولا تُجدي بعد ذلك محاولات المعالجة إلا بعد التخلص منه جميعاً، وهو ما لا يفعله كثيرٌ، فلذا يُنكبون ويتأثرون بآثاره، ليودعوا السعادة والبركة والاطمئنان والسمعة النزيهة وسواها من عوامل فاعلة ومهمة في استقرار الفرد شخصياً واجتماعياً، قال تعالى: ﴿**قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1]، كما يمنع:

ب- انسيابية العمل وتلكأه؛ نتيجة المضايقات الأمنية والمطاردات، أو المصادرات المالية، أو التمييز في فرص الاستثمار، مما يضعف الحالة المعيشية، ولا يتحقق غنى بالمفهوم المادي وعلى مستوى ضخامة الرصيد؛ للتعاكس البيّن في اتجاهي المعارضة السياسية والانشغال بلوازمها، والارتزاق بالطريقة العلنية.

٢- وقد يكون أخروياً؛ من حيث أنّ الفقر الحقيقي ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً**

(١) سورة المائدة الآية: ١٠٠.

وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[١]، **﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٢]، **﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**[٣]، مما يدفع باتجاه تأمين الإنسان نفسَه بما يوفر غناه وسعادته يوم القيامة، من خلال تفضله تعالى بالجنة ونعيمها؛ فيكون قد أنجاها من تعاسة الفقر، وآمنها من الخوف، وهذا كله مشروطٌ بتفعيل دور التقوى التي تتوافر معها فرص العمل الصالح المتقبَّل، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾**[٤].

فالدعوة إلى تحمّل المشاق الدنيوية من أجل النجاة أخروياً، عندما يجتاز الإنسان صعوبات الحساب، سواء كان ذلك بسبب الاضطهاد على الهوية وتحقق المظلومية، أم نتيجة العمل الصالح وتوفر ضمانات حصول الرضوان والغفران.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[٥]، وهذا الغنى الحقيقي الذي يكون الإنسان قد أحرزه ليوم فقره ولو اقتضى تجرّع مرارات دنيوية كالصبر على المكاره وتقليل الملاذ.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٣٠.

(٢) سورة يّس الآية: ٥٤.

(٣) سورة غافر الآية: ١٧.

(٤) سورة المائدة من الآية٢٧.

(٥) سورة الأحزاب الآية: ٧١.

١٢٠ - قال عليه السلام:

مَنْ أصبحَ على الدنيا حزيناً فقد أصبحَ لقضاءِ الله ساخطاً، ومَنْ أصبحَ يشكو مصيبةً نزلت به فقد أصبحَ يشكو ربه، ومَنْ أتى غنياً فتواضعَ لغناه ذَهَبَ ثلثا دينِهِ، ومَنْ قرأ القرآنَ فماتَ فدخلَ النارَ فهو ممَنْ كان يتخذ آياتِ اللهِ هزواً، ومَنْ لَهِجَ قلبُهُ بحبِّ الدنيا التَاطَ قلبُهُ منها بثلاثٍ: هَمٍ لا يُغِبُّهُ، وحِرْصٍ لا يَتْرُكُهُ، وأملٍ لا يُدْرِكُهُ[1].

أولاً: الدعوة إلى الرضا بما قضى تعالى، أي:

أ- ما علِمَ الله سبحانه وقوعَهُ وحصولَهُ.

ب- أو ما أمَرَ العبادَ به أو نهاهم عنه؛ فإنّ السخط وعدم الرضا بذلك مما يعني اتهامه تعالى في عدله، وهو كفرٌ؛ كونه علاّم الغيوب والغني عن الخلق، والذي لا تنفعه الطاعة كما لا تضرّه المعصية، فإذا كان كذلك وفوق ما نقول، فلماذا الحزن على ما فات من الدنيا، بعد أنْ يكون ذلك بعلمِهِ واطلاعِهِ؛ بحيث لم يذهب عن الإنسان ما ينفعه؟!، بل الأنسب بالعاقل التسليم وعدم الاعتراض؛ كونه برعاية سامية هي أشفق عليه من الأم الحنون، وأعرف بما يصلح له من نفسه.

وثانياً: الدعوة إلى التسليم لما جرى به القضاء، مما علمه تعالى فنزل بالعبد وابتُلي به، فلا يشكوه لأحد ولا يتضجر منه، بل يتلقاه مطمئناً بأنّ الله لا يكلفه ولا يحمله ما لا طاقة له به، واثقاً من أجره على ذلك، ويعدّ هذا الانقياد والإذعان مرتبة أرقى من الرضا؛ حيث لا يرى لنفسه شيئاً بعد ما اختار له عالم

(١) لَهِجَ قلبُهُ: وَلِعَ قلبه وتعلّق، التاط: لَزِمَ وتعلّق، لايُغِبُّهُ: لايتركه فترة ولا يمهله وقتاً وهو كناية عن الملازمة، الحِرص: فرط الشره وفرط الإرادة.

الغيب والشهادة، وهو لا يريد إلا ما أراده تعالى، بينما الرضا قبول بما جرى مع الاحتفاظ بحقه في الإرادة المغايرة، ومن هنا كانت الدعوة الأولى إلى عدم السخط وهو الرضا ثم كانت هذه دعوة إلى عدم الشكوى وهو أولُ التسليم، وبالتالي لا يجتمع ذلك مع الإخبار عن المكروه الذي أصابه، حتى أحتاج إلى إبداء ضجره وتألمه من ذلك، بعد أنْ تكون نفسُهُ مطمئنة بأنّ(المصائب منحٌ من الله والفقر مخزونٌ عند الله)[1]، فجميع ما يصيبه من الفقر والمرض والخوف ومطلق سوء الحال، إنما يمثِّل بعض عطاياه تعالى؛ حيث يتفضل بالتعويض أخروياً على ذلك، وذلك نظير التحويل المالي الذي يُسعد به الإنسان دنيوياً عندما يتسلم صكاً من أحدٍ أو شيكاً مصرفياً بحوالة معينة؛ لأنه عطية ومنحة قد اطمئن إلى حصوله عليها، مع أنه من المحتمل - عقلائياً - نفاذ ما لدى الجهة المحوِّلَة أو المحوَّل عليها، لكنه واثق به ومسرورٌ منه، فكيف إذا ادّخر مالك الملك الغني الواسع شيئاً ليوم آخر هو أحوج ما يكون إليه، فلابد من عدم القلق، فإنه بعلمه تعالى، وإلا كان شاكياً ربّه وهو تظلّم من العادل المطلق، فمَنْ يتوقع أنْ يُنصفه منه؟!.

وثالثاً: الدعوة إلى تأكيد الرضا والتسليم عملياً من خلال التطبيق الفعلي في التعامل المعتدل مع الآخر، فلا يتضع للغني بسبب غناه؛ كون ذلك مما ينبئ عن سوء الظن بالله تعالى؛ حيث تكفل بالرزق لكنه لم يثق بالوعد وتوهم أنّ اتصاله بالغني مما يوفر له مبتغاه، فتعامل معه برفق ولين لا بسبب ما يحمله من قيم وما يتصف به من محاسن، وإنما لمجرد ازدهار الحالة المالية لديه، متناسياً أنّ الرزق ﴿**مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[2]، فكان معوِّلاً

---

(١) ظ/ الكافي٢/ ٢٦٠ح٢.

(٢) سورة آل عمران من الآية٣٧.

في تأمين احتياجاته على نفسه، ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[1]؛ لذلك يذهب ثلثا دينه بعد أنْ يكون قد اكتفى بترديد الشهادتين لساناً وعدم الاعتقاد القلبي بصفاته تعالى كالقدرة والعدل، فضلاً عن العمل والتطبيق؛ حيث التجأ للمحتاج المطلق، ليكون الباقي له من ركائز الإيمانُ الثلاث[2] مجرد الإقرار باللسانِ، وانحسار المعرفة بالقلب، والعمل بالأركانِ، فحقاً ذهب ثلثا دينه، وهو غير مأمون على الثلث الباقي بعد تفريطه بالثلثين.

نعم التواضع حسَنٌ لكن مع الفقير أيضاً، فلا يقتصر على الغني ولأمرٍ طارئ متغير؛ فإنه تذويب لطاقاته الإنسانية، وتكريس لغناه، فلم يكن لشخصه بل لماله.

ورابعاً: الدعوة إلى الاعتزاز بالقرآن، وعدم التضييع له من خلال التهاون في تطبيقه، وعدم الحرص على قراءته؛ مع كونه: (الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدِّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآنَ أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى، و... ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى و...أنه شافع مشفع، وقائل مصدق) كما وصَفَه الخبير به عليه السلام[3]، فهو داع إلى العمل والتطبيق الذي يمثل ضمانة للنجاة وعدم دخول النار، فلو دخل أحدٌ النارَ يوم القيامة، فيدل ذلك على أنه لم يعمل بما فيه وتجاوز الحد المسموح به، فكان عاصياً يستحق النار، وهذا ما

---

(١) سورة الأعراف: من الآية١٨٨.

(٢) ظ الحكمة٢٢،كما رُويَ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان،وعمل بالأركان،ظ/ الجامع الصغير١/ ٤٧٨،وايضا: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدقه الأعمال،ظ/ معاني الاخبار١٨٧ح٣.

(٣) ظ/ نهج البلاغة ٢/ ٩١-٩٢.

ينطبق على المخالفات كافة، حيث تُقرأ أخروياً على أنها استهزاء بالقرآن، وهو ما لا يختاره عاقلٌ بعد أنْ قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[1]، مما يعني لزوم الاعتناء بالقرآن في مختلف المستويات.

وخامساً: الدعوة الحذر التام من التعلق القلبي بالدنيا، والأمن لآمالها ووعودها؛ كونها تحيط المحب لها بالهمّ فيها، والحرص عليها، والأمل الموهوم بها، وهذه الثلاثية كافية في تشتيت الذهن وتبديد الطاقة، الأمر الذي يوجب الانشغال التام عن الأهم، كما يستلزم التقصير في قضايا أخرى، وهو خيارٌ لا يختاره العاقل، مما يؤسس لطريقة من التعامل الخاص معها، من حيث الموازنة بين أنها أمٌّ؛ فقد قال عليه السلام: (الناس أبناء الدنيا، ولا يلامُ الرجلُ على حبِّ أمّهِ[2]، وبين طبيعتها الشاغلة عن غيرها والمتفردة بالمغرور بها، لتكون الموازنة على أساس استيعاب حقيقة زوالها وتقلبها، وعندئذ فلا يتعلق القلب بها، وإنما يعيش فيها وهو واعٍ لمغادرته لها ولو لم يحدد له الموعد، فلو حان وقت الرحيل، فينتقل عنها وهو مؤمل في استبدالها بالأفضل؛ وذلك بعد ما عاناه فيها من الخوف والمرض والفقر وسائر حالات الضعف والمشاق، بينما هو قادم على استيفاء ما قدّمه، فإنْ كان مسيئاً فلنفسه أساء وعليها اقترف ولا يلومنَّ إلا نفسه.

وإننا بحاجة إلى استذكار هذه الدعوات الخمس؛ عسى أنْ نتدارك ما فاتنا من تقصير ونتلافى القصور؛ كيلا يخلَّ بقربنا من بارينا وخالقنا سبحانه، بعد أنْ أبعدنا الأنس بالدنيا وكأنها دائمة، فكانت استباحة النفوس والأعراض

---

(١) سورة الجاثية الآية: ٣٤/ ٣٥.

(٢) نهج البلاغة ٤/ ٧٣.

والأموال، حتى لا يؤمن الإنسان على نفسه من نفسه؛ حيث يتوهم أنه مصيبٌ وهو لا يدري أنه مخطئ فيدخل النار بنفسه وعن إصراره المسبق.

١٢١ - قال عليه السلام:

مَنْ أُعطيَ أربعاً لم يُحْرَمْ أربعاً: مَنْ أُعطيَ الدعاءَ لم يُحْرَم الإجابةَ، ومَنْ أُعطيَ التوبةَ لم يُحْرَم القبولَ، ومَنْ أُعطيَ الاستغفار لم يُحْرَمِ المغفرةَ، ومَنْ أُعطيَ الشكرَ لم يُحْرَمِ الزيادةَ.

وتصديقُ ذلك في كتاب الله تعالى؛ قال الله عز وجل في الدعاء: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾، وقال في الاستغفار: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِم نَفسَهُ ثُم يَستَغْفِر اللهَ يَجد الله غَفُوراً رَحِيماً﴾، وقال في الشكر: ﴿لَئِن شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم﴾، وقال في التوبة: ﴿إِنَّما التَوبَةُ عَلى اللهِ لِلذينَ يَعمَلُونَ السّوءَ بِجَهالَةٍ ثُم يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِم وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

إنّ مما يحتاجه الإنسان في مسيرته التكاملية، عدة أمور:

١ - إذا دعا ربَّهُ أنْ يستجيب له.

٢- وإذا تاب إليه من ذنبه أنْ يقبلَ منه.

٣- وإذا استغفره طالباً منه التجاوزَ والغفران، أنْ يغفرَ له.

٤- وإذا شكره واعترف بنعمته عليه معظماً له، أنْ يزيده ويوسع عليه.

وهذه جميعاً مكفولة مضمونة قرآنياً، حتى لا يقلق عليها، ولا يفتر عنها، بل عليه التواصل في ذلك، والاستزادة من الدعاء والتوبة والاستغفار والشكر؛ كونها أفعاله، ليقابله تعالى بإجابته له وقبوله منه وستره بالمغفرة عليه وزيادته

في رزقه، الأمر الذي يشيع جواً من الترابط الروحي، والانشداد النفسي، وهو ما يعمِّر الحالة المعنوية وينشِّط المادية؛ حيث يتحسس الإنسان احتياجه لخالقه سبحانه، فيلجأ له ليجد عنده ما أراده وطلبه، حتى يكون ذلك برهاناً عملياً على وجوده تعالى من خلال صفاته؛ فهو المجيب وقابل التوب والغافر والمعطي، والقادر على ذلك وغيره، وبعدها لا يُنكره إلا معاند ومكابر.

كما وأنّ هذه الضمانات لما توفر راحة نفسية للإنسان، لم يجدها في علاقاته المبتعدة عنه تعالى ضمن خطوط المادية الفكرية وسواها، مما أُريد له أنْ يكون بديلاً عن الارتباط الروحي الذي يأنس به الإنسان، ويبحث عنه؛ ولذلك عاش قصص الحب والمغامرات لعله يجد من خلالها ذلك الشعور بالراحة والهدوء، الذي سلبته منه الحياة العامة، فأبعدته عن مساره، ولذا فلابد من تعميق الصلة وتوفير الأجواء المناسبة للعودة إلى الذات، ليجد أنه ما كان يوماً آلة جرداء، وإنما هو القلب النابض المتعلق بموجده، بعد أنْ أعيى الجميع أنْ يوجدوا سطراً صدفة، كما لم تحقق المادة لهم شيئاً صغيراً، بل هناك سلسلة العلل الموجِدة المنتهية لله تعالى.

١٢٢ - قال عليه السلام:

مَنْ أومأَ إلى متفاوتٍ[1]، خذلته الحِيَلُ.

الدعوة إلى اعتماد الحق والبحث عن الصواب وجعله كأساسٍ في التعامل العام مع القضايا كافة؛ لأنّ استبداله بالباطل من خلال الابتعاد عن مواقع الحق، والقبول بغيره باعتباره من الأمر الواقع خطأ كبير؛ لما يعنيه من انتهازية ومحاولة الوصول مهما كان الطريق، ولما يمثله من انقلابٍ على القيم قال تعالى:

(١) أومأ: أشار، متفاوت: متباعد،وهي كناية عن طلب جمع المتباعدين.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1]، فلابد من التزام الحق؛ حيث لا تنفع التدابير والمحاولات في الالتفاف عليه، والعاقل لا يجري في طريقٍ يدور به ثم يرجع إلى نقطة الانطلاق الأولى، بل يختصر الجهد والوقت باتباع الحق في تشكّلاته كافة ومحاوره المتعددة، حتى يكون ذلك هو البرنامج الحياتي المقترن به فلا يحيد عنه لمنصب أو غضب أو شدة أو غيرها مما يتعرض له فيغيّر قناعاته من أجل ذلك، علماً أنه لا موجب للتشتت والابتعاد بعد وجود فرصة أفضل للوصول إلى المطلوب؛ حيث قد يُقبل التحوّل نتيجة الضغط الشديد، ولكن لما كان من المتيسر اختيار الصحيح، فالعدول عنه إلى سواه مما يؤشر سلباً على عدم المبدئية، وأنه يفضِّل التوصل للمراد بدون توقف عند الوسيلة والطريقة، من حيث أنها مناسبة أو لا؛ لذا كانت الدعوة إلى التمهل والتريّث في اتخاذ القرار؛ لأنه وإنْ بادَرَ إلى التنازل، لكنه لا يضمن نجاح الخطوة، فترتد الآثار السيئة عليه، وعندها لا ينفع الندم أو الاعتذار أو التبرير.

وإنّ التثقيف الجماهيري على هذه الحكمة، لما يؤمل منه تقليل حالات الاستبداد والتسرّع قبل الاستشارة أو مخالفتها لو لم تلائمه، وهو ما يصدر من فئاتٍ عديدة، وخاصة الشباب، فلابد من تنظير الحالة لهم ببعض الأنظمة المرورية التي تفرض حدّاً لسرعة قيادة المركبة، والمخالفة لا تُلغي النظام، وإنما يترتب المزيد من القوانين الجزائية كالغرامة وغيرها فضلاً عن الخسارة المعنوية كدخول الحبس أو انتظار المحاكمة مع المدانين وغيرهما مما يتعرض له من ضغوط نفسية لتواجده في ذلك الوضع المعين مكاناً أو زماناً، وكذلك المخالفات الشرعية والأخلاقية العامة مما لا تحقق مكسباً لمرتكبها لكنها تخضعه لقوة الحكم وتطبيقه عليه، وعندها لم تنفعه الحِيَلُ التي مارسها أو حاولها، بل

(١) سورة يونس من الآية٣٢.

بدأ يعاني منها.

١٢٣ - قال عليه السلام:

مَنْ بالَغَ في الخصومةِ أثِمَ، ومَنْ قَصَّرَ فيها ظُلِمَ، ولا يستطيعُ أنْ يتقيَ اللهَ مَنْ خاصَمَ.

التحذير من الخصومة والمنازعة؛ كونها غير مأمونة العواقب، ولا معروفة الغاية، بل تشتد حتى تأتي على السليم فيخسره المخاصم، بينما حالة الوداعة والمسالمة أكثر راحة وفائدة؛ حيث لا تنفع المنازعة في شيءٍ فإنْ تجاوز فيها حقوقَ الآخر تورط في الإثم، وإنْ راعى فيها الحقوق والاعتبارات يتجاوز عليه الآخرُ وهو ظلمٌ له، وهو بعد هذا كله لا يتمكن من السيطرة على ميوله وعواطفه.

فالدعوة إلى استبدال المنازعة بطرقٍ وحلولٍ أخرى يستفيد منها المُطالِبُ بما يريد ومن دون تأثيرٍ على التزاماته المتعددة إسلامياً وإنسانياً، وهي حثٌ على الاستعاضة عن التسرّع للجوء إلى المحاكم والدوائر القضائية، بمراجعة النفس ومحاولة نقدها عسى أنْ تكون أخطاء فتتلافى وتصحح، أو الاستعانة بالأصدقاء وسائر المؤثرين فيعينوا بالنصح والتوجيه أو ترك الأمر رجاء تعويضه تعالى فهو يُخلف بأفضل مما يرجوه الراجي أو يؤمله المؤمل، وإلا فلا يأمن المخاصم من التورط في مخالفة شرعية أو قانونية أو أخلاقية، وعندها يكون ضعيفاً أمام نفسه وهواه، ليخسر أكثر مما يربح ويفقد جهد بتحصيله من الحسنات.

وإن تثقيف الأمة على هذه الحكمة، لما ينفع كثيراً في تقليص حدوث حالات التجاوز والتعدي، بل تقليل الحوادث والجرائم، لتتخفف دوائر القضاء كما المجتمع من أعباء الشكاوى والمرافعات وغيرها، مما يكشف عن انسياق الإنسان - أحياناً - وراء شهوته الانتقامية، عندما تعبأ بالثورة النفسية

التي تتأرجح من خلال المصادمات والمنازعات التي تبدأ هيّنة أو تافهة ثم تتطور تصاعدياً حتى تستعصي على الحلول أو المقاربات الصلحية، بينما كان عليه السلام قد أرشد الأمة إلى خطورة الخصومة وضراوة تأثيرها فردياً واجتماعياً، مما يوجب الابتعاد؛ لئلا يربح البعض شيئاً، لكنه يخسر أشياء.

حرف النون

١٢٤ - قال عليه السلام - لكميل بن زياد النخعي: إنَّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عنِّي ما أقول لك -:

الناس ثلاثة: فعالِمٌ رباني. ومتعلمٌ على سبيلِ نجاةٍ[1]. وهَمَجٌ رُعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ يميلون مع كلِّ ريح، لم يستضيئوا بنورِ العلم، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيقٍ.

يا كميل العلمُ خيرٌ من المال. والعلم يحرسك وأنت تحرس المال. المالُ تُنْقِصُهُ النفقةُ والعلمُ يزكو على الإنفاق، وصنيعُ المالِ يزول بزواله.

يا كميل العلمُ دِينٌ يُدان به، به يَكْسِبُ الإنسان الطاعةَ في حياته، وجميلَ الأحدوثةِ بعد وفاته. والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه.

يا كميل هَلَكَ خُزّانُ الأموال وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقون ما بقي

---

(١) كناية عن السير بالاتجاه الصحيح، كما أنّ العالم الرباني كناية عمَنْ صحَّ مسلكه وثبتت عقيدته، وأما الهمج الرعاع فهي كناية عن الحمقى المتابعين لجميع الأصوات بلا فرز.

الدهرُ، أعيانُهُم مفقودةٌ، وأمثالُهُم في القلوبِ موجودة.ها، إنَّ ههنا لعِلْماً جَمّاً - وأشار إلى صدره - لو أصبتُ له حَمَلَةً.

بلى أصبتُ لَقِناً[1] غيرَ مأمونٍ عليه، مستعملاً آلةَ الدينِ للدنيا، ومستظهِراً بنِعَمِ اللهِ على عبادِهِ، وبحججِهِ على أوليائِهِ.

أو منقاداً لحَمَلَةِ الحقِّ لا بصيرةَ له في أحْنائِهِ، ينقدحُ الشكُّ في قلبِهِ لأولِّ عارضٍ من شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك[2].

أو منهوماً باللذةِ سَلِسَ القِيادِ للشهوة[3].

أو مُغْرَماً بالجمعِ والادخارِ، ليسا من رُعاةِ الدين في شيء، أقربُ شيءٍ شَبَهاً بِهما الأنعامُ السائمةُ، كذلك يموتُ العلمُ بموتِ حامليه.

اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم للهِ بحجةٍ، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطلَ حُجَجُ الله وبيّناتُهِ. وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك واللهِ الأقلُّونَ عدداً والأعظمون قدْراً، يحفظُ الله بُهم حججَهُ وبيناتِهِ؛ حتى يودِعوها نظراءَهُم، ويزرعوها في قلوبِ أشباهِهِم، هَجَمَ بهم العلمُ على حقيقةِ البصيرةِ، وباشروا روحَ اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحشَ منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلَّقَةٌ بالمحلِّ الأعلى، أولئك خلفاءُ الله فِي أرضِهِ، والدعاةُ إلى دينِهِ، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم.

إنَّ لهذه الحكمة الخالدة ميزة خاصة؛ باعتبارها ذات نكهة ثنائية، علمية

---

(١) اللَقِن: سريع الفهم.

(٢) لا بصيرةَ له في أحنائه: كناية عن فراغه وعدم استعداده الفكري ،ينقدح الشك: كناية عن سرعة شكه.

(٣) منهوماً: مولعاً،سلس القياد: كناية عن سرعة استجابته.

وعملية، فقد احتوت على تقسيم للأشياء التي تمثّل الأسس الأولية في الحياة، كما أنها تعطينا واحداً من محاور تعدّدية الناس؛ باعتبار ما يمتلكونه من مقومات ورغبات، بما يتحصل منه رؤى متنوعة وآراء متعددة، فكان عليه السلام يتابع ذلك كله ويبين مستويات الناس وأقسامهم نتيجة لاختلاف إدراكهم وأدائهم، وهو ما سنطلع عليه في هذه الحكمة وما تليها.

فالدعوة في هذه الحكمة إلى أنْ يشقَّ الإنسان طريقَهُ الحياتي بحكمة وتعقّل، ليتمثل عبر اختياره الرشيد المعبِّر عن توجهه ومنطلقاته التي يتعامل من خلالها مع القضايا بوعي وعن بصيرة:

١- فأما أنْ يكون عالماً منسوباً لربِّه تعالى من حيث ارتباطه بالأحكام والأخلاق معاً التي أراد تعالى للإنسان أنْ يلتزمها ولا ينفكَّ عنها كما لا يزهد فيها؛ فإنها أرقى ما يصل إليه الإنسان؛ حيث يكون في تصرفاته كافة واعياً لحجم مسئوليته ومنسجماً مع المتطلبات القانونية لذلك، فلا يفرط بعقله الداعي لالتزامه المعرفي، ومن هنا يمكننا استشفاف شمول الوصف لجميع حَمَلَة العلم في الأقسام والاختصاصات كافة بشرط أنْ يستحضروا الانتماء الروحي والعقلي لواهب الحياة والعقل والعلم، من خلال الالتزام وعدم التحلل من القيم والمبادئ، فلا يتعارض الدين مع العلم، وإنما يُساءُ الفهم أحياناً فيبدوان متعاكسين، بقدر ما هما عليه من التلاقح والتلاقي؛ بعد أنْ كان انتماؤهما للخالق تعالى.

٢- وأما أنْ يكون متعلماً يتطلع للتكامل المعرفي، ويبحث عن المزيد العلمي، فترجى له النجاة بسبب تواصله مع العلم وانتمائه له، مما يضمن استجابته لمقرراته وعدم مخالفته لأحكامه، وهو ما يجعله جامعاً بين العلم والحياة، والمعنويات والماديات، والثوابت والمتغيرات، ليكون قد حقق توازناً

بين الذات والمحيط، من دون أنْ يذوب في غيره، فيهلك من حيث لا يشعر.

٣- وأما أنْ يكون غيرهما، وهو مَنْ لم يقرر أنْ يتعلم وأصرَّ على الجهل والتبعية، بحيث يسهل استفزازه وشراء صوته وجعله منضماً بدون عناء كثير؛ لأنه لم يحاول الاستفادة من نور العلم، ولا استعان بالذي يوجهه، فهو قد أعان على نفسه، وتسبب في حرمانها من فرص الخير الواقعي، وهو أدنى الثلاثة.

وقد كان الحث على الابتعاد عن هذا القسم الثالث، والتشجيع على سابقه فيكون متعلماً، ثم ليواصل نهجَهُ المعرفي فيكون عالِماً، يزدان به مجتمعه، كما يرتقي هو بانتسابه لأشرف الموجودات وخالقها سبحانه، فيجسد ما تجلّت فيه القدرة المتعالية.

ولمّا كانت المقارنة بين العلم وغيره أمراً حساساً؛ لما يجده البعض في المال والجاه والولد، مما يفتقده في العلم، ثنّى عليه السلام بذكر خصائص العلم، بعدما بدا أنه على ما هو عليه من الجلالة حتى كان من الأسماء الحسنى: العالِم، لكنه - العلم - مغمور مجهول في أوساط الغالبية، فعدَّ من خصائصه المقارنةَ مع المال - بعدما بيّن أنّه خيرٌ من المال الذي هو أساس الجاه والولد - فكانت الخصائص التالية:

الأولى: يحفظ حامله؛ حيث يكون كالحارس الملازم لصاحبه في الحالات كلها يرعاه ويحميه، فهو أمينٌ وفيٌّ حريصٌ على نفعه وحفظه؛ لذا يدعوه باستمرار للاستزادة وعدم التوقف عن ملاحقة المعلومات إلى آخر فرصة ممكنة، كما نجده يدعو الآخرين للتعلم منه، أو مجرد التعرف عليه، بما يشيع جواً ودياً يفتقده الإنسان في ظل أجواء الدعاية التي يسعى البعض لصنعها؛ تعريفاً وشهرةً، بينما كان سلوك طريق العلم الأقرب والأدوم.

فبالعلم نجا العلماء بل سائر حامليه، بعد أنْ خلّدهم عطاؤهم الحياتي

فكانوا مستحقين للتخليد والتكريم، لكن حائز المال يحرس ماله ويحتاج إلى إنفاق مقدار وفير منه لحفظه، فهو في همٍّ واهتمام دائمَين في سبيل تأمينه ضد الضياع والسرّاق بل وحتى الإنفاق، لكنه يتفاجأ بكون العلم:

الثانية: يزداد بالتعليم والإنفاق، بينما المال ينقص بالإعطاء والإخراج منه، مع أنه مهما استكثر الدافع ذو المال من تفريقه لتحصيل مكاسب معينة، فإنها تزول بزوال المال، فهو لا يرافق صاحبه في حياته، كما لا يتنقل معه، بينما كان العلم مختلفاً فهو يتنامى بالتواصل مع الآخر، كما يدوم معروفه لدى متلقيه، وهو ما يشكِّل بطاقة شخصية تعرِّف حاملها حتى لو كان من أدنى الناس نسباً.

الثالثة: يكون سبباً لطاعة الإنسان ربَّهُ تعالى فينجو من النار؛ كونه قد أطاعه ولم يعصه، فبالعلم يصل الإنسان إلى قناعته الإيمانية ويطيع، كما أنه بسبب الجهل عصى العاصي؛ فإنه ما لم يوظّف حاملُ العلم علمَهُ في خلاصه ونجاته لكان من الهالكين، قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[1]، مما يعطينا أنّ البناء على العلم المقترن بالعمل، وليس الفخر بحمله من دون تأثر به، وهذا ما نجد أصداءه وانعكاساته بيّنة وواضحة على مستوى الدنيا أيضاً؛ إذ تكون الانطباعات ايجابية عن العالِم العامل حياً وميتاً، في حين هي سلبية عن غيره.

نعم يذكر الناسُ العلماءَ الذين لم يعملوا ويُشيدوا بهم ويخلدون ذكراهم، لكن ليس على مستوى العاملين حتى في الآخرة وهو دار الجزاء، مما يعني أنّ العلم ما لم يؤدِ إلى الطاعة فهو مجرد مظهر، وأما معها فهو المخبر والمظهر، والعاقل لا يتركهما لواحد زائل.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧٥، ظ/ تفسير التبيان٥/ ٣١ وأسباب النزول١٥٢.

الرابعة: يحكم على غيرِهِ، ولا يحكمه المالُ؛ إذ أنَّ ذا المال أو الجاه أو الولد ما لم يُحسن تدبيرها فقدَها وضاعت عليه، فهي محتاجة إلى علمِ عاقلٍ وعقلِ عالمٍ؛ لتكون كما يرام، فالعلم حاكمٌ والمالُ وغيره محكومٌ عليه، والعاقل لا يترك مقامَ الحاكمية ليقنع بغيره.

الخامسة: يخلِّد أهله ويذكِّر بهم وإنْ ماتوا، فضلاً عما تقدم من حفظه لهم في الدنيا، فإنه يحفظ ذكراهم وآثارهم، حتى ليحرص طلاب العلم - مهما كانوا - على الإطلاع والاستفادة، مع وجود فوارق متعددة ومتنوعة زماناً ومكاناً وانتماءً بشتى حالاته، لكن بسبب العلم يتقارب الإنسان فكرياً مع الخصم، حتى أضحى تقليداً شائعاً الاحتفالُ لتكريم العلماء على اختلاف صورِهِ، بإقامة المؤتمر ونحوه أو تقديم البحوث والدراسات أو إلقاء القصائد والكلمات أو الشواهد التذكارية أو إطلاق الأسماء على الأمكنة والأزمنة والأشخاص وغير ذلك، فهم أحياءٌ بالآثار وإنْ فقدنا الأجساد، بل لم ولن نعرف عن بعضهم غير الذكريات المعرفية، بعد أنْ طالهم ظلمُ الطغاة فأُذيبت الأجساد وطوردوا وهم أموات، لكن يفرضهم العلم وتحتاجهم الأمةُ فيه، بينما كان بعض المتمولين يعيشون في الدنيا وهم أموات؛ عندما تنعدم الصلة وينقطع التواصل، فيملُّهم القريب والبعيد، وينقطوا عنه حتى ليستوحش في الضحى والعصر، فكيف به في الليل، والعاقل يحرص على تخليد اسمه وذكراه، ولا يريد أنْ يموت وهو حي.

نعم ما أحسن اجتماعُهُما.

ولمّا كان التأثير الكامل على الناس صعباً؛ حيث تتأصل العلاقة مع المال بشكلٍ يمنع الغالب عن التواصل العلمي، وهو ما يظهر في اختياراتهم وميولهم، بما يؤثر على تنامي الحالة المعرفية وازدهار العلم كوسيلة تأمين للحياة بينما

يستعان بالمال للتأمين على الحياة، وهذا الانحسار وعدم الاهتمام وتقديم المال على العلم، أدى إلى أنْ يتأسف عليه السلام على قلة الراغبين، ويتمنى لو كان التوجه الجماهيري نحو العلم، فيتسابقون إليه، ويأخذون منه الكثير، كما هو الحال في اهتمامهم بالمال.

نعم هناك..

أ- مَنْ يتعلم ليكتسب بالعلم فيصل إلى الدنيا عن طريق الدين، ويفتخر على الناس بما لديه، بل يتفاخر بما تعلّمه حتى على المؤمنين والصالحين، مع أنهم أحق بالتواضع لهم واللين معهم.

ب- وأيضاً هناك مَنْ يستسلم ولا يتأمل، بل يسارع في التلقي والقبول بدون وعي أو تدبر، مما يؤثر على أفكاره، ويكون قلقاً لا يستقر على رأي أو عقيدة، وإنما يتفاعل مع الشبهات بسرعة، حتى إذا استقوت عليه ضعُفَ أمامها وتأثر بها، وكأنه لم يتعلم شيئاً.

وهذان معاً لا يليقان بحمل العلم؛ حيث لم يستعدّا له؛ إذ اهتم الأولُ بالدنيا، ولم يتحصن الثاني بما يحميه من الشكوك والشبهات.

ت- وهناك مَنْ اهتم باللذائذ الجسدية، فكان العلم وسيلة لتحسين وضعه الغريزي في مختلف الحالات.

ث- كما يوجد مَنْ يُعنى كثيراً بجمع المال وتعديد مقتنياته وحفظها على أساس ضمانه لمستقبله وأهله.

وهذان الآخران لا يصلحان للمهمة العلمية، وليس لديهما القابلية لتحمّل الأمانة المعرفية؛ حيث اتجها للمال بكلِّ ما عندهما من عقل وعاطفة، فلم يبق سوى الجسد، وهو غير كافٍ لأداء المطلوب، من الحفظ عن النسيان أو العبث، فلابد من اشتراك العقل والقلب مع الجسد، ليتعلق الإنسان بالعلم

فيكون جزءاً منه لا يُساوَم عليه، ولا يبذله طمعاً، كما لا يطلبه تباهياً، بل يصونه ويعززه، وما عداه فالحامل كسائر المخلوقات التي تهتم بملء المعدة وإفراغها، بحيث لا تستوعب ما وراء ذلك، وهذا من أخطر ما يصيب العلم؛ حيث يستعان به كمنصب ورفعة، من دون غيرة عليه، ولا إنصافٍ لحامليه، لتزداد الأرقام دون أنْ تستفيد الأمة، بل كان المزوّر والمنتحل عبأً ثقيلاً عليها، فيكون تكراره نذيراً بانهيار القِيَم وغياب الأخلاق وما تفرضه من صيانة العلم وتقديسه؛ لذلك توجس عليه السلام خيفة من موت العلم بسبب موت حامليه، سواءً بالموت الطبيعي وعدم التعويض؛ لخمول الناس، أم بالسكوت عن التزوير والسطو على جهود العلماء وسائر حالات التذويب والتهميش التي تلحق أهلَ العلم دوماً.

لكن ليس معنى ذلك الاستسلام، بل لابد من العناية الإلهية بالأمة وحفظها من الضياع والتشتت المعرفي، فكان الله تعالى نصيرَ العلم وراعي حامليه؛ إذ كانت الرسالة السماوية تعتمد العلم كطريق للتحاور مع الآخر، حتى لا يُقبل من أحدٍ إيمانُهُ بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، إلا إذا حصل له العلم فاعتقد بها ولم يكن بمتابعة غير مقنعة، وهذا مما يؤسس لارتكاز القضايا على العلم وارتباطها به محورياً؛ فكان رسلُهُ تعالى إلى خلقه وهم مبعوثوه الخاصّون علماء، ويرغبون بالازدياد، قال تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾[1]، فكان العلم نقطة التلاقي للانفتاح العقلي على الآخر والاستماع إليه؛ ولذا تكرر الحث من الأنبياء لأممهم على التأمل في المظاهر الكونية المحيطة بهم، وهكذا نجد أنّ أوصياءهم يتحاورون مع المشككين ويستمعون إلى ما لديهم، ثم يجيبونهم بأسلوب علمي مقنع يقوم على أساس الاستدلال بحسب مقتضيات

(١) سورة الكهف الآية: ٦٥-٦٦.

المصلحة، وما تسمح به الظروف الآنية، مما يعطينا تواصل الحالة العلمية في الأنبياء والأوصياء، وهو ما يدل على الإرادة الإلهية السامية في إحقاق الحق وإبطال الباطل، باعتماد الأسلوب العلمي ضمن مناهجه المقبولة لدى الجميع، حتى وجدنا التسلسل الزمني والتواصل العددي لَمَنْ يأتمنه تعالى على الأداء والدعوة للتوحيد والتأكيد على حقيقة المعاد، محفوظاً من دون انقطاع، وإلا لم يتم الغرض، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، والعبادة مرتبطة بحصول الإيمان القائم على البحث والتفكر من أجل الوصول للحقيقة ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[2]، مما يعطينا ديمومة الحفظ الإلهي للعلم كقيمة ثابتة متصلة بوجود العالم المطلق سبحانه، وإلا بطلت الحجج ولم تبق فائدةٌ للآيات الكونية المنتشرة الدالة على توحيده وقدرته.

وهذا بغض النظر عن طريقة وجود القائم لله تعالى بأمره، فقد يكون ظاهراً مشهوراً كالأنبياء والأوصياء في ظروفهم الطبيعية، وقد تقتضي أنْ يكون خائفاً مستوراً لا يعرفه كلُّ أحدٍ، لكنه يتواصل مع الجميع بأداء الرسالة للأمة؛ سعياً لتهذيبها وترشيدها مما يفعله الجهّال المعاندين، وهم كثيرٌ مقابل عدد المصلحين، حتى تكون مهمة إصلاح النفوس شاقة وأشد عناءً من تطبيب الأبدان على ما فيها؛ ولذلك قلَّ العدد وازداد القدْر، فكانوا عليهم السلام محدودي العدد لكن لم يخلُ منهم زمانٌ؛ اتصالاً لسلسلة الهداة إلى الله والأدلاء على رضاه، وضماناً لأداء الأمانة والوديعة؛ لئلا يجيء أحدٌ يوم القيامة وهو لا يدري، ﴿قُلْ

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٢) سورة الروم الآية: ٨.

﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، بل كان التكليف بالبحث ثم التطبيق، حتى اتضح الحقُّ لدى هؤلاء الجماعة العالمة بحقٍّ، فالتصقوا به ولم يفارقوه؛ بعدما تيقنوا، فرضوا بمعاناة الأبدان، واستهانوا بالمصاعب، وأعانهم على ذلك أُنسُهم الروحي بخالقهم تعالى، فكانت الأبدان متعايشة مع الناس، بينما الأرواح مرتبطة بالله تعالى؛ من حيث الحرص على مرضاته والطمع في رضوانه الذي لا اضمحلال له ولا زوال، فاستحقوا أنْ يكونوا خلفاء الله تعالى في أرضه والدعاة إلى دينه، وهم بهذه الصفات والحالات المعصومون، مما دلَّ العقلُ والنقلُ على عصمتهم من الكفر والخطأ والسهو وغيرها مما يُشين الخليفة الداعي، فيكون استخلافه نقضاً للغرض، كما تكون لدعوته ارتدادات سيئة؛ حيث لا يقبل الناس من أحدٍ عرفوه بالشرك وعبادة الأوثان والأصنام، وإلا فلماذا ينهاهم عنها، ويرفضون قول المخطئ والساهي؛ لتأتّي احتمالهما حتى في بلاغه وبيانه، فلابد من حسم ذلك بحصر الاستخلاف بالمعصومين عليهم السلام دون غيرهم، وإنْ أمكن أداء هؤلاء بعض الوظائف التبليغية، لكنه بشرط انقيادهم أولاً ليقتدي بهم الآخرون، فهو لا يلتئم مع فعل المعاصي.

ولمّا عرف عليه السلام منزلة الخلفاء الدعاة المعصومين عليهم السلام، اشتاق إلى رؤيتهم، سواءً بأشخاصهم وهم وُلْدُهُ وفيهم مَنْ لم يولد بعد، فالشوق إليهم وهم بهذه الصفات المتقدمة شديد، أم كان بأفعالهم الداعية إلى العبادة والمحققة للعدل فهو أشد.

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٤٩.

١٢٥ - قال عليه السلام:

الناسُ في الدنيا عاملان:

عاملٌ عَمِلَ في الدنيا للدنيا قد شَغَلَتْهُ دنياه عن آخرتِهِ، يخشى على مَنْ يخلُفُهُ الفقرَ ويأمنُهُ على نفسِهِ، فيُفني عمرَهُ في منفعةِ غيرِهِ.

وعاملٌ عَمِلَ في الدنيا لما بعدها فجاءَهُ الذي له من الدنيا بغير عملٍ، فأحرز الحظين معاً، ومَلَكَ الزادين جميعاً، فأصبحَ وجيهاً عند الله، لا يسألُ اللهَ حاجةً فيَمْنَعَهُ.

الدعوة إلى اختيار الأفضل، واجتناب الأردأ، من خلال الوصفين المتقدمين، بعد أنْ يكون من الطبيعي انشغال الإنسان بالدنيا؛ لكونها محطته التي يقضي فيها عمرَهُ، لكن ليس على حساب مقرِّهِ الأبدي، فعليه أنْ لا يقضي عمرَهُ في منفعة غيره وينسى نفسَهُ، فيخسر بذلك آخرتَهُ، مكتفياً بمتع الدنيا الزائلة، بل عليه أنْ يعمل لكلٍّ منهما، فيمكنه تطوير وضع ذويه الحياتي من دون أنْ يُهمل حاجته الشخصية، وذلك من خلال الأعمال الصالحة، حتى لو فاجأه الموت لا ينتقل بدون رصيدٍ من الحسنات، بل كان قريباً من رحمته سبحانه فيؤمل له الفوز والرضوان، بعد أنْ كان موفقاً في الحياة الدنيا، موسعاً عليه في الرزق ومستجاب الدعاء، مما يميزه بين الآخرين، بعكس ذلك الذي أفقرَ نفسَهُ ليُغني غيرَه، وما هو بقادرٍ على ذلك.

وإنّ ما استعمله عليه السلام من أسلوب في هذه الحكمة، لما يتسم بالدقة والسلاسة، حيث ينسجم معه القارئ أو المستمع؛ ليجد فيه ما ينفعه التأمل فيه، حتى يجذبه لمواقع الخير، فيقرر الانصراف إلى ما فيه نفعه وصلاحه، مع إبقاء علقته الدنيوية، فإننا لا ندعو إلى المقاطعة التامة بل الدعوة إلى عدم التغافل

عن الآخرة وما بعد حياتنا الدنيا، بعدما كان للحياة الأخرى دور مهم في تحديد مصير الإنسان، فكان لزاماً عدم الإهمال لأحدهما على حساب الآخرة كما هو حال العامل الأول - مما ذكره عليه السلام -، وإنما المطلوب ترشيد فعل الإنسان باتجاه الأنفع، ليضمن صلاحاً في مآله، فيكون قد أحرز الدنيا والآخرة ولم يخسر إحداهما، كما هو شأن الوالد عندما يمارس ما يحتاج إليه من ضروريات حياتية، دون أن ينسيه ذلك توفيرها لذويه، ودون أن يلهوه عن نفسه، وإلا لتضرر ولم ينفعه بقاء غيره.

حرف الهاء

١٢٦ - قال عليه السلام:

الهم نصف الهرم[١].

الدعوة إلى الصبر وعدم الحزن الطويل على ما يصيب الإنسان من فقد عزيزٍ أو ابتلاءٍ بأمرٍ يضيق به، بل لابد من معالجة الحالة بما ينفع ويجعلها ذات تأثيرٍ ايجابي عليه، وذلك من خلال توظيفها لصالحه، كأخذ العِبرة والموعظة؛ لئلا يغترَّ بإقبال الدنيا وزهوها، فيعرف سرعة تقلّباتها حتى لا يأمنها ويتصرف فيها وكأنها الدائمة له، أو أنْ يعمل ما يجعله مستثمراً للوقت؛ حتى لا يمرَّ عليه بدون فائدة مهمة، أو أنْ يضيف لنفسه رصيداً من الثواب ينفعه بعدئذ، كالمشاركة ببعض أعمال البِر الاجتماعي العام، مما يبدد عليه عزلته النفسية ويُخرجه من ضيقه الذي يعانيه، وهذا مما يحقق عدة مكاسب في آنٍ واحد؛ حيث النفع العام والخاص، بما يؤسس لمجتمع يتكامل في المحن والأزمات، ويستثمرها لما يخدم وضعه الإنساني الفردي والنوعي، لينتقل من مستواه إلى الأفضل تدريجاً

---

(١) الهَرَم: كِبَرُ السن.

وعـبر مراحله الزمنية المختلفة، فـلا تمنعه أزماته وما يعانيه من البناء الروحي أو المادي.

ولو لم يعمل كذلك، لأدى تفاعلُهُ مع المصائب وتجاوبه معها إلى ابتئاسـه وحزنـه وتذويب حالة الصمـود لديه، بما يأتي عليه بالأذى النفسي والجسـدي، فيُسرع إليه المرض وتضعف قواه عن التحمّل وتشـتد وطأة المعاناة حتى يضيق بما فيه، ثم يتناقص جسـدياً بالعوارض الصحية ونفسـياً بانعكاسـاتها السـلبية، وهـو كلـه مـضرٌّ به، فعليـه تقدير الأمور بـما يناسـبها دون هلعٍ أو جـزعٍ؛ لعدم جدوى ذلك جميعاً بقدر ما يترك آثاراً سلبية متعددة عليه وعلى مجتمعه.

وإنّ هذه الحكمة تمثّل سـبقاً في مجال تشـخيص الحالات والأعراض قبل أنْ يُـدرك ذوو التخصـص بـأنَّ للقلـق والحزن المنبعـث عن الهم، أثـراً في الهرم وقطـع المراحل العمرية بالمرض النفسي أو العضـوي؛ حيث يذيب الهم عناصر التماسـك التي يعتمدها الإنسـان ويسـتقوي بها[1]، وعندما تضعف عن مقاومة تلـك العوارض، يبدأ العدُّ التنازلي بما يضيع عليه فرصة اسـتثمار العبور في هذه المحطة الدنيوية التي لابد من التزود منها لما بعدها.

١٢٧- قيل له عليه السلام: صف لنا العاقل، فقال عليه السلام:

هو الذي يضعُ الشيءَ مواضعَهُ، فقيل: فصفْ لنا الجاهلَ، قال: قد

---

(١) (أكد العلماء أن العديد من الاضطرابات النفسـيو تؤثر... على مناعة الجسد ومقاومته للأمراض و... تسـهم في نشوء أمراض عضوية كالسكر والسـرطان وأمراض القلب والجلطات وغيرها من أمراض الغدد الصماء والاضطرابات الهرمونية والشيخوخة والهدم... والنسيان وضعف الذاكرة... والصداع والغثيان والدوخة... وقرحة المعدة وقرحة الاثني عشر والتهاب القولون) ظ: الهم والهدم من منظور القرآن الكريم والسـنة النبوية (الاضطرابات النفسـية وتأثيرها على الأجزاء العضوية) حسـن يوسـف شهاب الدين بحث منشور في موقع منتديات صوت القرآن الكريم.

فعلتُ.

عندما يتعرض الإنسان إلى موقف معين، فإنْ عرف كيف يتصرف؛ بحيث يكون ردُّ الفعل بقدر الفعل، لا تزيد عليه، فهو العاقل، وبعكسه فلا يكون تصرفُهُ تصرفَ العقلاء، وعندها فسيتيه، ولو لم يتحول إلى قطاع غيرهم، فالدعوة إلى التزام الحذر في التصرفات كافة، والانضباط فيها وفقاً لمقاييس العقل، وما تمليه من اتزان وهدوء عقلي في مقابلة ما يواجه الإنسان، مما يجعله متشنجاً إزاء موقف معين، ليكون رد فعله عاكساً لمدى توازنه؛ لذا ففي الحكمة خطان متوازيان، يهدفان إلى تنبيه الإنسان على:

أ - ضرورة التروي وعدم الاستعجال في اتخاذ القرارات.

ب- دلالة رد الفعل على مستوى عقل الفاعل.

مما يعطينا أنّ على الإنسان أنْ لا يعتمد على رصيده الثابت في سجل العقلاء، بل عليه التوقي من منزلقات الانفعال أو الوقوع تحت تأثير مزيل العقل، أو غير ذلك مما يُخرِج العاقل عن مساره الصحيح إلى تعرجات وعرة، لتنعكس بالتالي على التقييم الاجتماعي العام لشخصيته بين الناس، وهذا مالا يرضاه العاقل لنفسه، فهو ملزمٌ باتباع النصح وقبول المشورة والاستماع إلى الرأي الآخر، توصلاً إلى أفضل ما يمكن من القرارات في مفاصل حياته وشئونه كلها، وإلا كان جاهلاً، ومعه فلا يُعتمد عليه، كما لا يكون كفوءاً في المشاركة العامة لإصلاح أخطاء اجتماعية، قد يقع فيها غيره؛ وذلك بعد فشله في تدبير نفسه وقيادتها ضمن الحدود المسموح بها.

حرف الواو

١٢٨ - قال عليه السلام:

وفي القرآنِ نبأُ ما قبْلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم.

الدعوة إلى الاهتمام بالقرآن، والانفتاح على معارفه المتعددة، ومنافعه المتنوعة، وعدم الاقتصار في التعاطي معه على أساس حالة واحدة، بل هو خزين من العطاء، وثروة في العلم بأقسامه وفي العمل بمختلف قطاعاته، فلا يصح الاقتصار على قراءته بدون وعي لآياته ودلائله، كما من غير المقبول إهماله؛ بعد أنْ يكون جزءاً من الوثائق الكثيرة التي يحتج تعالى بها على الإنسان يوم القيامة؛ حيث تشمل أيضاً اعترافات الأعضاء وسائر أدوات الممارسة، بما لا تترك منفذاً للاعتراض والتنصل عن المسؤولية؛ إذ لو كان العذر (١): عدم توقع هذا المصير، ففي القرآن الكريم أخبارٌ عن الماضين، وكيف نجا الناجون بالعمل الصالح، وهلَكَ غيرهم بالتضييع، مما يُنبئ بوضوح عن تكرر الحال مع جميع مَنْ يعمل أو يُسوّف؛ كونه قانوناً عاماً لا يختص بهم فنستثنى منه، مما يعني لزوم الاستفادة من تلك الحوادث، كصفارات الإنذار ومصابيح التحذير

وغيرهما من الأنظمة المتبعة للتنبيه المبكر قبل حصول المحذور، وهو ما يتطلب التعامل الجدّي مع الواقع بما يدل على اهتمام يتناسب مع ما يهدد الإنسان في كل شيء من تاريخ حياته؛ فإنه ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[1]، وإلا فما فائدة ما تكرر قرآنياً من ذكر حوادث تاريخية للأمم الماضية، ومجريات أحداثها ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾[2] وغيرها.

وإنْ كان العذر(٢): هو الجهل بما يترتب من إجراءاتٍ بحق المخالف، ففي القرآن الكريم أخبارٌ مما يأتي ويجري بعد الارتحال عن هذه المحطة، بما يؤثر في النفس ولو مجرد التوقع والاحتمال، ليستعدَّ ويعمل جاداً؛ توقياً وحذراً من فوت الجزاء وحرمانه من الأجر بعد طول العناء والامتناع عن بعض الملاذّ، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[3] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[4]، بحيث يتفاعل العاقل بشكل تلقائي مع تلك الأخبار ليضمن لنفسه ما يحتاجه في يوم تتعذر فيه الاستعانة بمالٍ أو جاهٍ، بل ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ

---

(١) سورة الأنعام من الآية١٥٨.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٦.

(٣) سورة هود الآية: ٣.

(٤) سورة هود الآية: ١٠٣.

عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١]، بحيث لامجال للوعد بالعمل أو المطالبة بتجديد المدة، وإنما ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

كما أنه لو كان العذر(٣): ما يعيشه البعض من فوضى واللا نظام من خلال اللجوء لما لا يتكفل بسدِّ الاحتياجات التشريعية كافة، فالقرآن الكريم ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣] وهو ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

وعندها فاللازم الرجوع اليه والاعتماد عليه ضمن قواعده التي تتسع للحاجة البشرية، وإلا لما كان هدى ولما كان برهاناً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾[٥]، فلو لم يهتدِ البعض لتلك القواعد، فلا يتسرع بنفي استيعاب القرآن الكريم للحلول، بل يتوافر من خلاله الدستور الأممي المتكامل في معطياته وما يقدمه من أحكامٍ وأخلاق تأديبية يستصلح بهما المخاطبين في مختلف مواقعهم، وتعدديتهم الأخرى، والتي لا نجد في محاولات التعويض الوضعية ما يسد الحاجة البشرية تلك؛ حيث تعتمد مصادرُ التشريع القانوني ومراجعُهُ الوضعَ السوي للإنسان الذي احتاج في منحنى معينٍ إلى تقنينٍ يحفظ له حقوقه وينظم له استحقاقاته، بدون مراعاةٍ لأبعاد أخرى مؤثرة.

لكن القرآن الكريم قد راعى ذلك، فارتقى بالإنسان غير السوي ليؤهله ضمن مجتمعه؛ لئلا يشذَّ فتخطفه ميوله ونزواته وما يواجهه من تحديات كبرى

---

(١) سورة النساء الآية: ١٣-١٤.

(٢) سورة غافر الآية: ٤٠.

(٣) سورة فصلت الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران من الآية١٣٨ .

(٥) سورة النساء الآية: ١٧٤.

تستهدف كيانه المستقل، لتحوّله إلى أداة يتحرك موقعياً من خلال رغبات شخصية، من دون أنْ تترك له حق الاختيار، فيقرر ما يريده بنفسه ضمن معطياته الفكرية وحاجته المناسبة، مما أدى إلى تمرده وتعاليه على سلطة القانون، فكانت الخسارة مزدوجة، ولم يستطع التقنين الوضعي استيعاب مشكلاتها، ولا تحجيم أضرارها، وبقي الوضع مربكاً حتى عرف الإنسان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

فاطمأنت نفسه، وشعَرَ بالحنان الذي افتقده تحت وطأة تنفيذ القانون المجرد، فأدى إلى تمرده، وأضرَّ بالعباد والبلاد، مع أنه يمتلك تكريماً خاصاً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3] ﴿عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4].

فكان لابد من معاملة متميزة تقرن فرض القانون بالجانب الأخلاقي التأديبي الذي يستصلح الجذور والخلايا ولا يهمل شيئاً، وإلا لم تنفع معه محاولات الإعادة والتأهيل بعد أنْ ﴿كَانَ الإنسان أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[5]، فكان قوله تعالى: ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[6].

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[7].

---

(١) سورة الاحقاف الآية: ١٣.

(٢) سورة الاسراء الآية: ٧٠.

(٣) سورة التين الآية: ٤.

(٤) سورة العلق الآية: ٥.

(٥) سورة الكهف من الآية٥٤.

(٦) سورة البقرة من الآية٨٣.

(٧) سورة آل عمران من الآية١٣٤.

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١)، وغيرها مما يرفده بمجموعة من القيم والمرتكزات المناسبة في عالَم تعيش فيه مكونات متعددة الألوان والأفكار والأديان والأعراق وغيرها، مما أفرزته التعددية، فلم يبق النسيج متلاحماً متصلاً.

بل إذا اصطدم بغيره تلاشى فيه، فاحتاج إلى تذكيره باستمرار بقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(٥).

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾(٦).

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾(٧)، وغيرها من آيات

---

(١) سورة فصلت الآية: ٣٤.

(٢) سورة الشورى الآية: ٤٠.

(٣) سورة الاسراء الآية: ٣٣.

(٤) سورة المائدة الآية: ٩٠.

(٥) سورة المائدة الآية: ٩١.

(٦) سورة الاسراء الآية: ٣١.

(٧) سورة الاسراء الآية: ٣٢.

الأحكام والتربية، التي يستشف الإنسان لدى تأمله فيها الاعتماد عليه من خلال تأهيله وتثقيفه بما تتوازن فيه مكونات منظومته العقلية والنفسية وصولاً لتفاعله العضوي المتناسق مع كامل المعطيات والإمكانيات المتاحة له كونياً.

وإنّ هذا لمما يؤكد مسئولية الإنسان وقدرته على القيادة في ظلّ التشريع المستوعب لقضاياه كافة.

حرف الياء

١٢٩ - قال عليه السلام:

يأتي على الناسِ زمانٌ عضوضٌ[١]، يعضُّ الموسرُ فيه على ما في يديه ولم يُؤمَرْ بذلك، قال الله سبحانه ﴿وَلَا تَنْسَوا الفَضْلَ بَيْنَكُم﴾، تَنْهَدُ[٢] فيه الأشرارُ، وتُسْتَذَلُّ الأخيارُ، ويُبايَع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطرين.

الدعوة إلى التوقي والحذر من حالةٍ متوقعة تحصل نتيجة أزمة أخلاقية يمرُّ بها الناس؛ بسبب ابتعادهم عن القيم الأخلاقية، واستبدالها بمادياتٍ لم تأتِ إلا بما أبعدهم عن الإنسانية وما تمليه من تعاطف وتآلف فيما بينهم:

١ - ففقدوا التواصل؛ حتى أنَّ موسر الحال ينكمش بطريقة غريبة، فيمتنع من المساهمة في معاونة معوزي مجتمعه وإخوانه، كما لا تكون له مشاركات في مشاريع اجتماعية عامة، من شأنها ترتيب الوضع وتخفيف المعاناة النوعية؛

---

(١) زمان عضوض: استعارة لبيان شدته وقسوة ما يلاقيه الانسان فيه.

(٢) تنهد: يترفع ويعلو.

حيث يفتقر الناس إلى مؤسسات كثيرة خدمية، وغيرها، ومع ذلك لا يتحرك الأغنياء باستثمار الأموال وتشغيل الأيدي وتشجيع الطاقات، وهذا الخمول والإمساك ناتجٌ عن عدم استحضار قوله تعالى: ﴿وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1]، وغياب مداليله التربوية، المحفزة على الترابط بين أطراف النسيج الاجتماعي الواحد، والذي يحتاج إلى وقفة نوعية من بعض أفراده، بما يعين الآخر على تجاوز صعوبات الحياة، والتي بدورها تتحول من فردٍ لآخر؛ لئلا يتوهم أحدٌ استغناءَهُ عن غيره، بل قد يحتاج أدناهم، مما يؤسس لعلاقة صالحة، بعيداً عن البطر والغرور والاستعلاء؛ ولذلك ابتدأ عليه السلام بالحث على حفظ الرازق المعطي تعالى في خلقه، وأنْ لا يطغى أحدٌ بمالٍ أو سواه، فالكل زائل، وتبقى حقيقة واحدة متمثلة بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

٢- كما ضاعت المقاييس، وفقد أكفاء الناس وصلحاؤهم الهيبة؛ ليتولى الأشرار المناصب، ويرتقون اجتماعياً، ويتحكمون، مع أنهم قد قاطعوا الخير في مواقعه، حتى عُدّوا أشراراً، فكيف بهم يرتفعون ويحكمون؟!، ولكنهم قد تمكنوا بسبب الابتعاد عن القيم الإنسانية وانحسارها، وعلى المجتمع التهيؤ لما يحصل بفعل تأثيرهم السيئ على مرافق الحياة، وطريقة إدارتها، فلا إنصاف ولا مراعاة لاستحقاقات كثيرة، حتى يُستذل الأخيار ويهانون، لتبرز ظاهرة غريبة أخرى، من خلال القبول بتصرفات الشرير المتسلط؛ باعتبارها واقعاً، لا يمكن تبديله، فتتلاشى المبادئ بضغط هذا الأمر الواقع، ويترك الناسُ الأمر بالمعروف

---

(١) سورة البقرة من الآية٢٣٧.

(٢) سورة المزمل من الآية٢٠.

والنهيَ عن المنكر، وهما فريضتان، وهو ما ترتد آثاره على المجتمع نفسه، ولا تبقى مكانة لأحدٍ، وتتدهور الأمور، مع أنه بالإمكان الاحتفاظ بكرامة الناس وخصوصياتهم لو أُتبعت النُظم الشرعية في تداول السلطة، أو أُلتزمت المعايير الأخلاقية في الزعامة؛ حيث أنها قيادة ولو في حدودها الضيقة، وهي لا تليق بالأشرار ذوي التأريخ المظلم، ممَنْ لم يحفظوا أنفسهم، وهو ما يعني ضرورة مقاومة هذا المد الجارف من الانهيار الأخلاقي في المجتمع المسلم.

٣- وساد الجور وعمَّ الظلم؛ حتى:

أ- أُستولي بالقوة على المناصب، وأُخذت البيعة للطاعة بالقهر، وهو ما يحصل سواءً أكانت البيعة بمفهوم بسط الكف وترديد كلمات الولاء، أم بغيره من أشكال إعلان الطاعة وإظهار الانقياد للحاكم غير الشرعي، من دون فرق بين مواقع تسلطه، فقد تمتدُّ الزعامة وتتقلص، قال تعالى: ﴿**وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾[1]، ولابد من الجواب المنجي، وإلا فمن غير المعقول التورط لأجل الغير.

ويأتي هذا البيان لقوله عليه السلام: (ويُبايَع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطرين)، منسجماً مع الدلالة السياقية، وما تفرضه وحدةُ الموضوع في إطاره العام من تناسق في الأداء والمحاور؛ حيث يتناسب الحملُ على البيعة التي تؤدى للحاكم، مع قوله عليه السلام: (تَنْهَدُ فيه الأشرارُ، وتُسْتَذَلُّ الأخيارُ)، مما يؤكد تغيّر الوضع الطبيعي فيقفز الأشرار إلى المشهد العام، ويُضطهد الأخيار بتغييبهم وإقصائهم عن المشاركة في الفعاليات، الأمر

(١) سورة ابراهيم الآية: ٢١.

الذي يوحي بتهميش المستحق، وتقديم غيره، مع اتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بإنجاح عملية الاستبدال، ومنها إشاعة أجواء الاستحقاق للبيعة، حتى ليبرز المخالف نشازاً، فتتخذ معه أساليب الإقناع أو غيره لتحصيلها منه، بما يجعله مضطراً لحفظ نفسه فيستجيب ويبايع، وهذا ما لا يُقبل عادةً؛ كونه لا يمثل قناعة ولا يكشف عن طاعة، إلا أنه مما ساد وجرى، حتى شاع كبت الحريات وبُنيت عليه دول!!، فناسب ذلك أنْ ينهى صلى الله عليه وآله عن قبول بيعة المضطر؛ لأنها لا تعني شيئاً لتعتمد كوثيقة ذات دلالة، بل من المعيب على المتزعم الرضا بذلك؛ فإنه قائم بأمر المجموعة ومع ذلك يُضطرون اضطراراً لبيعته!!.

ب- ويمكن أنْ يسود الجور ويعم الظلم أيضاً، عندما يستولى على الممتلكات بالقوة والقهر، فيضطر المالك إلى البيع، عندما لا يجد خياراً آخر وهذا ما يؤشر على تغلّب الأشرار، فترتكب المحظورات الشرعية والأخلاقية، ويكون انتزاع الملكيات سائداً، مع أنه ينافي قوانين حق الإنسان في الملكية والاحتفاظ بها.

ومما يستفاد منه ذلك هو ما رُويَ عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يده ولم يؤمن بذلك؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلا تَنْسَوا الفَضلَ بَينَكُم إنَّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلُونَ بَصِيراً**﴾، وسيأتي زمان يقدم فيه الأشرار وينسى فيه الأخيار ويبايع المضطر وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطر وعن بيع الغرر فاتقوا الله يا أيها الناس وأصلحوا ذات بينكم واحفظوني في أهلي [1]، ويمكن تأييده بما رُويَ في نسخة أخرى: ويباع المضطر [2]، مما يدل على إرادة البيع بمعناه

(١) عيون أخبار الرضا ١ عليه السلام / ٥٠، ونحوه سنن أبي داود ٢/ ١٢٠ ب٢٦ وغيرهما.

(٢) مستدرك الوسائل ١٣/ ٢٨٣ ب٣٣ ح١.

التجاري المعروف، ولكن الغريب ورود النص بنسخِهِ المتقاربة، بطريق منقطع وضعيف عنه صلى الله عليه وآله وسلم، كما رواه أبو يعلى الموصلي عن مكحول قال: بلغني عن حذيفة...[1]، وهو مع تلك الجهالة مما لم يرد عنه صلى الله عليه وآله وسلم بطرق صحيحة أو معتبرة أخرى ليحصل الاطمئنان بصدوره، حتى يوجه بما يتلاءم مع قواعد البيع أو السياق العام في الحديث.

وعليه فلا يبعد أنْ يكون الحمل على البيعة أدق وأنسب، بعد صحة عقد المضطر، فإنه: مَنْ كان في ضرورة إلى البيع أو غيره من العقود، كالذي يبيع دارَهُ لعلاجه؛ مراعاةً للأهم والمصلحة، فلا ريب في صدور العقد عن إرادته وبموافقته التامة، من دون تأثير للدوافع والأسباب المؤثرة؛ حيث لا يخلو فعلٌ من الأفعال عن هدفٍ وغايةٍ قد يلزِمان الفاعل فيضطر له، ولو تهيأ حصولهما بدون الفعل لما فعله، ومع ذلك لا يؤثران على نسبة الفعل إليه وصدوره منه، ولذا ورد في ما رواه (عمر بن يزيد بياع السابري قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلْتُ فداك إنَّ الناس يزعمون أن الربح على المضطر حرام وهو من الربا فقال: وهل رأيت أحداً اشترى - غنياً أو فقيراً - إلا من ضرورة، يا عمر قد أحلَّ اللهُ البيعَ وحرَّمَ الربا، بع واربح ولا تُرْبِ، قلت: وما الربا؟ قال: دراهم بدراهم مثلين بمثل، وحنطة بحنطة مثلين بمثل[2]، مما يعطينا أنّ بيع المضطر صحيحٌ، ومعه فلا معنى للنهي التحريمي، وإنْ حَمَلَهُ الشيخ الطوسي على المجبور والمكرَه[3].

إلا أنّ المتأمل في ما رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام (قال: يأتي على الناس زمان عضوض يعض كل امرئ على ما في يديه وينسى الفضل وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوا الفَضْلَ بَيْنَكُم﴾ ثم ينبري في ذلك الزمان أقوامٌ يبايعون المضطرين

(١) ظ/ تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٩.
(٢) الاستبصار ٣/ ٧٢ ب٤٤ ح٢.
(٣) م/ ن.

أولئك هم شرار الناس)[١]، يجده في أجواء هذه الحكمة المباركة بعبارةٍ أخرى، وعندها فلا يسعه استفادة حكم فقهي منها، وإنْ أمكن الحمل على إرادة بيان تردّي الأوضاع يومئذ حتى أنه يضطر الناس إلى بيع ممتلكاتهم قهراً عليهم؛ لئلا يتورطوا في الأشد والأشق، كما تقدم وهو أمر أخلاقي.

ولعله لهذا قد ذكر ابن الأثير بقوله: (وفي حديث علي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أنه نهى عن بيع المضطر)، هذا يكون من وجهين: أحدهما أن يضطر إلى العقد من طريق الإكراه عليه، وهذا بيعٌ فاسدٌ لا ينعقد، والثاني: أن يضطر إلى البيع لدَينٍ ركبه أو مؤونة ترهقه فيبيع ما في يده بالوكس للضرورة، وهذا سبيله في حق الدين والمرؤة أن لا يبايع على هذا الوجه، ولكن يُعان ويُقرض إلى الميسرة، أو تُشترى سلعتُهُ بقيمتها، فإنْ عَقَدَ البيعَ مع الضرورة على هذا الوجه صحَّ ولم يُفسخ، مع كراهة أهل العلم له. ومعنى البيع ها هنا الشراء أو المبايعة، أو قبول البيع..)[٢].

ومما يشفع لذلك أنّ (يبايع) مشتركة بين البيع والبيعة، في الجذر اللغوي، والاشتقاق، وعدم اختلاف السياق.

---

(١) م/ن: ص ٧١ح ١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٨٢.

١٣٠ - قال عليه السلام:

يا أسرى الرغبةِ أقصِروا فإنَّ الـمُعَرِّجَ على الدنيا لا يَروعُهُ منها إلا صريفُ أنيابِ الحِدثان[١].

أيها الناس تولوَا من أنفسِكم تأديبَها، واعدِلوا بها عن ضراوةِ[٢] عاداتِها.

الدعوة إلى توقع زوال أحوال الدنيا، وتبدلها بغيرها، مما يدفعنا إلى اختيار النهج الصالح الذي يضمن خير الدارين، وهذا ما يستدعي أنْ نتولى إصلاح نفوسنا، ونحاسبها باستمرار، وننقد تصرفاتنا، ونقبل من غيرنا ذلك؛ حيث يضيف لنا رصيداً ضخماً، لا يجتمع تلقائياً ولا يتهيأ دوماً، الأمر الذي يؤسس لتفاعلنا مع النصائح والتوجيهات، ولو لم تعجبنا؛ كونها كالزاد النافع يوماً مّا، أو تلك التي تحويها بيوتنا من دون حاجة فعلاً لها، إلا أنها نافعة مستقبلاً، فلا يصح إعدامها وإلغاء وجودها، وهذا ما نحتاج فيه إلى استذكار ما رُويَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل يا رسول الله فما جلاؤها؟، قال تلاوة القرآن[٣]، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا؛ فإنَّ الحديثَ جلاءٌ للقلوب، إنَّ القلوبَ لترين كما يرين السيفُ، جلاؤها الحديث[٤]، ليمنحانا النشاط النفسي، ويفيدانا طريقة معالجة القضايا؛ حيث اتصلا بالمنبع الصافي الذي مَنْ شرب منه ارتوى، بل لم يروهِ سواه؛ لنقائه، وغنائه بمجموعة

---

(١) خطاب للمهتمين كثيراً بالدنيا: بأن ينتبهوا لتقلباتها ومفاجأتها المزعجة بالتحوّل، فهي كالحيوان المفترس عندما يهاجم الفريسة فيفجأها بصوت مخيف؛ نتيجة هياجه.

(٢) ضراوة عاداتها: التعوّد على ما أغرت به من أفعال.

(٣) كنز العمال ١/ ٥٤٥ ح٢٤٤١.

(٤) الكافي ١/ ٤١ ح٨.

منوعة من القيم والمبادئ ذات الفاعلية المباشرة في حياتنا؛ حيث يتعدد ما نواجهه، فنحتاج إلى الأحكام الشرعية، والحِكَم والمواعظ، وقصص الماضين؛ لندرك الحقيقة الضائعة في ظلِّ أحداثنا اليومية.

فذو المال مغرورٌ به، وذو الجمال معجبٌ به، كما نجد ذا السلطة والنفوذ يتوهم الاستمرار، وغيرهم لا يختلف عنهم، مع أنَّ الدنيا مما لا تدوم لأحدٍ، بل لها طريقتها التحذيرية، التي نستطيع معرفتها بسهولة، فأين السابقون؟!، وهل دام الغنى؟أو الجمال أو المركز الاجتماعي؟!، وماذا نجد عندما نتطلع في القبر المحفور؟! وكفى.

وقد تميزت الحكمة المباركة بتصوير رائع ومعبِّر جداً للدنيا؛ حيث ابتدأ عليه السلام بخطاب المتورطين مع الدنيا الراغبين فيها، بضرورة أنْ يكفوا عن الانشداد إليها؛ كونها ستفاجئهم بالانقلاب والتغيّر، لتبدأ مرحلة المعاناة الطويلة، التي تذهل بنوائبها وأحداثها، لتتركهم في دهشة وحيرة؛ لأنها باغتتهم مرة واحدة بسلسلة من المصائب المؤلمة، فقد العزيز وتغيّر الأحوال وانقلاب الناس وتدهور الصحة وخيبة الأمل في الأولاد وسواها مما يترك أثره لو كان بمفرده، فضلاً عما لو اجتمع مع غيره، كل ذلك من دون سبق إنذار، كهياج بعض الحيوانات، فلا يشعر الإنسان إلا بصوت الثائر غيظاً وغضباً، ليتملكه هول ما سمعه، فيُشغل عن اتخاذ التدابير، وكذلك الدنيا لابد أنْ يسبقها العاقل بتدبيرٍ يقيه شرَّ المنقلب وسوء المنظر.

١٣١ - قال عليه السلام - وقد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة -:

يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة[١]، والقبور المظلمة.

يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة أنتم لنا فَرَطٌ سابقٌ ونحن لكم تَبَعٌ لاحقٌ، أما الدورُ فقد سُكِنَتْ، وأما الأزواجُ فقد نُكِحَتْ. وأما الأموالُ فقد قُسِمَتْ.

هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ - ثم التفت إلى أصحابه فقال -: أما لو أُذِنَ لهم في الكلامِ لأخبروكم أنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

الدعوة إلى الاستفادة من تكرار النظر إلى القبور، والاستطراق في المقابر، والعمل فيها أو قربها، بما يؤصل لحقيقة أننا ميّتون، ومحاسبون، ومجزيّون على أعمالنا، فلابد أنْ لا نغفل هذه الحقيقة، بل نستوعبها ونوظفها كمعلومة مسبقة، لنتميز عمَنْ لم يستحضرها فينزلق في النار، ولا من مخلص غير العمل الصالح الذي قاطعه أو لم يستكثر منه.

وإنّ التعرف على معاني مفردات خطابه عليه السلام ومداليه البيانية، لكفيلٌ بتعريفنا الأحداث التي نواجهها حتماً.

فالوحشة وخلو المكان مع الظلام، هي أوصاف معبِّرة عن أجواء القبور.

وكذلك استبدال الفراش بالتراب، والاستعاضة عن الأهل بالاغتراب والإنفراد الجسدي، في ظلِّ استيحاش النفس من دار إقامةٍ جديد، إنما هي ملامح

---

(١) المقفرة: منقطعة لا نبات فيها ولا ماء.

تعبيرية عما يتحول إليه الإنسان، بأصنافه المختلفة وسائر ما يميز هذا عن غيره، فالانتقال حتميٌ، ومواعيد متفاوتة، اليوم وغداً، ليكون التمييز على أساس السبق واللحوق، على أنْ تكون أداة التقارب والتباعد، هي الطاعة والمعصية، بعيداً عن العقارات؛ فإنها مشغولة من الغير، وربما الخصوم المنافسون، كما أنَّ من الطبيعي أنْ يعيش أحد الزوجين حياته ليتزوج، فهل تبقى الأموال؟! بل أخذها الوارثون، واقتسموها، ليتجسد واضحاً قولُهُ تعالى: ﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1] كجواب جماعي يلتزمه الجميع بلا فرقٍ بين العادل والظالم، والغني والفقير، والصحيح والمريض، وغيرهم ذكوراً وإناثاً؛ لأنه الحقيقة الواقعية التي عاشوها، وأرادوا تنبيه الباقين عليها، فعلينا استثمارها لتأمين رصيدٍ تقوائي، يمنحنا فرصة العمر، بعدما كنّا اتقينا النار وتوقينا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2].

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة من الآية١٩٧.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٣٠.

(٣) سورة غافر الآية: ١٦.

(٤) سورة الحج الآية: ٢.

١٣٢ - قال عليه السلام - لابنه الحسن عليه السلام -:

يا بُنيَّ لا تُخَلِّفَنَّ وراءَك شيئاً من الدنيا، فإنك تُخَلِّفُهُ لأحدِ رجلين: إما رجلٍ عَمِلَ فيه بطاعةِ الله فسَعِدَ بما شقيتَ به.

وإما رجلٍ عَمِلَ فيه بمعصيةِ الله [فشَقِيَ بما جَمَعْتَ له] فكنتَ عوناً له على معصيتِهِ.

وليس أحدُ هذين حقيقاً[1] أن تُؤثِرَهُ على نفسِكَ.

(ويروى هذا الكلام على وجه آخر[2] وهو): أما بعد فإنَّ الذي في يدِكَ من الدنيا قد كان له أهلٌ قَبْلَكَ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدَكَ، وإنما أنت جامعٌ لأحدِ رجلين: رجلٍ عَمِلَ فيما جمعتَهُ بطاعةِ اللهِ فسَعِدَ بما شقيتَ به، أو رجلٍ عَمِلَ فيه بمعصيةِ اللهِ فشقيَ بما جمعتَ له، وليس أحدُ هذين أهلاً أنْ تُؤثِرَهُ على نفسِكَ ولا أنْ تحملَ له على ظهرِكَ، فارْجُ لِمَنْ مضى رحمةَ اللهِ ولِمَنْ بقيَ رزقَ اللهِ.

الدعوة إلى تعوّد الاكتفاء بمقدار الحاجة، وعدم الادّخار؛ لأنه لا يتمكن أحدٌ من الانتفاع المباشر منه بعد رحيله وانتقاله إلى الآخرة، مما يؤسس لاستثماره عبر طريقة تقديمه عاجلاً، من خلال العمل الصالح والمشاريع

---

(١) حقيقاً: جديراً ولائقاً.

(٢) فقد رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام: أنه قال: إن مولى لأمير المؤمنين عليه السلام سأله مالاً فقال: يخرج عطائي فأقاسمكه، فقال: لا أكتفي وخرج إلى معاوية فوصله فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بما أصاب من المال فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد فإن ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهله بعدك وإنما لك منه ما مهدت لنفسك فآثر نفسك على صلاح ولدك فإنما أنت جامع لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ولا تبرد له على ظهرك، فارج لمَنْ مضى رحمة الله وثِقْ لمَنْ بقي برزق الله، الكافي ٨ / ٧٢ ح٢٨.

النافعة ولو المحدودة الضيقة، ليتوافر على الثواب والأجر، فلا يُحرَم منه تماماً، كما هو حال مَنْ يحرص على توريثه، فإنه أما أنْ يخلّفه لمطيع، فيستفيد هذا المؤمن وينعم به كثروة مالية، دون المورِّث الذي لم ينله سوى الجهد البدني، وأما أنْ يكون الوارث عاصياً، فقد اشتركا في المعصية؛ حيث أعانه عليها بتيسير المال وتهيئة العُدّة له، وهو موجبٌ للشقاء الأخروي، كما لا يُعدُّ تصرفاً معقولاً، بعد أنْ يستنفد التصرف أغراضه المرجوة، من الربح والفائدة، ليعود عبثاً؛ لعدم استحقاقهما للتضحية والتعرض للمسئولية العظيمة.

نعم يمكنه أنْ يغرس في أولاده ومتعلقيه حب العمل، وعدم الخمول والاتكال؛ حتى يحميهم فعلاً من الذل والهوان والحرمان، بما تستجره من تشرد وضياع وانفلات وغيرها، مما يوجب عليه التصرف بحكمة، والتحرر من العاطفة التي لا تنفع الجميع إلا مؤقتاً؛ لذلك كان ضرورياً التفكير الجاد في إيجاد الحل الجذري غير تكديس المال، بعد معرفتنا بحتمية النفاذ، فماذا أعدَّ لهم بعده؟!.

وإنَّ من المهم جداً استحضار مداليل هذه الحكمة؛ لما تمثله من بيان شفاف ومقنع؛ إذ اعتمد عليه السلام طريقة الحصر العقلي والاستقراء مع التحليل للنتائج، مما يبعث على الاطمئنان والاستجابة، فيتخفف المجتمع من أعباء الطيش والغرور وما يخلفانه في النفوس من غطرسة وتفاخر، مع تفشي ظاهرة الخمول، لتطفح حالات سلبية، يصعب امتصاص المجتمع لها دائماً، كالترف والاستعلاء وانتهاك المحظورات الشرعية والأخلاقية، والتجاوز على الذوق العام والخصوصيات الشخصية، فتكون مفاسد كثيرة وانتهاكات حقوقية مختلفة، كل ذلك وسواه كثير باعتبار توهم المرتكب أنه بما لديه يستطيع الاستيلاء على ما يريد، بدون أن يراعي مشاعر الآخر والتزاماته، وهذا ما يتسبب بدوره في حدوث مشكلات

خطيرة، لتصل أحياناً إلى التصفيات الجسدية وما يتبعها من مخلّفات، فكان لزاماً الحدّ من تلك الإفرازات وسواها، من خلال النصح المقنع.

ولو قـدِّرَ أنْ يعمل المعنيون على تأصيل هذه المفاهيم في المجتمع تدريجياً، لتلافينـا نقصـاً في مسـتوى الأداء العـام، ممـا أسـس لكثيرٍ مـن مظاهر الفسـاد بمسمياته، وتفشى حتى كان مألوفاً لدى ممارسيه.

والحكمة المباركة في الرواية الأخرى، تضيف أمراً آخر من خلال الدعوة إلى مراعـاة القانـون الشرعي والأخلاقي في عملية تحصيل المال، وعدم السـماح بتفعيـل أنَّ الغاية تبرر الوسـيلة؛ كونهـا لا تلتئم وضرورة تطهـير المصادر المالية وتنقيتها من الأخلاط والشـوائب، وإلا لأثّرَتْ على حيـاة الفرد مادياً وروحياً، بما يسـلبه الهناء بها، فيتحول إلى حاوٍ للمال؛ حيث لم يتذكر حقيقة أنّ المال منتقل مـن غيره إليه، ومتحوّل عنه إلى غيره، كما أنّ الثراء الواسـع مما لا يسـتطيع أحدٌ توظيفـه لصالحـه إلا الذي يسـتثمره بنفسـه وفي عاجـل الدنيـا، وإلا فلا يملك التأثـير الملـزم على الورثـة أنْ يعينوه ببعضه بعـد موته، بل كانـت إجابة البعض واضحـة في عـدم اهتمامه بذلك، بعد أنْ كانت الفرصة سـانحة، ولكنه ضيّعها، فيبـدأ بالتصرف المريح لـه وإنْ خالف المحظورات، وهذا بسـبب عدم الانتباه، وعدم تحسب أقصى الاحتمالات، فهو يفترض الوفاء مطلقاً من كل أحد، وهو مـا لا يكون إلا نـادراً، فالصحيح أنْ يرجو رحمته تعـالى للماضين، ويتوقع رزقه تعالى للباقين، مع الإعداد السليم، فإنه أنفع شيءٍ.

وهي في هذه الرواية الأخرى، مما تنبه على خطر الانتهازية وإرادة الوصول إلى المـال بأية طريقة كانت؛ لأنها تؤدي إلى أنْ نخسر الأبناء، بعد اهتزاز الثوابت في النفوس، لنفاجأ بوجود الذين يعيشون للمال ومن أجله، وهم مَنْ لا يُستبعد منه الشر بكل أشكاله، فنخسر الإنسان والوطن وسائر القيم والمبادئ والمُثُل.

١٣٣ - قال عليه السلام - لجابر بن عبد الله الأنصاري -:

يا جابر قِوامُ [الدين و] الدنيا بأربعةٍ: عالِمٌ مستعملٌ علمَهُ، وجاهلٌ لا يستنكف أنْ يتعلم، وجوادٌ لا يبْخلُ بمعروفِهِ، وفقيرٌ لا يبيعُ آخرتَهُ بدنياه.

فإذا ضيّعَ العالِمُ علمَهُ استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بَخِلَ الغنيُّ بمعروفِهِ باعَ الفقيرُ آخرتَهُ بدنياه.

يا جابر مَنْ كَثُرَت نِعَمُ اللهِ عليه كَثُرَتْ حوائجُ الناسِ إليه، فمَنْ قامَ لله فيها بما يجبُ عَرَّضَها للدوامِ والبقاءِ، ومَنْ لم يَقُمْ فيها بما يجب عَرَّضَها للزوالِ والفناءِ.

الدعوة إلى حفظ حامل العلم لأمانته العلمية فيؤديها، وحفظ مَنْ لا يعلم لنفسه من الجهل فيبادر إلى التعلّم، وحفظ ذو المال لماله فينفق منه، وحفظ الفقير لكرامته الإنسانية فلا يستعيض عن سلامة الآخرة بمال الدنيا؛ لأنّ هذه مقومات أساس لنجاح بناء المجتمع ونهوضه العلمي واستقراره الاقتصادي؛ كون الإخلال بهذه المعادلة، مما يُخلُّ بتوازنها، فلا تبقى الموازين، ولا تُرعى الثوابت، وعندها فلا يتعلم الأميّون ولا يتأمن للمحتاجين ما يرفع معاناتهم، وهو ما يعني المزيد من الجهل والفقر، المؤديين لانتهاك القوانين وعدم مراعاتها، فيحتشد الإجرام بجنب التخلف، مع بقية مظاهر العنف والإرهاب والضمور الفكري وعدم الإبداع العلمي وقلة الإنتاج ونقص الخبرات وغيرها، فيؤثر على مسيرة الأمة؛ حيث يُقاس نموها وتطورها بعاملَي العلم والاقتصاد، وعندما لا ينهض ذو العلم أو ذو المال بالمسئولية، فليس لنا أنْ نتوقع الخير الكثير، بعد ذبول براعم الازدهار والنمو معنوياً ومادياً.

وإنّ المراقب للأحداث الجارية على الساحة، ليجد أنْ انتشار مظاهر الجريمة المنظمة، أو الإخفاق في تحقيق الأهداف، مما يُعلل بتناقص الوعي النوعي لدى البعض، فيهمل شرائح اجتماعية مهمة وضاغطة على مستوى القرار العام، لتكون النتائج مخالفة للتوقعات ومخيبة للآمال، وهو ما يؤكد هذه الأطروحة المهمة، ويبين واقعيتها، وبُعد نظره عليه السلام في معالجة الأمر، لتطويق المشكل قبل اتساع دائرته ومداه، فيظهر مستغلّوا الشعوب، ومنتهزوا الأزمات، ويستعملوا أدواتهم المغرية بصورة رفع المعاناة، والحرية، والمشاركة في الاستقلال، ولكنها المدمرة في الواقع؛ حيث لا يتبنون مشروعاً إصلاحياً ينسجم ومنظومة القيم والتقاليد المحترمة في البلد أو الدين، مما يلتزم به العرف كإحدى القواعد، وهو ما يؤدي إلى الانحلال والتشتت.

ثم دعا عليه السلام إلى التحلي بالصبر والتواضع، وعدم الضجر من كثرة حوائج الناس وتوقعاتهم العريضة في تسهيلها؛ لأنّ ذلك موازٍ تماماً للقابلية على الإعانة عليها، ولم تكن أكثر من القدرة، بل هناك تناسب ملحوظ بين توافر النِعم وحجم التوقعات من الإنسان، وعليه فلا موجب للتبرم والتعالي، بعد أنْ يكون السعي في قضائها موجباً لإبقائها وتناميها، وإلا سُلبت النعمة وحلّت الحسرة، فلابد من استذكار أنها مما أنعم تعالى به على عباده، وعليهم الشكر وعرفان الجميل والفضل.

١٣٤ - قال عليه السلام:

يا كميل مُرْ أهلَكَ أنْ يَروحوا في كسبِ المكارمِ، ويُدْلِجوا في حاجةِ مَنْ هو نائمٌ، فو الذي وَسِعَ سمعُهُ الأصواتَ ما منَ أحدٍ أودعَ قلباً سروراً إلا وخَلَقَ اللهُ له من ذلك السرورِ لطفاً، فإذا نزلتْ به نائبةٌ جرى إليها كالماءِ في انحدارِهِ حتى يطرُدَها عنه كما تُطْرَدُ غريبةُ الإبل[1].

الدعوة إلى الاهتمام بنيل المكارم، وقضاء الحوائج في جميع الأوقات؛ لما لهما من الأثر الحميد في كسب الفضائل وتحصيلها، بما ينعكس ايجابياً على شخصية الفرد، ليكتسب المجتمع سمعة وثناءً، مما يملأ فراغاً كبيراً؛ حيث يتحلى الفرد بمحاسن الصفات، ويتمرن على تحمّل المسئولية الاجتماعية؛ كونه أحد الذين يتوقع منهم المشاركة في المعاونة على الشدائد، وهو ما يستلزم الصبر وبذل الجاه والمال والوقت وسواها تذليلاً للمصاعب وتليناً للمواقف، مع استيعاب ردود الأفعال، وهذا ما يحتاج إلى الحث والتشجيع والدعم المعنوي، ليكثر المساعدون ويقدموا على اكتساب المكارم وقضاء الحوائج، حتى يترسخ ذلك فيهم كحالة متأصلة فيمارسوها، ثم يخلفوها لأولادهم، ويكثر أعوان الحق.

وهذا ما يؤسس للتعاون الاجتماعي، والتواسي بين المؤمنين؛ لئلا يشعر البعض بغربته ووحدته، عندما لا تُقضى حاجته، ولاسيما وقد أصبح تقليداً سائداً الاتكال على العلاقات، كما اعتاد البعض التواكل وعدم المبادرة، بل الخمول والتقاعس عن ذلك؛ لعدم معرفته بعظيم الأجر والثواب على ذلك

---

(١) يروحوا: يسيروا من الظهيرة الى الليل، يدلجوا: يسيروا من أول الليل، نائبة: المصيبة، غريبة الإبل: الواحدة من خارج المجموعة، والكلام في سياق الحث على الاهتمام باكتساب المحاسن وقضاء الحوائج في جميع الأوقات؛ حيث يتهيأ للفاعل ما يساعده في يوم القيامة حتى يزيح عنه المخاوف.

السعي والاهتمام، فذكر عليه السلام أنّ الله تعالى يخلق للساعي في قضاء الحوائج خلقاً يعينه في نوائبه وشدائده، وبسرعة فائقة؛ جزاء لما قام به من إدخال السرور، وهذا مما يثير العزيمة في النفوس أو يقويها على التجاوب والتفاعل المستمر، مع ما فيه من تعب وإخفاق ولوم وغير ذلك، كما يؤصل مفهوم أنْ يكون المؤمن في مجتمعه عضواً صالحاً نافعاً، مما يعني وجود مسؤولية اجتماعية على الأفراد فيما بينهم، ولابد من النهوض بها، وأداء حقوق الأخوان في الله تعالى.

وإننا نقرأ في الحكمة تأصيلاً اجتماعياً وحثاً على التفاعل النوعي بين أفراد المجتمع الواحد، تحقيقاً للألفة، وترسيخاً لقيم الإنسانية، مع مراعاة الضوابط والقوانين كافة، ومن دون تجاوز على أحدٍ فضلاً عن النفس، بل بقدر الممكن يلزم المعاونة على إشاعة أجواء الخير في المواقع كافة ومن خلال المستويات كافة.

الخاتمة

وفي ختام هذا الجزء الثاني من كتاب (**أخلاق الإمام علي**عليه السلام)، نبدأ بالتوجه مخلصين إلى الله تعالى أنْ يوفق الجميع للاهتداء بهَدي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والعمل بما علمنا، فنتمثله في سلوكنا نهجاً، ونعمل على نشره وتأصيله في مَنْ حولنا رصيداً معنوياً، متمنياً أنْ كنت موفقاً في صحبتي القارئ الكريم عبر هذه الرحلة الروحية، لنستفيد أو نستزيد ما نتلافى به الأخطاء، ونصحح من خلاله المسار؛ فإننا لا نستغني عن استرشاده عليه السلام واستنصاحه.

والأمل منعقدٌ على أنْ يتاح لهذا الجزء كسابقه ما أغتني به من قراءة ومذاكرة وتنبيه؛ عساي أتقوم فاستدّ للتي هي أهدى وأقوم، سددنا الله تعالى جميعاً، وأعاننا على أنفسنا، وزكّى ما علمنا أو عملنا؛ فالغاية رضاه وهو أقصى المنى، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلاته وسلامه على سيدنا ونبينا المصطفى وآله الهداة.

٢٧ شعبان المعظم ١٤٢٩هـ

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ **أبو العتاهية، أشعاره وأخباره:** تحقيق د شكري فيصل/ مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

٣ـ **أساس البلاغة:** جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري / ط دار صادر بيروت سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٤ـ **أسباب النزول:** علي بن أحمد الواحدي/ مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع - القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٥ـ **الاستبصار:** محمد بن الحسن الطوسي/ تحقيق وتعليق السيد حسن الخرسان/ دار الكتب الإسلامية - طهران.

٦ـ **أقرب الموارد:** سعيد الخوري الشرتوني.

٧ـ **الأمالي:** محمد بن علي بن الحسين الصدوق/ المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

٨ـ **الإمام علي نبراس ومتراس:** سليمان كتاني -ط٢ مطبعة الأزهر- بغداد سنة ١٩٦٧م.

٩ـ **بحار الأنوار**: الشيخ محمد باقر المجلسي/ ط٣ دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٠ـ **تأويل مختلف الحديث**: لابن قتيبة / ط دار الكتاب العربي بيروت.

١١ـ **التبيان في تفسير القرآن**: محمد بن الحسن الطوسي/ دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٢ـ **تحت راية الحق**: الشيخ عبد الله السبيتي / ط٢ باكت جي طهران سنة ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م.

١٣ـ **تحف العقول**: الحسن بن علي البحراني/ ط٢ مؤسسة النشر الإسلامي قم ١٤٠٤هـ.

١٤ـ **الترغيب والترهيب**: زكي الدين عبد العظيم المنذري. ط٣ دار إحياء التراث العربي بيروت سنه ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٥ـ **التعريفات**: الجرجاني. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.

١٦ـ **تفسير ابن كثير**: دار المعرفة بيروت.

١٧ـ **تفسير الفخر الرازي**: ط٢ دار الكتب العلمية - طهران.

١٨ـ **تفسير الكاشف**: محمد جواد مغنية. ط٢. دار العلم للملايين. بيروت سنة ١٩٧٨م.

١٩ـ **تفسير النسفي** - ط دار احياء الكتب العربية - مصر.

٢٠ـ **التوحيد**: الشيخ الصدوق / منشورات المكتبة الحيدرية النجف سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٢١ـ **جامع أحاديث الشيعة**: بإشراف السيد حسين البروجردي/ مطبعة مهر - قم ١٤٠٩هـ.

٢٢ـ **جامع الترمذي** . دار الكتاب العربي بيروت .

٢٣ـ **الجامع الصغير**: جلال الدين السيوطي/ دار الفكر بيروت.

٢٤ـ **الجعفريات**: المطبوع مع كتاب قرب الاسناد للحميري / المطبعة الإسلامية - طهران سنة ١٣٧٠هـ.

٢٥ـ **جمهرة اللغة**: لابن دريد - اوفسيت دار صادر بيروت.

٢٦ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: السيوطي/ منشورات المكتبة الاسلامية طهران.

٢٧ـ **دعائم الإسلام**: النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي/ تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي/ ط٢ دار المعارف بمصر.

٢٨ـ **ديوان السماوي** (الشيخ عبد الحميد) ط١ دار الاندلس بيروت سنة ١٣٩١هـ.

٢٩ـ **الراعي والرعية**: توفيق الفكيكي. ط٢ منشورات مكتبة المعارف بغداد سنة ١٩٦٢م.

٣٠ـ **الروضة المختارة**: صالح علي الصالح . ط١ مؤسسة النعمان بيروت سنة ١٩٧٩م.

٣١ـ **سنن أبي داود**: دار الفكر بيروت.

٣٢ـ **سنن الترمذي**: دار الفكر بيروت.

٣٣ـ **شرح نهج البلاغة**: ابن ابي الحديد المعتزلي ط دار احياء التراث العربي بيروت. و ط دار احياء الكتب العربية - مصر سنه ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

٣٤ـ **الصحاح**: الجوهري/ دار العلم للملايين - بيروت.

٣٥ـ **صحيح البخاري**: مطبعة محمد علي صبيح / مصر.

٣٦ـ **صحيح مسلم**: مطبعة محمد علي صبيح / مصر.

٣٧ـ **الصواعق المحرقة**: ابن حجر الهيتمي/ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م.

٣٨ـ **الطب محراب الإيمان**: د.خالص جابي. مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧ م.

٣٩ـ **عدة الداعي**: أحمد بن فهد الحلي/ مكتبة وجداني - قم.

٤٠ـ **عوالي اللئالي العزيزية**: ابن أبي جمهور الأحسائي/ مطبعة سيد الشهداء قم.

٤١ـ **عيون أخبار الرضا** عليه السلام: مطبعة الحيدرية النجف الأشرف.

٤٢ـ **عيون الحكم والمواعظ**: علي بن محمد الليثي الواسطي/ ط١ - دار الحديث - قم.

٤٣ـ **العين**: الفراهيدي. منشورات دار الرشيد للنشر - بغداد ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٤ـ **الغدير**: الشيخ عبد الحسين الاميني. ط ٣ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م.

٤٥ـ **غرر الحكم**: عبد الواحد الآمدي/ انتشارات دفتر تبليغات إسلامي - قم ١٣٦٦هـ.

٤٦ـ **الفروق اللغوية**: أبو هلال العسكري/ ط١ مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٤٧ـ **فضائل الخمسة من الصحاح الستة**: السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي. منشورات دار الكتب الاسلامية - النجف ١٣٨٤هـ.

٤٨ـ **الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم**: محمد مصطفى محمد: ط ٢ / الخلود/ بغداد سنه ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٩ـ **في خُطى علي**: نصري سلهب - ط١ دار الكتاب اللبناني - سنة ١٩٧٣م.

٥٠ـ **في ظلال نهج البلاغة**: الشيخ محمد جواد مغنية -ط١ / دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٣م.

٥١ـ **فيض القدير**: محمد عبد الرؤوف المناوي/ ط١ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥٢ـ **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - عالم الكتب / دار الفكر بيروت.

٥٣ـ **قرة العيون**: الفيض الكاشاني كتابفروشي اسلامية طهران.

٥٤ـ **الكافي**: محمد بن يعقوب الكليني/ دار الكتب الإسلامية - طهران.

٥٥ـ **كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب**: محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي .ط٢ منشورات المكتبة الحيدرية - نجف سنه ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٥٦ـ **كنز العمال**: المتقي الهندي/ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٩هـ.

٥٧ـ **ما هو نهج البلاغة**: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني - ط٢ مطبعة النعمان / النجف سنه ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.

٥٨ـ **مجمع الامثال**: الميداني -ط مصر سنة ١٣٥٢ ق.

٥٩ـ **مجمع البحرين**: الشيخ فخر الدين الطريحي - منشورات دار الاحياء للكتب الاسلامية - النجف.

٦٠ـ **مجمع البيان**: الطبرسي - دار احياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٧٩هـ.

٦١ـ **المحاسن**: البرقي - منشورات المكتبة الحيدرية / النجف سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦٢ـ **مختار الصحاح**: الرازي ط١ . دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧م.

٦٣ـ **مستدرك وسائل الشيعة**: الشيخ حسين بن محمد تقي النوري/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٤٠٨هـ.

٦٤ـ **مسند أحمد**: دار صادر - بيروت.

٦٥ـ **مشكاة الأنوار**: علي الطبرسي/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٦٦ـ **مصادر نهج البلاغة وأسانيده**: السيد عبد الزهراء الخطيب . ط٢ مؤسسة الاعلمي بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

٦٧ـ **المصباح المنير**: الفيومي . ط٨ المطبعة الاميرية بولاق سنة ١٩٣٩م.

٦٨ـ **معاني الأخبار**: محمد بن علي بن الحسين الصدوق/ قم.

٦٩ـ **المعجزة الخالدة**: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.ط٢ مطبوعات مكتبة الجوادين العامة / الكاظمية.

٧٠ـ **معجم المصطلحات العلمية والفنية**: يوسف خياط -دار لسان العرب بيروت.

٧١ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٧٢ـ **المفردات في غريب القرآن**: الراغب الاصفهاني - مطبعة البابي الحلبي - مصر سنة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

٧٣ـ **مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس/ ط٢ مطبعة مصطفى البابي - مصر

١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٧٤ـ **مقدمة كتاب الامام علي صوت العدالة لجورج جرداق**: بقلم ميخائيل نعيمة. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٧٠م.

٧٥ـ **مقدمة كتاب النصائح الكافية لمن يتولي معاوية للسيد محمد بن عقيل**: بقلم السيد محمد رضا الخرسان -ط٣ منشورات المكتبة الحيدرية -النجف. سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٧٦ـ **ملحمة عيد الغدير**: بولس سلامه . مطبعة النسر بيروت سنة ١٩٤٩م.

٧٧ـ **المناقب**: الخوارزمي . منشورات المكتبة الحيدرية -النجف سنة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٧٨ـ **المنجد في اللغة**: لويس معلوف ط٢١ دار المشرق بيروت.

٧٩ـ **من لا يحضره الفقيه**: الشيخ الصدوق / ط٤ مطبعة النجف - النجف سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٨٠ـ **مواهب الرحمن في تفسير القرآن**: السيد عبد الأعلى السبزواري / ط١ مطبعة الآداب النجف سنة ١٩٨٩م.

٨١ـ **الموسوعة العربية العالمية**: قرص المكتبة الشاملة - الإصدار الثاني.

٨٢ـ **النصائح الكافية لمن يتولى معاوية**: السيد محمد بن عقيل الحسيني .ط٣ منشورات المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٨٣ـ **النهاية**: ابن الاثير/ ط٤ مؤسسة اسماعيليان قم.

٨٤ـ **نهج البلاغة**: الشريف الرضي/ شرح الشيخ محمد عبده: ط دار التعارف للمطبوعات تحقيق د.صبحي الصالح ط١ دار الكتاب اللبناني - بيروت سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٨٥ـ وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن محمد الحر العاملي/ ط ٤ دار احياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٩١هـ.

علماً أنه قد تمّ الاعتماد على قرص (مكتبة أهل البيت عليهم السلام) الإصدار الأول ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، وقرص (المكتبة الشاملة) الإصدار الثاني، في بعض هذه المصادر والمراجع.

المحتويات

مقدمة..... ٥

حرف الألف

آلةُ الرياسةِ سعةُ الصدر..... ٧
اتقِ اللهَ بعضَ التُقى وإنْ قلَّ، واجعلْ بينكَ وبينَ اللهِ ستراً وإنْ رَقَّ. ٩
اتقوا اللهَ تقيةَ مَنْ شَمَّرَ تجريداً، وجدَّ تشميراً، وكمَّشَ في مَهَلٍ ١٠
اتقوا ظُنُونَ المؤمنين؛ فإنّ الله تعالى جَعَلَ الحقَ على ألسنتهم. ١١
احفظ عنّي أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملتَ معهن: إنّ أغنى الغنى العقلُ ١٢
اخْبُرْ تَقْلِهِ..... ١٦
إذا استولى الصلاحُ على الزمانِ وأهلِهِ ثم أساء رجلٌ الظنَّ برجلٍ..... ١٧
إذا أقبلت الدنيا على أحدٍ أعارته محاسنَ غيره ١٨
إذا كان في رجلٍ خَلَّةٌ رائعةٌ فانتظر أخواتِها..... ١٩
إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجةٌ ٢٠
إذا كثُرتِ المقدرةُ قلّتِ الشهوة. ٢١
إذا كنت في إدبارٍ، والموت في إقبالٍ، فما أسرع المُلتقى. ٢٢
إذا لم يكنْ ما تريدُ فلا تُبَلْ كيف كنتَ..... ٢٣
استعمل العدل، واحذر العَسْفَ والحَيْفَ؛ فإنّ العَسْفَ يعودُ بالجَلاءِ..... ٢٤

أصدقاؤك ثلاثةٌ، وأعداؤك ثلاثةٌ: فأصدقاؤك: صديقُكَ ٢٦
اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم ٢٨
اعلموا علماً يقيناً أنَّ الله لم يجعل للعبد ٣٠
الأقاويلُ محفوظةٌ، والسرائرُ مَبْلُوَّةٌ، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٤
أكثرُ مصارعِ العقولِ تحتَ بروقِ المطامع..... ٣٨
ألا حرٌّ يَدَعُ هذه اللّماظَةَ لأهْلِها؟، إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلاّ الجنةَ ٣٩
ألا وإنَّ من البلاءِ الفاقةَ، وأشدُّ من الفاقةِ مرضُ البدنِ..... ٤٠
الإيمانُ معرفةٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالأركانِ. ٤٢
إنّ أبصارَ هذه الفحولِ طوامح؛ وإنَّ ذلك سببُ هبابِها ٤٣
إنَّ أخسرَ الناسِ صفقةً، وأخيبَهم سعياً، رجلٌ أخلقَ بدنَهُ في طلبِ آمالِهِ ٤٥
إنَّ الاستغفارَ درجةُ العليين، وهو اسمٌ واقعٌ على ستةِ معانٍ: ٤٧
إنّ الأمورَ إذا اشتبهتْ اعتُبِرَ آخرُها بأولِها. ٤٩
إنّ أولى الناسِ بالأنبياءِ أعلمُهم بما جاؤوا به ٥٠
إنَّ أولياءَ اللهِ هم الذين نظروا إلى باطنِ الدنيا إذا نظَرَ الناسُ إلى ظاهرِها ٥٢
إنّ الدنيا والآخرةَ عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان ٥٤
إنَّ الطمعَ مورِدٌ غيرُ مصْدِرٍ، وضامنٌ غيرُ وفيٍّ..... ٥٥
إنَّ الله سبحانه جَعَلَ الطاعةَ غنيمةَ الأكياسِ عند تفريطِ العَجَزَة..... ٥٦
إنَّ الله سبحانه وَضَعَ الثوابَ على طاعتِهِ، والعقابَ على معصيتِهِ..... ٥٧
إنَّ قوماً عبدوا اللهَ رَغبةً فتلك عبادةُ التجار، وإنَّ قوماً عبدوا اللهَ رَهبةً ٥٨
إنَّ كلامَ الحكماءِ إذا كان صواباً كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً..... ٥٩
إنَّ للهِ عباداً يختصُّهم بالنعمِ لمنافعِ العباد، فيُقرُّها في أيديهم ما بذلوها..... ٦١
إنَّ لله مَلَكاً ينادي في كلِّ يوم: لِدوا للموتِ، واجمعوا للفناءِ..... ٦٢
إنَّ للولدِ على الوالدِ حقاً، وإنَّ للوالدِ على الولدِ حقاً..... ٦٤

إنْ لم تكنْ حليماً فتحلَّمْ..... ٦٧
إنَّ المسكينَ رسولُ الله، فمَنْ مَنَعَهُ فقد مَنَعَ اللهَ..... ٦٨
إنَّ هذا الأمر ليس بكم بدأَ، ولا إليكم انتهى..... ٧٠
إنّا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلا ما ملّكَنَا..... ٧١
إنما المرءُ في الدنيا غَرَضٌ تنتضِلُ فيه المنايا، ونهْبٌ تُبادِرُهُ المصائب..... ٧٢
إنّما هو عيدٌ لمَنْ قَبِلَ اللهُ صيامَهُ، وشَكَرَ قيامَهُ ٧٤
أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها ثم تذمها..... ٧٩
أيها المؤمنون إنه مَنْ رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه ٨٢
أيها الناسُ، اتقوا الله الذي إنْ قلتم سمِعَ، وإنْ أضمرتم عَلِمَ ٨٤
أيها الناسُ، لِيَرَكُمُ من النِعمةِ وَجِلين، كما يراكم من النقمةِ فَرِقين ٨٥

حرف الباء

بينكم وبين الموعظةِ حجابٌ من الغِرَّة..... ٨٨

حرف التاء

تغُرُّ وتضُرُّ وتمُرُّ، إنَّ اللهَ لم يرضها ثواباً لأوليائِهِ، ولا عقاباً لأعدائِهِ ٩٠
التودد نصف العقل..... ٩١

حرف الجيم

جعل الله ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك؛ فإنَّ المرضَ لا أجر فيه ٩٢

حرف الحاء

الحذرَ الحذرَ، فواللهِ لقد ستَرَ، حتى كأنه قد غفرَ..... ٩٥
حسدُ الصديق من سقمِ المودَّة..... ٩٦
الحِلمُ والأناة توأمان يُنتجهما عُلُوُّ الهمة..... ٩٧

حرف الخاء

خُذِ الحكمةَ أنَّى كانت، فإنَّ الحكمةَ تكونُ في صدرِ المنافقِ ٩٩

حرف الدال

الدنيا خُلقتْ لغيرها، ولم تُخلق لنفسها ١٠٢

حرف الراء

رُبَّ مفتونٍ بحُسنِ القولِ فيه ١٠٥
الرحيلُ وشيكٌ ١٠٦

حرف الزاي

الزُهدُ كلُّهُ بين كلمتين من القرآن ١٠٧

حرف السين

سيئةٌ تسوءُكَ خيرٌ عند الله من حسنةٍ تعجبُكَ ١٠٩

حرف الصاد

صوابُ الرأي بالدول يُقبِلُ بإقبالها، ويذهبُ بذهابها ١١١

حرف الضاد

ضع فخرك، واحطط كِبرك، واذكر قبرك ١١٤

حرف الظاء

الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار ١١٧

حرف العين

العجَبُ لغفلةِ الحُسادِ عن سلامة الأجساد ١١٩
العدلُ يضعُ الأمورَ مواضعَها، والجودُ يخرجُها من جهتِها ١٢٠
علامةُ الإيمان: أنْ تؤثرَ الصدقَ حيث يضرُّكَ على الكذبِ حيث ينفعُكَ ١٢٣
عليكم بطاعةِ مَنْ لا تُعذرون بجهالتِهِ ١٢٥
العمرُ الذي أعذرَ اللهُ فيه إلى ابنِ آدمَ ستون سنة ١٢٧
عند تناهي الشدّة تكون الفَرْجَة، وعند تضايق حَلَق البلاء يكون الرخاء ١٢٨
عيبُكَ مستورٌ ما أسعدك جدُّك ١٣٠

حرف الفاء

الفقرُ الموتُ الأكبر ١٣٢
الفِكرُ مرآةٌ صافيةٌ، والاعتبارُ منذِرٌ ناصحٌ..... ١٣٤

حرف القاف

قد بُصّرتم إنْ أبصَرتم، وقد هُديتُم إنْ اهتديتم، وأُسمعتُم إنْ استمعتُم..... ١٣٦
قَطَعَ العلمُ عُذرَ المتعلِّلين. ١٣٨
القلب مصحف البصر..... ١٣٩
قلة العيال أحد اليسارين..... ١٤١
قلوبُ الرجالِ وحشيةٌ، فمَنْ تألفها أقبلتْ عليه..... ١٤١
قليلٌ تدومُ عليه أرجى من كثيرٍ مملول..... ١٤٢

حرف الكاف

كأنّ الموتَ فيها على غيرِنا كُتِبْ، وكأنّ الحقَ فيها على غيرِنا وَجَبْ ١٤٤
كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يعظمه في عيني..... ١٤٦
الكرمُ أعطفُ من الرحم..... ١٥٤
كفاك من عقلِكَ ما أوضحَ لك سبيلَ غيِّكَ من رُشدِك. ١٥٥
كلُّ معدودٍ منقضٍ، وكلُّ متوقَعٍ آتٍ..... ١٥٦
كلُّ وِعاءٍ يضيق بما جُعِلَ فيه إلّا وِعاءُ العلمِ، فإنه يتسع. ١٥٧
كم من صائمٍ ليس له من صيامِهِ إلا الظمأ ١٥٧
كيف يكون مَنْ يفنى ببقائِهِ، ويسقمُ بصحتِهِ، ويؤتى من مأمنِهِ..... ١٥٩

حرف اللام

لأنسبنَّ الإسلام نِسبةً لم ينسبها أحدٌ قبلي، الإسلام هو التسليم ١٦١
لا تأمننَّ على خيرِ هذه الأمة عذابَ اللهِ..... ١٦٢
لا تجعلنَّ أكثرَ شُغلِكَ بأهلِكَ ووُلْدِكَ..... ١٦٣

لا ترى الجاهلَ إلا مُفْرِطاً أو مفرِّطاً..... ١٦٤
لا تكن ممن يرجو الآخرةَ بغيرِ العمل، ويُرجِّي التوبةَ بطولِ الأمل..... ١٦٥
لا خيرَ في الصمتِ عن الحُكم، كما لا خيرَ في القولِ بالجهلِ..... ١٧٠
لا شرفَ أعلى من الإسلام، ولا عزَّ أعزُّ من التقوى ١٧١
للظالم البادي غداً بكفِهِ عضّةِ. ١٧٥
لقد عُلِّقَ بنياطِ هذا الإنسان بَضعةٌ هي أعجب ما فيه، وذلك القلب ١٧٦
لكلِّ امرئ عاقبةٌ حلوةٌ أو مرّةٌ..... ١٧٨
لكلِّ مُقبِلٍ أدبارٌ، وما أدبرَ كأنْ لم يكن. ١٧٩
للمؤمن ثلاثُ ساعات: فساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُرمِّمعاشَهُ ١٨٠
لنا حقٌّ، فإنْ أُعطيناهُ، وإلا ركبنا أعجازَ الإبلِ، وإنْ طالَ السُّرى..... ١٨١
لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَهُ لأبغضَ الأملَ وغرورَهُ..... ١٨٣
ليس الخيرُ أنْ يكثرَ مالُكَ وولَدُكَ، ولكنَّ الخيرَ أنْ يكثرَ علمُكَ ١٨٣
ليست الرؤيةُ كالمعاينةِ مع الإبصارِ، فقد تكذبُ العيونُ أهلَها ١٨٦

حرف الميم

ما أحسنَ تواضُعَ الأغنياءِ للفقراءِ طلباً لما عند الله ١٨٨
ما اختلفت دعوتان، إلا كانت إحداهُما ضلالة..... ١٨٩
ما استودعَ اللهُ امرئاً عقلاً إلا استنقذه به يوماً مّا. ١٩٠
ما أكثرَ العِبَرَ وأقلَّ الاعتبار!!. ١٩٢
ما أنقضَ النومَ لعزائمِ اليومِ..... ١٩٣
ما خيرٌ بخيرٍ بعدَهُ النارُ، وما شرٌ بشرٍ بعدَهُ الجنةُ ١٩٤
ما شككتُ في الحقِّ مُذْ أُريتُهُ..... ١٩٦
ما عالَ امرؤٌ اقتَصَدَ..... ١٩٨

ما قالَ الناسُ لشيءٍ طوبى له، إلا وقد خبأَ له الدهرُ يومَ سَوءٍ. ١٩٩
ما كذِبتُ ولا كُذِّبتُ، ولا ضللتُ ولا ضُلَّ بي..... ٢٠١
ما كلُّ مفتونٍ يُعاتَبْ. ٢٠٣
ما لابنِ آدمَ والفخرِ: أولُهُ نطفةٌ، وآخرُهُ جيفةٌ ٢٠٤
المالُ مادةُ الشهوات. ٢٠٥
ما مزحَ امرؤٌ مَزحةً إلا مجَّ من عقله مجَّةً..... ٢٠٦
مَثَلُ الدنيا كمَثَلِ الحيةِ، ليِّنٌ مَسُها، والسمُّ الناقعُ في جوفها ٢٠٧
مَنْ أبدى صفحتَهُ للحقِّ هَلَكَ..... ٢٠٨
مَنْ أحبنا أهلَ البيتِ فليستعدَّ للفقرِ جِلباباً..... ٢٠٨
مَنْ أصبحَ على الدنيا حزيناً فقد أصبحَ لقضاءِ الله ساخطاً ٢١١
مَنْ أُعطيَ أربعاً لم يُحْرَمْ أربعاً: مَنْ أُعطيَ الدعاءَ لم يُحْرَمِ الإجابةَ..... ٢١٥
مَنْ أومأَ إلى متفاوتٍ، خذلته الحِيَلُ. ٢١٦
مَنْ بالَغَ في الخصومةِ أثِمَ، ومَنْ قَصَّرَ فيها ظُلِمَ ٢١٨

حرف النون

الناس ثلاثة: فعالِـمٌ رباني. ومتعلمٌ على سبيلِ نجاةٍ..... ٢٢٠
الناسُ في الدنيا عاملان: عاملٌ عَمِلَ في الدنيا للدنيا ٢٣٠

حرف الهاء

الهم نصف الهرم..... ٢٣٢
هو الذي يضعُ الشيءَ مواضعَهُ، فقيل: فصفْ لنا الجاهلَ ٢٣٣

حرف الواو

وفي القرآنِ نبأُ ما قبْلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم. ٢٣٥

حرف الياء

يأتي على الناسِ زمانٌ عضوضٌ، يعضُّ الموسرُ فيه على ما في يديه ٢٤١

يا أسرى الرغبةِ أقصِروا ٢٤٧
يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، والقبور المظلمة. ٢٤٩
يا بُنيَّ لا تُخَلِّفَنَّ وراءَك شيئاً من الدنيا..... ٢٥١
يا جابر قِوامُ [الدين و] الدنيا بأربعةٍ: عالِمٌ مستعملٌ علمَهُ ٢٥٤
يا كميل مُرْ أهلَكَ أنْ يَروحوا في كسبِ المكارمِ ٢٥٦
الخاتمة ٢٥٩
المصادر والمراجع ٢٦١
المحتويات ٢٦٩

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٩٥٤١٧
التاريخ / ٢ / ١٠ / ٢٠١٠
تم تصويره
٣